محمد الصّالح الصّدّيق

# شخصيات
# و
# مواقف

المؤسسة الوطنية للكتاب

محمّد الصالح الصديق

# شخصيات ومواقف

المؤسسة الوطنية للكتاب
3. شارع زيروت يوسف
- الجزائر -

© رقم النشر 02 01 92 31
المؤسسة الوطنية للكتاب
الجزائر 1992

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهـــــداء

إلى أبطال العقيدة، وشهداء الحرية : الذين صاغهم القدر ليتحملوا أمانة التاريخ :

ـ يقاومون الذل والعبودية ...

ـ يحاربون الاحتلال والاستعمار ...

ـ يقودون صفوف الشعوب لتحرير الأوطان .... وتحرير الإنسان ...

ـ ويتخذون من إيمانهم وعزمهم مشاعل تنير الطريق، وتوضح المعالم ؛ وتهدي إلى سواء السبيل.

( رجال صدقوا )

( مِنَ المُؤْمنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللـهَ عليه. فَمِنْهُم مَنْ قَضَى نَحْبَه. ومِنْهُم مَنْ يَنْتَظِر ومَا بَدَّلوا تَبْديلا )

قرآن كريم

# ( عناوين العلا )

إن تسـألـوا التـاريخ عن أجـدادنـا يُنْبِئْكُم : هم فخـر دين محمـد
غُـرٌّ ميـامين كِـرام سـادَةٌ أعلى مثـالٍ لـلأعـزّ الأمجـد
وقفـوا المـواقفَ في الجهـاد عـظيمـة و التضحيـات شعـارهم لم تُعْهـد
كـانـوا حـديثـا في فم الـدنيـا و مـا زالـوا عنـاوين العُـلا و السؤدد..
و الفعـل يذكـرهم بكـل تَجِلَّـةٍ و الخُلْـدُ سجّلهُم و لم يتـردد
هَذِي مـواقفهم و تلك خـلالُهم عِبَـرٌ لمعتبـر بهـا مسْتَـرْشـد
بشَرٌ أولائك ؟ أم مـلائك ؟ هـل لنـا في خيـر مـا صنعـوا بهم أن نقتـدي ؟
ذكـرىَ تـطـول على الـوجـود و مِثْلَهـا خَلفَ الـزمـان بـأنـه لم يشهد
بـا دورة الـدنيـا، قِفِي بتأدب لِلذكـريـات و صفِقي ملك اليـد

شاعر مفتون بأمجاد الإسلام

# بسم الله الرحمن الرحيم

## الـمـقـدمـة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد فقد كانت وما تزالُ حياة المؤمنين الصادقين، والمؤمنات الصادقات، اعتزازا بالله، وثباتا على المبدإ، وجهادًا في سبيل الحق، و استرخاصا للنفس - إبتغاء مرضاة الله، واستجابة للعقيدة المهيمنة على الفكر والعزيمة والسلوك ...

وقد يواجه هؤلاء في طريقهم، متاعب و مشاقّ، و يلاقون ما يرجف القلوب، ويرعد الفرائص، و يُزلزِلُ الأقدام، و قد يعرض لهم سد منيع يحول دون تحقيق غاياتهم ... ولكن ذلك لا ينال من عزائمهم شيئًا ..

بل لا يزيدهم إلا تمسكا بالمبدإ وإصرارا على المضّي في الطريق، واجتياز السدود والموانع ... لأنهم يعلمون أن العاقبة للثابتين، و الفوز للصابرين، وأن من سنن الله الكونية أن لا فجْر بلا ظلام، و لا نور بلا نار :

لا نُجْـحَ إلاَ والمشقــة أمُّـه        كـالنـور يـظهـر حيث تذكـو النـار

وهؤلاء المؤمنون والمؤمنات، أولو العقيدة الراسخة، والعزيمة الماضية :

ـ هم الذين يخوضون المعارك، ويقتحمون الأهوال، ويصارعون الموت، ويناضلون ويقاومون حتى اللحظة الأخيرة من حياتهم ..

ـ وهم الذين يندفعون إلى الممالك والأقطار، يفتحونها ليقيموا فيها عدل الله وشرعه ليستتب الأمن وتنتظم الحياة ...

ـ وهم الذين يجاهدون بالكلمة الصريحة، وجباههم عالية، وقاماتهم منتصبة، فيرغمون الملوكَ والجبابرة، ويُمْلون عليهم ويامرونهم ...

ـ وهم الذين إذا نضجت الفكرة في رؤوسهم و اطمأنوا إلى صوابها وجدواها، صَدَعُوا بِها دون أن يقرأوا حسابا لمن لام وعاتب، أورضيَ وشكر، فهمهم أن يدلوا بكلمتهم لأنها حق وواجب، والسكوت عنها ضعف و جبن و ميوعة ...

ـ وهم الذين تتقلب بهم صروف الدهر وحوادثه، فتجعلهم في مؤخرة القافلة بعد أن كانوا في مقدمتها، وقد تهوي بهم إلى الحضيض، ولكنهم مع ذلك يظلون شُمَّ الأنوف، أعزاء النفوس، لايطأطئون رأسا، ولايحنون ظهرا، إلا للّه وحده ...

ـ وهؤلاء وأمثالهم هم الصفوة من البشر، الصفوة المختارة لإعلاء كلمة الله، ولخدمة الإنسانية، ومن أجل صلاح الأرض والعباد ...

ـ وهم القدوة الحسنة في هذه الحياة لكل من أراد أن يكون لوجوده معنى، ولحياته أثرٌ في هذه الأرض ..

وهذا الكتاب الذي نقدمه للقراء الكرام، يضم في صفحاته نماذج من هؤلاء الرواد، وهم ـ مع قلتهم بالنسبة إلى عامة الناس ـ كثير لايحصيهم العد، إذ لايخلو منهم عصر من عصور التاريخ ...

ولكن حسبنا منهم عينات من مختلف الأمكنة والأزمنة تمثل نوعية مختلفة في التخطيط والمقاومة، وفي توجيه إرادة الأمة، نحو الحياة الكريمة الحرة ...

وهؤلاء هم شموع على الطريق، تدل وتهدي، فما أحرى شبابنا ـ بالخصوص ـ بالاقتداء بهم والاستضاءةِبنورهم.

أن أبناءنا وبناتنا إذا وقفوا على تاريخ أجدادهم الحافل بالبطولات والمواقف الكريمة المشرفة، تشخّصوا مجدهم، وأدركوا قيمتهم، وعلموا أنهم ساهموا في بناء الحياة الحضارية الشامخة التي يتمتع بها الإنسان ـ مساهمة بوأتهم أعلى مكانة في التاريخ ...

وبذلك يعتزون بهم وبتاريخهم، ويعملون - جادّين - في سبيل الرقي والازدهار، ويستنفدون وسعهم في المحافظة على هذا التاريخ ...

**محمد الصالح الصديق**

القبة - الجزائر في

1 ربيع الثاني 1410هـ 1989/10/31

# ( عبيدة بن الحارث )

(62 ق هـ ـ 2 هـ)
(562 ـ 624م)

هو عبيد اللـه بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وهو أخو عبد الله بن الحارث أحد أبطال الإسلام المشاهير، ومن الصحابة الأجلاء ...
قال ابن جرير :

وزعم الواقدي ... أن النبي صلى الله عليه وسلم عقد في السنة الأولى من الهجرة على رأس ثمانية أشهر في شوال لعبيدة بن الحارث لواء أبيض وأمره بالسير إلى بطن رابغ[1] وكان لواؤه مع مسطح بن أثاثة فبلغ ثنية المرة وهي بناحية الجحفة في ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصاري وأنهم التقوا هم والمشركون على ماء يقال له ( أحياء ) وكان بينهم الرمي دون المسابقة ...

قال الواقدي : وكان المشركون مائتين عليهم أبو سفيان صخر بن حرب ...

وروي الزهري عن الأعرج قال سمعت عبد الله بن الحارث يقول :

آخر صلاة صليتها مع الرسول صلى الله عليه و سلم المغرب قرأ في الأولى بالطور وفي الثانية بقل ياأيها الكافرون ...

---

(1) رابغ : واد يقطعه الحاج بين البزوا، والجحفة.

وفي ( الاستيعاب في معرفة الأصحاب ) راية عبيدة أول راية عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم في الإسلام وشهد عبيدة بدرا فكان له فيه موقف كريم. وفي بدر قطعت رجله في مبارزته هو وحمزة وعلى مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، وكان عبيدة إذ ذاك أسن المجاهدين إذ كان في الثالثة والستين من عمره ...

والملاحظ أن الرسول صلى اللـه عليه وسلم قدم في هذه الغزوة للمبارزة الأولى ثلاثة من أقاربه هم عمه حمزة وابن عمه علي ابن أبي طالب، وابن عمه عبيدة ولذلك جاء في بعض الروايات أن الرسول صلى اللـه عليه وسلم قال لهؤلاء الثلاثه:

( قوموا يابني هاشم فقاتلوا بحقكم الذي بعث به نبيكم، إذ جاءوا ببطلانهم ليطفئوا نور الله، قم ياحمزة، قم يا علي ...)

وفي هذه المبارزة نزل قول اللـه تعالى :

( هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد، كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها و ذوقوا عذاب الحريق إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير، وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد )[2]

ويروى أن عبيدة لما رأى رجله مقطوعة قال :

ستبلغ عنا أهل مكة وقفة — يهيب لنا من كان عن ذاك نائيا
بعتبة إذولّى، وشيبة بعده — وما كان فيها بكر عتبة راضيا
فإن تقطعوا رجلي فإني مسلم — أرجى بها عيشا من اللـه دانيا
مع الحور أمثال التماثيل أخلصت — مع الجنة العلياء من كان عاليا
وبعت بها عيشا تعرفت صفوه — وعالجته حتى فقدت الأدانيا
فأكرمني الرحمن من فضل مَنِّهِ — بثوب من الإسلام غطّى المساويا
وما كان مكروها إليّ قتالُهم — غداة دعا الأكفاء من كان داعيا
ولم يبغ إذ سألوا النبي - سواءنا — ثلاثتنا حتى حضرنا المناديا

(2)سورة الحج الآيات 24/19.

لقيناهم كالأسد تخطر بالقنا نقاتل في الرحمن من كان عاصيا
فما برحت أقدامنا من مقامنا ثلاثتنا حتى أُزيروا المنائيا

هكذا ينسى البطل المؤمن جراحه و آلامه ويرسل هذه الأهازيج التي تصور إيمانه بالله ووفاءه للعقيدة، وموقفه البطولي الصامد في وقت تطيش فيه العقول ... وتنخلع القلوب.

ولقد أضجعوا عبيدة إلى جوار الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن حملوه من أرض المعركة وهو بين الحياة والموت، فمد عبيدة عنقه حتى وضع خده على قدم الرسول الشريفة وهو يحس في ذلك راحة ومتعة، ثم قال :

يارسول الله أما والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم أني أحق منه بما قال، حيث يقول :

كذبتم وبيت الله يبزى محمد[3] ولما نطاعن دونه ونقاتل
ونسلمه حتى نصرع دونه، ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم سأل النبي قائلا :

ألست شهيدا يارسول الله ؟

فأجابه النبي قائلا :

أشهد أنك شهيد.

وبعد انتهاء المعركة حمل المسلمون البطل الجريح في طريق عودتهم إلى المدينة ولكنه أسلم الروح في الطريق عند مكان يقال له ( الصفراء )

وتحدثنا السيرة العطرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم نزل بعد ذلك مع أصحابه عند ( الصفراء ) فقال الصحابة - متعجبين - :

إننا نجد ريح المسك ...

فقال صلى الله عليه وسلم :

وما يمنعكم وهاهنا قبر أبي معاوية[4]

رحم الله عبيدة الشهيد وسلام عليه في الخالدين

---

(3)يبزى بالبناء للمجهول : يقهر ويغلب.

(4)يعني عبيدة بن الحارث.

# (سعد بن معاذ)

(... 5 هـ)
(626 م)

هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئي القيس الأوسى الأنصاري ... يكنى أبا عمرو، من الأبطال المغاوير الذين سجل لهم التاريخ مواقف تشهد لهم بقوة الإرادة، ومضاء العزيمة، والرؤية الواضحة، والنظر البعيد، والشعور بعظمة الحق ...

كانت له سيادة الأوس ... وحمل لواءهم يوم بدر...

أسلم بالمدينة يوم العقبة الأولى والثانية على يدي مصعب بن عمير ...

يقول التاريخ في قصة إسلامه : إنه اعترض على مصعب بن عمير، سفير الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة حين وجده يجلس مع بعض المسلمين وعلى رأسهم إبن خالة له يتدارسون الدين، وطلب من إبن خالته أسيد بن خضيرا أن يكف عن إغواء بني قومه، ولكن مصعب بن عمير قال له : أوتقعد فتسمع فإن رضيت أمرا و رغبت فيه قبلته، و إن كرهته عزلنا عنك ماتكره ...

فقال سعد : أنصفت ... وركز حربته وجلس ليستمع إلى آيات من القرآن الكريم نزلت عليه بردا وسلاما ونورا انشرح له صدره وجعله لايبرح مجلسه إلا وهو مسلم.

وبدأ سعد جهاده في إرساء العقيدة ونشر الإسلام بقومه بني عبد الأشهل فنادى فيهم :

يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأيا، وأيمننا نقيبة. قال : فإن كلام رجالكم ونساءكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله.

فما أمسي في دور بني الأشهل - وهم سادة الأوس - رجل أو امرأة إلا على الإسلام ...

وانطلق سعد بعد ذلك يعمل لنصرة الإسلام بدافع من حبه لله ورسوله، وحبه للحق الذي هو على الدوام قائد العقلاء والنبلاء، وهدف العظماء والشرفاء، الذين يصنعون الحياة الكريمة فوق هذه الأرض ...

ويقف سعد بن معاذ وقفة إيمان وصمود قبل معركة بدر الخالدة وحوله أهله وعشيرته، وقد زمجر الخطر في الأفق، ويقول مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم :

يارسول الله، لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك ...

فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك. فوالذي بعثك بالحق لواستعرضت بنا البحر فخضته لخضناه ماتخلف منا رجل واحد، ومانكره أن تلقي بنا عدوا غدا ...

إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ماتقر به عينك ... فسر على بركة الله.

وكان اللقاء التاريخي ... وكان النصر المبين ..

ورمي يوم الخندق بسهم فعاش شهرا ثم انتقض جرحه فمات رضي الله عنه ..

وروي من حديث سعد بن أبي وقاص، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

لقد نزل من الملائكة في جنازة سعد بن معاذ سبعون ألفا ماوطئوا الأرض قبل ...

وروي من حديث أنس بن مالك قال :

لما حملنا جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون :
ماأخف جنازته .. وكان رجلا طوالا ضخما ..
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الملائكة حملته
وقال رجل من الأنصار حين وفاة سعد :

ومـــــااهتـــــز عـــــرش اللـــــه من مـــــوت هـــــالك
سمعنـــــا بـــــه إلا لسعـــــد أبي عمـــــرو

ولاغرو في ذلك كله فسعد بن معاذ رفض الباطل حين ذاق مرارته، وواجه الأنواء والأعاصير بصبر قوي وقلب ثابت، وإيمان راسخ لتوجيه تيار الحياة إلى خير مافي الحياة ...

ولاغرو في ذلك أيضا فقد قال سعد :

ثلاث أنا فيهن رجل كما ينبغي وماسوى ذلك فأنا رجل من الناس :

ماسمعت من رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم حديثا قط إلا علمت أنه حق من الله عز وجل ...

ولاكنت في صلاة قط فشغلت نفسي بشيء غيرها حتى أقضيها

ولاكنت في جنازة قط فحدثت نفسي بغير ماتقول ويقال لها، حتى أنصرف عنها ...

قال سعيد بن المسيب رضي الله عنه : هذه الخصال ما كنت أحسبها إلا في نبي ...

# « جعفر ابن أبي طالب »

( . . . 8 هـ )

إسم أبي طالب، عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي وابنه جعفر ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وأخو علي بن أبي طالب لأبويه ... وكان أشبه الناس بالرسول خلقا وخلقا، أسلم بعد إسلام أخيه علي بقليل.

له هجرتان هجرة إلى الحبشة وهجرة إلى المدينة، وكان صلى الله عليه وسلم يسميه أبا المساكين ... بعث الرسول صلى الله عليه وسلم وفدا إلى النجاشي يتألف من ثمانين رجلا على رأسهم جعفر بن أبي طالب ولما دخل المسلمون إلى الملك ـ الذي دعا بطارقته واصطفوا بين يديه، تقدم جعفر وحيا الملك قائلا : السلام عليك أيها الملك ورحمة الله ..

وسأله النجاشي عن دينهم ورسولهم، فقال جعفر :

( أيها الملك، كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف ... كنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه و صدقه، وأمانته وعفافه فدعانا لتوحيد الله وألا نشرك به شيئًا، وأن نخلع ماكنا نعبد من الأصنام، وأمرنا بصدق

الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات. وأمرنا أن نعبد الله وحده لانشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ... فصدقناه وآمنا به وحرمنا ماحرم علينا، وأحللنا ماأحل لنا فاعتدى علينا قومنا وعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، عن عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما ظلمونا وقهرونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا إلى جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك ...)

فكان لكلمات جعفر أثرها الفعال في نفس الملك، فأمر بإكرامهم والإحسان إليهم والإقامة عنده في أمن وحرية واطمئنان .. وعندما استتب الأمر للمسلمين في المدينة وأخذت الدولة الإسلامية تنمو وتشب وتبسط ظلالها على الأرض أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي يطلب منه عودة المهاجرين فجهزهم أحسن تجهيز وعادوا إلى المدينة أثناء فتح الرسول صلى الله عليه وسلم لـ ( خيبر ) ولما التقى بجعفر سر سرورا عظيما وقبله بين عينيه وقال : ( ما أدري بأيهما أنا أسر؟ بقدوم جعفر، أم بفتح خيبر؟ )

ولقد عاش جعفر بن أبي طالب حياته مجاهدا مخلصا وسجل في صفحات التاريخ الإسلامي صورا حية باهرة من البذل والفداء والصبر، ووقف مواقف تتضوأ صفاء وجمالا وروعة.

ولنتابع فيما يلي صورة من حياته الفدائية الرائعة التي كانت فيها نهايته في هذه الأرض كإنسان محدود الأجل، وبدأت فيها حياته التاريخية الخالدة التي لانهاية لها :

في جمادى الأولى عام ثمان من الهجرة جهز الرسول صلى الله عليه وسلم جيشا للاقتصاص ممن قتلوا الحارث بن عمير الأزدي الذي كان أرسله الرسول إلى أمير ( بصرى ) وأمر على الجيش زيد بن حارثة وقال : ( إن أصيب زيد فجعفر ابن أبي طالب، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة )

فلما تجهز الجيش للخروج، وعدته ثلاثة آلاف من المهاجرين والأنصار شيعهم النبي صلى الله عليه وسلم وودعهم بقوله :

( أوصيكم بتقوى الله، وبمن معكم من المسلمين، خيرا، أغزوا باسم الله، في سبيل الله، من كفر بالله لاتغدروا ولاتغلوا، ولاتقتلوا وليدا، ولاامرأة، ولافانيا،

ولامنعزلا بصومعة، ولاتقربوا نخلا، ولاتقطعوا شجرا، ولاتهدموا بيتا )

ثم مضوا حتى وصلوا ( معان ) من أرض الشام، فبلغهم أن هرقل ملك الروم، قد نزل ( مآب ) من أرض البلقاء في الشام في مائة ألف من الروم وانضم إليهم مائة ألف أخرى، من لخم، وجذام، وبهرا، وبكي،

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على ( معان ) ليلتين يفكرون في أمرهم وقالوا :

( نكتب إلى رسول الله بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره )

فجأر فيهم القائد البطل عبد اللـه بن رواحة قائلا :

( يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولاقوة ولاكثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين، الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة ).

فتجمع المسلمون وأحسوا الدماء تغلي في أجسامهم واندفعوا أقوياء بإيمانهم وصبرهم، عظماء في رجولتهم وشهامتهم، تحدوهم الرغبة في الشهادة، و إعزاز دين الله، وكل واحد منهم يحمل روحه على كفه ويسارع إلى ميدان القتال وهو يقول : ( **وعجلت إليك رب لترضى** ) حتى التقوا بجيوش هرقل من الروم والفرس بقرية من قرى البلقاء عند ( مشارف ) فانحاز المسلمون الى ( مؤتة ) وتحصنوا بها والتقى الجمعان، فكانت المعركة رهيبة بحق، برهن فيها المسلمون على البطولة الرائعة، والتضحية النادرة، والإقدام الذي لايعرف التولي والادبار، وأثبتوا للعدو أن المسلم إذا صح عزمه، وقوي إيمانه، وصغرت الدنيا في عينيه، نطق القدر على لسانه، وخضع الدهر العتي لأوامره ونواهيه ...

وقاتل زيد بن حارثة حامل اللواء حتى استشهد ثم تولى القيادة جعفر بن أبي طالب وحمل اللواء وكان على فرس شقراء فنزل عنها واندفع يغلي دمه إلى الميدان يقاتل وهو يحمل اللواء ويرتجز :

ياحبذ الجنة واقترابها ـ طيبة وبارد ترابها ـ والروم روم قد دنا عذابها ـ كافرة بعيدة أنسابها ـ علي إن لاقيتها ضرابها.

وكان يحمل اللواء بيمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حرصا على اللواء ألا يسقط على الأرض ـ وهو صورة المجد، ورمز الفداء، ومحرك

النفوس، وحامي القلوب ..

ومازال يقاتل ويصيح صيحات مجلجلة بالبذل والفداء والصبر، حتى ضربه رجل من الروم ضربة فقطعته نصفين فاستشهد جعفر البطل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة بعد أن سجل في تاريخ البطولات الإسلامية صفحات مشرقة رائعة ...

وتلقف اللواء عبد الله بن رواحة وتولى القيادة ثم انطلق إلى الميدان يستقبل الموت في شجاعة وهو يقول :

يـــــــانفـــــــس إلا تقتلي تمـــــــوتي
هذا حمـــــــام المـــــــوت قـــــــد صليت
ومـــــــا تمنيت فقـــــــد أعـــــــطيت
إن تفعلي فعليهمـــــــا هـــــــديت

يريد بفعلهما، صاحبيه زيدا وجعفرا، وظل يقاتل في استبسال حتى سقط شهيدا، و دخل التاريخ مع صاحبيه من أرحب أبوابه ...

رحم الله جعفرا وصاحبيه الأبطال ورضي عنهم في الخالدين ...

# ( أبـــو دجـــانـــــة )

( . . 11 هـ )
( . . 41 هـ )

هو سماك بن خرشة بن لوذان بن عبدودّ بن زيد المساعدي فارس الخزرج الرهيب الذي ذاع صيته في الصحاري والبوادي، وشاعت مواقفه البطولية بين سائر العرب.

عرف الرسول صلى الله عليه وسلم من هو أبو دجانة شجاعة وإقداما فجعله في الصدارة من الصحابة ... وكان مع ذلك رزينا متواضعا لايخالطه غرور، ولايأخذه كبر أو استعلاء. وكان أبو دجانة من الأبطال المغاوير الذين استبسلوا في غزوة أحد وسجلوا أروع الصفحات في تاريخ الإسلام.

ويذكر أهل التاريخ والسيرة أنه عندما ارتفع لواء الإسلام والتحمت الصفوف، وفي وسطها أبو دجانة نادى الرسول صلى الله عليه وسلم في فرسان المسلمين وفي يده سيف فقال :

من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فأحجم الناس عنه. فسأله أبو دجانة، وماحقه يارسول الله ؟ قال : تقاتل به في سبيل الله حتى يفتح الله عليك أو تقتل.

وهنا تقدم إليه أبو دجانة وقال : ( أنا آخذه يارسول الله بحقه ) فأعطاه إياه : فأخرج عصابة حمراء فتعصب بها فقالت الأنصار ( أخرج أبو دجانة عصابة

الموت )، وقد تعودت أن تقول هذا إذا تعصب بها، والتقى الجمعان وبدأت المعركة بين جند الإيمان وجند الكفران، وتستأثر البطولة بأبي دجانة فيصول صولة الأسد غير مكترث بالموت أو ما يصير إليه جسمه من تمزق وتقطع وهو يرتجز.

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسيف لدى النخيل
ألا أقوم الدهر في الكبول أضرب بسيف الله والرسول

وكان فرسان الكافرين يسقطون تحت قدمه بضربات سيفه القاتلة وفي إحدى زحفاته القوية وجد نفسه أمام امرأة كان يظن أنها رجل فولى فلم يقتلها إكراما لسيف الرسول أن يقتل به امرأة.

فلما انهزم المسلمون لمخالفة أمر الرسول وفر المسلمون من حوله أقبل الخالد أبو دجانة وجعل نفسه ترسا للرسول والنبال تقع في ظهره وهو منحن لا يشعر بالآلام كأنها على غيره تقع.

وهنا بايع الرسول على الموت وجعل روحه فداء له وصاح بالكلمة التي أرهف لها الزمان أذنه وما تزال أنشودة في فم الدنيا.

( نفسي دون نفسك، وعيني دون عينك. والسلام عليك غير مودع )

وشارك أبو دجانة في قتال مسيلمة الكذاب ومادت الأرض بالقتلى تحت سيفه البتار وكسرت قدمه وأصيب بجروح ولكن ذلك لم يقعد به عن مواصلة القتال حتى فاز بالشهادة وارتفعت روحه إلى السماء تمجد الشجاعة والبطولة. والفداء والتضحية في سبيل الله.

# ( أبـــو بـــكـــر الـــصـــديـــق )

( 51 ق هـ 13 هـ )
( 573 633 م)

هو أبو بكر بن أبي قحافة عثمان بن عامر ولد على الأرجح بعد سنة 570 م بقليل ... ونشأ على الأخلاق الفاضلة، وصاحب محمدا صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وكان أول من آمن به من الرجال، وسمي الصديق لأنه صدق بكل ماجاء به محمد. ولاقى في سبيل إسلامه وتعلقه به أذى كثيرا، شهد مع الرسول جميع الغزوات وتولى الخلافة بعد الرسول فكان أول الخلفاء الراشدين. وتوفي سنة 13 هـ عن ثلاثة وستين من العمر.

وتاريخ أبي بكر طافح بالمواقف المشرفة، والبطولات الخارقة، والأعمال البناءة الجليلة. وكيف لا وهو من المؤمنين الأولين الذي تخرجوا من المدرسة النبوية العالية. وفتحوا أقطار الأرض وغيروا وجه التاريخ في أمد وجيز.

فمن المواقف البطولية الرائعة التي سجلها التاريخ لأبي بكر بأحرف من نور موقفه من الخارجين على الجماعة الإسلامية، المانعين للزكاة.

ذلك أن بعض العرب ظنوا أن المسلمين قد ضعفوا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فأخذوا يشقون عصا الطاعة، ويتمردون في مظاهر شتى. فمنهم من منع الزكاة ومنهم من راح يشايع مسيلمة الكذاب في إدعاء النبوة. وأرسل مانعوا الزكاة إلى أبي بكر يقولون له :

( إننا كنا نؤدي هذه الزكاة إلى رجل يأتيه وحي السماء أما الآن فقد انقطع الوحي )

فكان الموقف جد خطير وكانت التجربة قاسية لايخرج منها ناجحا منتصرا إلا من تحصن بقوة الإيمان، وتسلح بالعزيمة والصبر... وهكذا اندلعت ألسنة الشر، وتأججت نار الفتنة، فكاد صرح الإسلام يتصدع ...

فما كان من أبي بكر الصديق أمام هذا الوضع الخطير المتأزم إلا أن جمع الصحابة واستشارهم في محاربة المرتدين، فعارضه جمع من الصحابة وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب ووقفوا ضده وقالوا له، كيف تقاتلهم وقد سمعنا الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

( أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها )

ولكن الصديق الذي ترتفع عبقريته فوق الأحداث مهما عظمت، وتستهين بكل عقبة أيا كانت ... رفض رفضا صارما أية مساومة في دين الله وأي تغيير في شرعيته ولو كان في ذلك إعلان الحرب وإراقة الدماء

فبالرغم من مكانة عمر بن الخطاب في الإسلام وقوة حجته فإن أبا بكر رد عليه في حرارة الإيمان، وقال له :

والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، وقد قال إلا بحقها.

فقال عمر : يا خليفة رسول الله، تالف الناس وارفق بهم، فرد أبو بكر مغضبا :

ماذا ياعمر ؟ رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك .. أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام ؟ لقد تم الدين وانقضى الوحي أفينقص وأنا حي ؟ ... والله لومنعوني عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه ... فلما سئل : مع من تقاتلهم ؟ قال، وحدي حتى تنفرد سالفتي ( صفحة العنق ـ كناية من القتل )

ثم كان ماكان من قتال المرتدين حتى تم النصر للإسلام واندحر الباطل، وانطفأت الفتنة، وخضعت الرقاب لحكم الله وكان ذلك درسا تأديبيا لكل من تسول له نفسه الانحراف عن الجادة، والخروج عن الجماعة الإسلامية. كما كان درسا في الحزم والعزم والشجاعة.

# ( أنـــس بـــن الـنـضـر )

( . . .            . . . )

هو أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد النجاري الأنصاري عم أنس بن مالك ... روى حميد عن أنس أن عمه أنس بن النضر غاب عن قتال يوم بدر فقال. يا رسول الله، غبت عن قتال بدر، عن أول قتال قاتلت فيه المشركين والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ...

وجاء يوم أحد فانطلق أنس إلى المعركة يدفعه الإيمان، ويحدوه الأمل أن يكون من الشهداء، فجاهد جهاد الأبطال المستميتين، فانتصر المسلمون على المشركين وظنوا أن المعركة قد انتهت ... فقال بعضهم لبعض ( هلموا فادركوا الغنيمة قبل أن يسبقنا إليها أحد )

فتركوا مواقعهم التي حددها لهم الرسول صلى الله عليه وسلم وأمرهم أن لا يبارحوها حيث قال لهم : ( إن رأيتمونا تخطفنا الطير، فلاتبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا قد هزمنا القوم فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم، فعاد المشركون - بعد أن انهزموا - إلى قتال المسلمين ودارت الدائرة على المسلمين وأشاعوا أن الرسول قد قتل - والشائعات سهام مسمومة يستغلها العدو في الحروب للنيل من الروح المعنوية - واستبهم الأمر ردحا من الزمن وساد الناس هرج ومرج وهالهم جد هول أن يموت الرسول، قائدهم ونبيهم وقعد بعضهم عن

مواصلة القتال.

ثم أخذ الوهن يتسرب إلى قلوب بعض المسلمين، ولكن المسلمين الأقوياء إيمانا وعقيدة، وقفوا أمام الموت في ثبات وصمود بالرغم من هول الموقف ... فكثر قتالهم وجرح الرسول صلى اللـه عليه و سلم ...

و هنا انبرى البطل الشجاع أنس بن النضر، وانطلق في حزم وإيمان إلى القاعدين عن القتال، وقال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ( يعني المسلمين ) وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ( يعني المشركين ) ثم سألهم في أسف واستياء :

فيم القعود أيها الناس ؟ فقالوا : قتل الرسول صلى الله عليه وسلم.

فقال : ياقوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد حي لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسولنا الكريم )

فهب الجميع هبة الأسود واندفعوا إلى الميدان وقد أصبحوا منابع النصر بعد أن كانوا معاول الهدم، وقاتلوا قتال الأبطال ...

أما أنس بن النضر فقد انطلق بسيفه كالعاصفة يواصل ضرباته القاصمة في المشركين وهو يقول في صوت يزلزل قلوب الكفار :

( الجنة ورب النضر ... إني لأجد ريحها من دون أحد )

فظل يخوض المعركة في استبسال حتى قتل. قال سعد بن معاذ ( ...فما قدرت على ما صنع ...)

ووجدوا فيه بضعا وثمانين ضربة بالسيف أوطعنة برمح أورمية بسهم ومثل به المشركون فلم يعرفه بين قتلى أحد إلا أخته ببنانه ( أصبعه )

قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كنا نرى الآية الكريمة نزلت في أنس بن النضر وفي أشباهه.

**( من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا )**

## ( نسيبة ـ وحبيب بن زيد )

( . . .            . . . )

حبيب هو البطل الشهيد حبيب بن زيد بن عاصم ... وأمه نسيبة بنت كعب إبن عمرر الأنصارية إحدى نساء المدينة اللائي سارعن إلى الإسلام، ومن أشدهن حبا لله ورسوله، و أكثرهن تضحية في سبيل نصرة الإسلام

أما مسيلمة فهو رجل من بني حنيفة باليمامة وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم في قومه وأسلم في شيء من التردد ...

وعندما عاد إلى قبيلته، ارتد وادعى النبوة، وكتب إلى الرسول يقتسم الأرض معه ... فرد عليه بأن الأرض لله يورثها من يشاء، فأحل الخمر والزنا ومنع الصلاة ولجأ إلى السجع ليعارض القرآن ...

فجهز أبو بكر الصديق جيشا من المسلمين لمحاربته، فاعتزمت نسيبة الأنصارية مقاومة هذا العدو الفاجر ومن معه من أهل الردة. وقالت : الآن حق الجهاد لنصر دين الله فقال لها ولدها : ( حبيب بن زيد ) : أذهب وتبقين يا أماه ...

ولعله قال ذلك لأن أمه كانت قد أصيبت بجروح كثيرة في غزوة أحد ... فسار ولدها حبيب بن زيد مع خالد بن الوليد ودارت الحرب بين المسلمين وأهل

الردة ووقف حبيب موقف الأبطال المغاوير حتى وقع أسيرا في يد مسيلمة الكذاب ...

وهنا تتجلى مقاومة المؤمن وصبره وصموده، فقد ساومه مسيلمة على إيمانه وأراده على الكفر بالله ورسوله ولكن حبيبا ثار لهذا الخزي العظيم الذي يريد أن يدفعه إليه الكذاب، فرفض ذلك في صلابة وإصرار ... فعذبه عذابا أليما حتى يرضخه لما يريد ..

ولكن حبيبا ظل ثابتا على الإيمان، صابرا على الآلام، محتسبا ذلك عند الله الكريم، ولما أيقن الكذاب أن لاسبيل إلى النيل من عقيدة حبيب، اشتد غضبه وبلغ به الحنق أبعد الحدود، فأخذ يقطعه عضوا عضوا حتى مات وهو يشهد أن لاإله إلا الله وأن محمد رسول الله وخاتم رسله ...

وعندما بلغ أمه نبأ إستشهاده سرت بموقفه البطولي المشرف بالرغم من نوازع الحزن التي تهز قلب الأم في مثل هذه الحال وقالت في قوة المؤمنة الصابرة التي توثر مايبقى على ما يفنى :

( الآن لاينوب عني أحد في الجهاد لنصر دين الله ... )

ثم أخذت سيفها وقوسها وخرجت للجهاد في سبيل الله يصحبها ولدها الثاني ( عبد الله ) ونذرت لله ألا يصيبها غسل حتى يقتل ( مسيلمة ) وعزمت أن يكون ذلك بيدها ...

وارتمت في المعركة بنفس البطولة التي أظهرتها يوم أحد، وراحت تصول وتجول بين الفرسان تعمل سيفها في الرقاب، حتى ضاق بها أنصار مسيلمة وحرصوا على قتلها فأصابتها ضربة سيف قطعت إحدى ذراعيها فلم تتقاعس بل ثارت حميتها، وغلت دماؤها، وصارت تثير الحماسة في ولدها وتقول له :

( أنت ذراعي ولاذراع لي فاحمل على عدو الله حتى تقتله )

وكانت هذه الكلمة ترن في أذن ( عبد الله ) وتهيب به، فيثبت ويصمد ويستبسل حتى تحقق أمل أمه وكان إحدى قاتلي ( الكذاب ) وفي ذلك تقول نسيبة :

( تقطعت يدي يوم اليمامة وأنا أريد قتل ( مسيلمة ) وماكان لي ناهية حتى رأيت الخبيث محمولا وإذا عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه فقلت : أقتلته ؟

قال : نعم، فسجدت لله شاكرة ...

وعادت أم حبيب بذراع من ذراعيها وضحت بأخرى في سبيل الله ...
وعاد حبيب مع أمه وقد تحقق أملهما واطمأن قلباهما، ليحتلا مكانا بارزا في صفحات التاريخ ...

# ( فتية آمنوا بربهم )

( . . .          . . . )

جاء في مسند الإمام أحمد.

( كان شباب من الأنصار سبعين رجلا، يقال لهم القراء ... كانوا يكونون في المسجد، فإذا أمسوا انتحوا ناحية من المدينة ... فيتدارسون ويصلون.

يحسب أهلوهم أنهم في المسجد، ويحسب أهل المسجد أنهم في أهليهم ...

حتى إذا كانوا في وجه الصبح ... استعذبوا من الماء، واحتطبوا من الحطب فجاءوا به، فأسندوه إلى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم جميعا فأصيبوا يوم بئر معونة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم على قتلتهم خمسة عشر يوما في صلاة الغداة )

هذا نموذج رائع فذ من شباب الأمة الإسلامية الذين شاهدوا بزوغ الفجر ثم شروق الشمس بعد أن اطبق الليل بظلامه الدامس، وتلبدت السماء بغيوم كثيفة معتمة أمدا طويلا.

وكانت البشرية حشودا هائمة في كل اتجاه، فيها من يرسف إلى الأمام، ومن يزحف إلى الوراء، أو يحبو ذات اليمين أو ذات اليسار في قيود ثقيلة، وحيرة قاتلة.

وما إن ابتسم الفجر على الأفق حتى هب هؤلاء الشباب وأخذوا يفركون أعينهم، وينظرون في لهفة ظامئة إلى هذا النور الوهاج الذي يزحف على الكون فيملأ فجاج الأرض، ويشع عليها ضياؤه، ويكتسح ماعليها من ظلمات ومنكرات وآثام فانطلقوا إلى الميدان لبناء الحياة الجديدة في رؤية واضحة، وقوة من الحرية والحماية والمناعة لاتعادلها قوة.

وكان من بين هؤلاء سبعون شابا من الأنصار تساموا بإيمانهم عن لهو الحياة وزخرفها، وتجاوزت بهم آمالهم حدود المتع الرخيصة الزائلة رغم أنهم فتيان، وطبع الفتى اللهو ونشدان المتعة فكانوا يعبدون الله ... ويتدارسون العلم. حتى إذا أصبح الصباح أقبلوا على حمل الماء العذب، وجمع الحطب، رمزا لزكاة يقدمونها إلى الأمة في شخص نبيها الكريم.

وهكذا طبعهم الإيمان بطابع الوحدة والقوة والحركة وصاغتهم العبادة والعلم أنماطا فذة للطاعة والوفاء وهذا مارشحهم ليكونوا دعاة إلى الله ينيرون طرق الهدى، ويكشفون عن معالم الحق، فبعثهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أهل ( نجد ) ولما كانوا ببئر معونة مكان بين أرض بني عامر وحرة بني سليم تعرضوا لحملة الغدر أودت بحياتهم جميعا، فحزن عليهم الرسول حزنا شديدا. ودعا على قتلتهم بالويل في صلاة الغداة طوال خمسة عشرة يوما وفاء وذكرى لشباب آمنوا بالله واستشهدوا في سبيله.

ولكي نتصور عمق إيمان هؤلاء الشباب، ووفائهم لدينهم. ورغبتهم في الشهادة في سبيل الحق نستمع إلى جبار ابن سلمى. وكان ممن غدروا بهؤلاء الفتيان ثم أسلم بعد أن وقف على إيمانهم الراسخ، وهو يقول :

فزت والله ... فقلت في نفسي ... مافاز ... لقد قتلت الرجل ..

حتى سألت بعد ذلك عن قوله ... فقالوا :

يعني فاز بالشهادة ... فاز لعمر الله ...

إنه الامتحان الصعب العسير في سبيل الإيمان بالله يدفع المرء حياته ثمنا له

# ( ثمامة بن أثال )

( ... 12 هـ )
( ... 633 م )

هو ثمامة بن أثال بن النعمان اليمامي من عظماء بني حنيفة ومن أجلاء الصحابة ...

كان يبغض الإسلام ويعلن عن كراهيته في كل مجمع ومحفل، ويسعى لمحاربته ماوجد إلى ذلك سبيلا ...

ولما استيقظ قلبه، وتفتحت بصيرته، وهب على قلبه نسيم الإيمان، وأدرك قيمة الإسلام وتبين مزاياه وخصائصه أسلم وصار من بناة الإسلام، وحماته، وصناع مجده وتاريخه ...

ويذكر المؤرخون في إسلامه أن سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقيادة محمد بن مسلمة وجهت إلى بني بكر بن كلاب في ناحية ضرية[1] الواقعة على سبع ليال من المدينة في طريق البصرة والتقت السرية بثمامة فأسرته وهي لاتعرفه، فلما حضروا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عرفه وعامله بمنتهى مكارم الأخلاق وأطلق سراحه بعد ثلاثة أيام رفض خلالها الإنقياد إلى الإسلام عندما عرض

(1) ضرية بالفتح ثم الكسر وياء مشددة قال الحموي : ماأراه إلا مأخوذا من الضراء وهو ماواراك من شجر.

عليه ...

ولما رأى ثمامة هذه المعاملة وهذه المكارم التي لم تكن تخطر على باله رأى من العبث والضلالة بحق أن يلج في الغواية، ويضل على هواه، ويترك دينا عماده المحامد والمكارم والقيم، فرجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأعلن إسلامه عن طواعية واقتناع ...

وخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله :

( يامحمد، والله ماكان على الأرض من وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي ... والله ما كان على الأرض من دين أبغض إلي من دينك فقد أصبح أحب الدين كله إلي، والله ماكان بلد أبغض إلي من بلدك فقد أصبح أحب البلاد إلي )

وثبت ثمامة على إسلامه عندما ارتد أكثر بلاده بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فنهى قومه عن اتباع مسيلمة الكذاب وكان يقول لهم في قوة المؤمن الشجاع :

( إياكم وأمرًا مظلما لانور فيه وأنه لشقاء كتبه الله على من اتبعه ) ولحق ثمامة بالعلاء بن الخضرمي في جمع من الأبطال الذين ثبتوا على دينهم ولم تزعزعهم الفتنة، ولم ينل من إيمانهم زلزال الإرتداد فقاتل المرتدين باستبسال رائع، وصمود نادر في تلك المعركة الرهيبة التي حصدت من رجال مسيلمة أربعة عشر ألفا، وسقط في ميدان الشرف والعز ألف ومائتا شهيد من بينهم تسعة وثلاثون من كبار الصحابة ومن حفاظ القرآن الكريم ...

وهكذا سيظل ثمامة للأجيال المتعاقبة على ساحل الحياة درسا وعبرة :

تحول بغضه الشديد للإسلام إلى حب عميق وإخلاص عظيم بسبب المعاملة الحسنة، التي تتجه نحو القلوب فترققها، والطبائع فتهذبها وتلينها ..

عرض عليه الإسلام فرفضه خشية أن يقال إنه أسلم جبرا عليه وقهرا ولما انكشفت له محاسنه، ووقف على جليته بادر إليه وأظهره غير مكترث بأحد ...

وأخلص ثمامة للإسلام وثبت عليه ودافع عنه في وقت ارتد عنه آلاف من المسلمين من بني قومه وأعلنوا حربا شعواء ضده ...

تلك صفحات مشرقة من حياة هذا الصحابي ستبقى على الدوام مضيئة هادية تضيء العقول والقلوب ... وتهدي إلى الصراط القويم ...

## ( عبـد الله بـن عبد الله بن أبـي )

( . . .          12هـ )

هو عبد الله بن عبد الله بن أبي إبن سلول الأنصاري ...

كان اسمه ( الحباب ) فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله، وكان أبوه عبد الله رأس المنافقين وممن تولى كبر الإفك في عائشة رضي الله عنها، أما إبنه عبد اللـه هذا فهو من فضلاء الصحابة وخيارهم، شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع الرسول صلى اللـه عليه وسلم.

كان أبوه عبد اللـه المنافق من أشراف الخزرج وسادتهم، وكانت الخزرج قد اجتمعوا على أن يتوجوه ويسيدوه عليهم قبل بعثة الرسول صلى اللـه عليه وسلم فلما ظهرت الدعوة الإسلامية نفس على الرسول صلى اللـه عليه وسلم النبوة وأخذته العزة، وأضمر النفاق حسدا وبغضا.

وهو الذي قال في غزوة ( تبوك ) ليخرجن الأعز منها الأذل، والحادثة يرويها لنا إبن جرير الطبري فيما يلي عن أبي زيد :

قال ابن جرير : دعا رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم عبد الله بن عبد الله بن أبي قال :

ألا ترى مايقول أبوك ؟

قال : مايقول بأبي أنت وأمي ؟

قال : يقول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

فقال : فقد صدق والله يارسول الله، أنت والله الأعز وهو الأذل، أما والله لقد قدمت المدينة يارسول الله وأن أهل يثرب ليعلمون مابها أحد أبر مني، ولئن كان يرضى الله ورسوله أن أتيهما برأسه لأتيتهما به.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا

فلما قدموا المدينة قام عبد الله بن عبد الله بن أبي على بابها بالسيف لأبيه ثم قال :

أنت القائل لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ؟ أما والله لتعرفن العزة لك أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والله لايأويك ظله ولاتأويه أبدا إلا بإذن من الله و رسوله.

فقال : ياللخزرج. إبني يمنعني بيتي ... للخزرج إبني يمنعني بيتي ...

فقال : والله لايأويه أبدا إلا بإذن منه ...

فاجتمع إليه رجال فكلموه فقال :

والله لايدخله إلا بإذن من الله ورسوله

فأتوا الرسول صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال :

إذهبوا إليه فقولوا له : خله ومسكنه ...

فأتوه فقال : أما إذا جاء أمر النبي صلى الله عليه وسلم وإيثارهم له على أنفسهم وأهليهم ...

ولايكون المؤمن مؤمنا حقا حتى يكون الله ورسوله أحب من نفسه وأهله وعشريته.

ـ واستشهد عبد الله يوم اليمامة في خلافة أبي بكر سنة 12 هـ.

# ( ثابت بن قيس )

( ...      12 هـ )
( ...      633 م )

هو ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي، يكنى أبا محمد، صحابي جليل، وخطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فيه : ( نعم الرجل ثابت )

اشتهر ثابت بالإيمان القوي، والشجاعة النادرة، وحب التضحية والفداء في سبيل الله، وسجل في تاريخ الإسلام صفحات مشرقة تبعث على الفخار والإعجاب والاعتزاز ...

ويذكر المؤرخون ورجال السيرة أن ثابت بن قيس كان مغوارا عظيما يقتحم الأهوال وهو أهدأ مايكون روعا ويتحدى الخطوب وهو أملك مايكون لنفسه ...

وكانت شجاعته كالنار في البركان الهادىء تسكن ولاتنطفيء، حتى إذا أثارتها الحمية لعرض يهتك، أو عقيدة تداس، أو دين يهان أو حق يغتصب، انفجرت بين جوانبه انفجار البركان، فلاتذر من شيء أتت عليه إلا دمرته وأهلكته ...

وقد شهد أحدا وما بعدها من المشاهد، وعن أنس بن مالك أن الرسول صلى الله عليه وسلم افتقد ثابت ابن قيس فقال من يعلم لي علمه ؟

فقال رجل : أنا يارسول الله، فذهب فوجده جالسا منكسا رأسه فقال : ما شأنك ؟ قال : شر ... كنت أرفع صوتي فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد حبط عملي وأنا من أهل النار ...

فرجع إلى رسول الله فأعلمه ...

قال موسى بن أنس فرجع إليه والله في المرة الأخيرة ببشارة عظيمة، فقال أذهب فقال له لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة ...

ومن أروع مواقفه البطولية التي يرويها المؤرخون لثابت في فخر واعتزاز والتي تشهد له بالعقيدة القوية والإيمان الصادق، والتفاني في حب التضحية والفداء في سبيل الله هذا الموقف الذي وقفه في معركة اليمامة والذي يظل من العناوين البارزة في صفحات التاريخ :

قال أنس بن مالك :

لما انكشف الناس يوم اليمامة قلت لثابت بن قيس : ألا ترى ياعم ؟، ووجدته قد حسر عن فخذه وهو يتحنط فقال : ماهكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ماعودتم أقرانكم، وبئس ماعودتم أنفسكم، اللهم إني أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء ( يعني الكفار ) وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء ( يعني المسلمين )

ثم حفر في الأرض لقدميه إلى أنصاف ساقيه، وبجانبه زيد بن الخطاب يحرض المسلمين على القتال ويقول :

أيها الناس عضوا على أضراسكم واخرجوا عدوكم، وامضوا قدما، والله لاأتكلم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحجتي ...

وظل ثابت بن قيس يجاهد بصمود واستبسال وهو مغروس في الأرض حتى سقط شهيدا، وذلك خلافة أبي بكر سنة 12 هـ

وفي كتاب ( الإستيعاب ) أن على ثابت بن قيس ـ عند استشهاده ـ درعا له نفيسة، مر به رجل من المسلمين فأخذها فبينا رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت في منامه فقال له :

إني أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه :

إني لما قتلت أمس مربي رجل من المسلمين فأخذ درعي، ومنزله في

أقصى الناس، وعند خبائه فرس يستن[1] في طوله وقد كفأ على الدرع برمة، وفوق البرمة رحل، فائت خالدا فمره أن يبعث إلى درعي فيأخذها، وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني أبا بكر رضي الله عنه - فقل له :

إن علي من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق فلان ...

فأتى الرجل خالدا فأخبره فبعث إلى الدرع فأتى بها وحدث أبابكر رضي الله عنه برؤياه فأجاز وصيته بعد موته قال :

ولانعلم أحدا أجيزت وصيته غير ثابت بن قيس رضي الله عنه ...

وستظل الأمة الإسلامية بخير ما دام فيها أمثال ثابت بن قيس إيمانا وشجاعة، ورغبة في الموت من أجل الحياة ...

---

(1) يستن : يعدو لمرحه ونشاطه.

## ( هنـد بنـت عتبـة )

( ... 14 هـ )
( ... 635 م )

المرأة التي استبدت بها نزعة الحقد، وتملكها الغل، وتلبدت على عقلها سحب الجهل والشرك ثم دواها الإسلام وطهر قلبها وعقلها من أباطيل الوثنية والكفر. فتبينت الطريق، وانطلقت فيه تصنع الحياة، وتبنى الوجود الحقيقي ...

إنها هند بنت عتبة بن عبد شمس بن مناف الصحابية القرشية. ووالدة معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية التي دان لها المسلمون قرابة تسعين سنة.

تركزت شهرتها قبل الإسم على موقفها في معركة بدر مع المشركين، وقد فقدت فيها ذويها ورثتهم بشعر جيد ...

وفي أحد تصدرت النسوة اللائي كن يضربن الدفوف خلف الرجال يحرضنهم على التجلد والإستبسال في قتال الرسول وأصحابه وكانت تقول في شجاعة وحمية.

ويهـــا بني عبـــد الـــدار ويهـــا حمـــاة الأدبـــار
ضـــربـــا بـــكـــل بـتـــار

إن تقبلـــــوا نعـــــانق ونفـــــرش النمـــــارق
أو تـــدبـــروا نفـــارق فـــــراق غيـــــر وامق

وانقضت هند وصواحبها على القتلى من أصحاب رسول الله في حنق وغيظ يمثلن بهم : يجدعن الآذان والأنوف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خلاخل وقلائد، وبقرت هند عن كبد حمزة بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ...

ثم علت صخرة مشرفة فأخذت تقول بأعلى صوتها

نحن جـــزينـــاكم بيـــوم بـــدر والحرب بعد الحرب ذات سعـر
ما كان عن عتبة لي من صبـر ولا أخي وعمـــه وبكـــري
شفيت نفسي و قضيت نذري شفيت وحشي غليـــل صـــدري
فشكـــر وحشي على عمـــري حتى تـــرم أعـــظمي في قبـــري

ويوم فتح مكة اجتمع الناس لبيعة الرسول صلى الله عليه وسلم على الإسلام فجلس لهم على الصفا، ولما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء.

واجتمع إليه نساء من قريش فيهن هند بنت عتبة متنقبة متنكرة لحدثها وما كان من صنيعها بحمزة فلما دنون منه ليبايعنه، قال رسول الله. تبايعنني على ألا تشركي باللـه شيئًا ؟

فقالت هند، والله إنك لتأخذ علينا أمرا ماتأخذه على الرجال وسنؤتيكه !

قال. ولاتسرقن. قالت واللـه إن كنت لأصيب من مال أبي سفيان - زوجها - الهنة والهنة ومأدري أكان ذلك حلالي أم لا ؟

فقال رسول اللـه. وإنك لهند بنت عتبة ؟ قالت : أنا هند بنت عتبة فأعف عما سلف، عفا الله عنك.

قال : ولاتزنين. قالت : وهل تزني الحرة ؟ قال : ولاتقتلن أولادكن، قالت : ربيناهم صغارا وقتلتهم يوم بدر كبارا فأنت وهم أعلم.

قال : ولاتأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن. قالت : إن إتيان البهتان لقبيح ولبعض التجاوز أمثال.

قال : ولاتعصينني في معروف، قالت : ماجلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك في معروف.

فقال رسول الله لعمر : بايعهن، واستغفر لهن، فبايعهن عمر ...

فحول الإسلام هندا من مشركة إلى مؤمنة، ومن غليظة قاسية إلى لينة رحيمة، ومن عدوة للإسلام تحرص على قتال المسلمين إلى صحابية جليلة تشهد اليرموك وتحرض المسلمين على قتال الروم ...

إنه الإيمان الذي يصنع المعجزات، والهداية التي تفتح مغالق الحياة.

## ( أبو سفيان بن الحارث )

( . . . 15 هـ )

هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وكان أخا رسول الله من الرضاعة أرضعتهما حليمة السعدية.

كان من الشعراء المطبوعين وكان قد هجا الرسول قبل إسلامه وهو الذي عارضه حسان بن ثابت بقوله :

ألا أبلغ أبـــــا سفيــــــان عني
مغلغلـــــة فقـــد بـــرح الخفـــاء
هجـــوت محمـــدا فــــأجبت عنه
وعنــد اللـــه في ذاك الجـــزاء

وأسلم يوم الفتح قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفي ذلك يقول ثمامة :

دعـــانـــا إلى تــرك الـــدبـــانـــة والهــــدى
مسيلمــــة الكذاب أدعــــاء يسجــــع

فيـــــا عجبـــــا من معشر قـــــد تـــــابعـــــوا[1]
لـــــــــه في سبيــــــــل الغي والغي أشنــــــــع

وكان أبو سفيان في إسلامه نموذجا عاليا في سلوكه وخلقه.

ذكر ابنِ عبد البر بإسناده عن عائشة رضي اللـه عنها قالت :

مر علينا أبو سفبان بن الحارث فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

هلمي ياعائشة حتى أريك ابن عمي الشاعر الذي كان يهجوني ... أول من يدخل المسجد وآخر من يخرج منه لايجاوز طرفه شراك نعله وكان لايرفع رأسه إلى رسول الله صلى اللـه عليه وسلم حياء منه ...

وشهد أبو سفيان حنينا وأبلى فيها البلاء الحسن وكان ممن ثبت ولم يفر يومئذ ولم تفارق يده لجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انصرف الناس إليه ..

ويروى أنه لما أسلم أنشد معتذرا عما سلف منْه :

لعمــــــــرك أني يــــــوم أحمــــــــل رايــــــــة
لتغلب خيــــــل الـــــــلات خيــــــل محمــــــــد
لك المــــــــظلم الحيــــــــران أظلم ليلــــــــــه
فهذا أواني حين أهـــــــدي فـــــــــاهتـــــــــدي
هــــــــداني هــــــاد غيــــــــر نفسي ودلني
على اللــــــــــه من طــــــردتــــه[2]كـــــل مـــــطـــــرد
أصــــــــد[3] وانــــــأى جـــــــاهـــــــدا عن محمد
وأدعي وإن لم أنتسب من محمـــــــــــــــــــد[4]

قال أبو إسحاق : فذكروا حين أنشد رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم قوله : ((من طردته كل مطرد » ضرب رسول الله صدره و قال : أنت طردتني كل مطرد ...

---

(1)تتياعوا : اسرعوا وعجلوا.
(2)في الطبقات : من طردت.
(3)في الطبقات : أفر.
(4)في الطبقات : بمحمد.

ولما التحق الرسول صلى اللـه عليه وسلم بالرفيق الأعلى بكاه ورثاه بشعر يفيض حزنا، ويصور أنفسا متالمة ولهى منها قوله :

أرقت فبات ليلي لا يزول
وليل أخي المصيبة فيه طول
فأسعدني البكاء وذاك فيما
أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت
عشية قيل قد قُبِض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها
تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا
يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه
نفوس الناس أوكادت تسيل
نبيٌّ كان يجلو الشك عنا
بما يوحي إليه وما يقول
ويهدينا فلانخشى ضلالا
علينا والرسول لنا دليل
أفاطم إن جزعت فذاك عذر
وإن لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيّد كل قبر
وفيه سيد الناس الرسول

وعندما حضرته الوفاة قال : لاتبكوا علي فإني لم أتنطف [5] بخطيئة منذ أسلمت، ودفن في دار عقيل بن أبي طالب بعد أن صلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت وفاته سنة 15 هـ.

---

(5)اتنطف : اتلطخ.

وهكذا كان أبو سفيان مثالا للتائب المخلص، والمجاهد الصادق، والفدائي البطل، والصحابي الجليل الذي كانت حياته سفرا حافلا بالعزم البناء، والبطولة الصانعة، والتضحية السخية، تحية له في الخالدين.

# ( أبو عبيدة بن الجراح )

( 40ق هـ        18 هـ )

هو عامر بن عبد اللـه بن الجراح بن هلال الفهري القرشي، البطل الشجاع، والأمير القائد، والصحابي الجليل، فاتح الديار الشامية، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين إلى الإسلام.

ولد بمكة ( 40 ق هـ ) وشهد بدرا مع النبي صلى اللـه عليه وسلم ومابعدها من المشاهد كلها، قال في حقه الرسول : ( لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح )

كانت قلوب الناس تهفو إليه حبا لرفقه وأناته وتواضعه، وقد حفظ التاريخ في صفحاته الوضاءة المشرقة، صورا رائعة لمواقفه البطولية، وأعماله الجليلة الخالدة، وإنها لكثيرة تتزاحم على الفكر، وكلها جديرة بالتسجيل والإعجاب والاعتبار، ولكن حسبنا منها هذا الموقف الرائع الذي يصور قوة العقيدة، وغلبة الحق، وانتصار العقل على العاطفة، وهيمنة الإيمان على الطبائع البشرية، والنوازع النفسية. وتفاهة كل شيء أمام العقيدة والحق ومن أجل أن تنتصر مبادىء الإسلام العادلة.

لقد كان أبوه من أعداء الإسلام وخصومه الألداء الذين لايفتأون يحاربون

أتباعه ... وكان همه الوحيد الذي وقف كل نشاطه عليه، طمس معالم الإسلام، وإطفاء نوره، ومحاربة من ينتظم في سلكه ..

فحارب إبنه وعزم على قتله، وكان يهاجمه ويطارده، لالشيء أنكره عليه من مساوئ وموبقات، ولكن لأنه آمن بالله ورسوله، وتحرر من عبودية الشرك.

وكان أبو عبيدة يصدف عن أبيه ويحاول أن يتجنبه، ماوجد إلا ذلك سبيلا لأنه أبوه ومن حق أبيه عليه البعد عن كل مايؤلمه أو يؤذيه، والقيام بما يجب له من طاعة ورعاية واحترام، فكثيرا ماقاسى في سبيله وكثيرا ما شقي من أجل أن يسعد، ولكن أباه قد حاد عن الجادة، وانحرف عن سواء السبيل، وهمه الصد عن سبيل الله، وطمس وإطفاء نوره المبين، ومن ثم وجبت مقاومته ومحاربته، وقتله إن لزم الأمر.

ولم يفتا أبوه يطلب قتله في عناد وإصرار، حتى تيقن أبو عبيدة أنه لم يعد ينفع معه لين ولا هوادة ...

عندئذ غلب العقل على العاطفة، والحق على العلاقات الإنسانية ولو كانت هذه العلاقة بين الإبن وأبيه ... فقتله ...

قتله لأنه عدو الله، وعدو الإسلام، وعدو الحياة الجديدة التي أشرقت شمسها على الكون تبدد مافيه من ظلام.

( قتل أبو عبيدة أباه ... قتل الشرك في نفسه، والكفر في صدره، والغدر في قلبه، و العناد في نفسه ... وقضى عليه ليترك الحياة الجديدة تنشر ظلالها على الأرض، وتصنع الإنسان الذي يريد الله أن يعمر به هذا الكون.

وقد سجل الوحي السماوي هذا الموقف الرائع على صفحات دستور البشرية فقال تعالى :

**( لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا أباءهم أوأبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولائك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولائك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون )**

ويقود أبو عبيدة الجيش الإسلامي في معركة ( عمواس ) فيبعث إليه عمر ابن الخطاب كتابا وقد خشي عليه من مرض منتشر فيها وهو يريد أن يدخره ذخرا للجيوش الإسلامية كثروة هائلة للقيادات الحربية، ويقول فيه :

( أما بعد فإني قد عرضت لي إليك حاجة أريد أن أشافهك فيها فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي فلا تضعه حتى تقبل إلي. )

فيدرك أبو عبيدة مايريد عمر ويقول : ( يغفر الله لأمير المؤمنين عمر ) ثم يكتب إليه يقول :

( قد عرفت حاجتك إلي، واني في جند المسلمين لاأجد بنفسي رغبة عنهم، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله في وفيهم أمره، فحللني من عزمتك ياأمير المؤمنين ودعني في جندي ...)

ويقرأ عمر كتاب أبي عبيدة ويبكي فيسأله الناس حوله : أمات أبو عبيدة ؟ ويقول، والدمع ينهمر من عينيه، لا، وكأن قد، وكان ماخشيه عمر فدفن ( بعوامس ) وذلك سنة 18 هـ.

# البـراء بـن مالك

( . . .          20 هـ )

هو البراء بن مالك بن النضير النجاري الخزرجي أخو خادم النبي صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك ...

كان بطلا كرارا، وفدائيا مغوارا، ومقداما لايعرف التردد والإحجام، شهد أحدا وما بعدها مع الرسول صلى اللــه عليه وسلم وبايع تحت الشجرة.

واشتهر البراء في مختلف الأوساط بالشجاعة والنصر على كل من ينازله أو يحاربه حتى كتب عمر بن الخطاب إلى عماله ( لا تستعملوا البراء على جيش من جيوش المسلمين فإنه مهلكة يقدم بهم ...)

وكان في مظهره ( ضعيفا متضعفا ) قد لاتحله العين مكانته الصحيحة، ولكنه إذا حمى الوطيس وجد الجد، انكشف عن حقيقته، وارتفع الستار عن ليث هصور لايقوى على مقاومته أحد وقد قتل مائة شخص مبارزة عدا من قتل في المعارك المختلفة التي خاضها.

وعن أنس أنه دخل على أخيه البراء وهو يتغنى فقال. تغني ؟ قال : أتخشى علي أن أموت على فراشي وقد قتلت تسعة وتسعين نفسا من المشركين مبارزة سوى ما شاركت فيه المسلمين ؟

وكانت مواقف البراء البطولية آيات باهرات، على رسوخ العقيدة، وعمق الإيمان، والتفاني في حب الإسلام وكل معركة خاضها كان له فيها شأن وأي شأن ولكنه في معركة اليمامة وقف موقفا لم يكن بطوليا فحسب بل هو يرتفع إلى الأفق الأعلى في البطولة، ويغوص في أعمق التضحية بمعانيها ودلالاتها البعيدة.

فقد اعتصم مسيلمة الشقي وأعوانه بحديقة ... وامتنعت أسوارها على المسلمين من جند خالد بن الوليد وطال الحصار، وبدأ القلق يساور نفوس المسلمين، وأخذت الدماء تغلي في صدورهم، فلم يجدوا وسيلة للالتحام بالأعداء المتحصنين بالحصون والأسوار.

ولكن بناة التاريخ، وصناع المجد لاتعجزهم الحصون والأسوار. ولاتنثني هممهم أمام العقابات، فبرز من بين صفوف المسلمين بطل دفع به الإيمان وحب الفداء إلى الإستشهاد وتحرير وثيقة المجد في هذه المعركة ... فاشرأبت الأعناق، واتجهت الأبصار في دهشة وإعجاب إلى هذا الذي يخرج من بين الصفوف في ثبات الجبال، وضراوة الأسود ليسجل صفحة في تاريخ الإسلام ولكن في صورة الأسطورة.

تقدم البراء بن مالك ... وطلب من إخوانه المجاهدين أن يحملوه على ترسه ويلقوه من فوق أسوار الحديقة ليفتح لهم بابها لكي يتدفقوا إليها فيقاتلوا المشركين، ولكن المسلمين رفضوا طلبه لعلمهم أن سيوف الأعداء لابد أن تتلقفه فتمزقه شر تمزيق ولكن البراء الذي يحمل بين جوانحه قلبا يفيض إيمانا، ويتأجج حماسا أصر على إقتراحه وأبى الا ان ينفذ مهما كان فيه من الخطورة.

فما كان من المسلمين إلا أن لبوا رغبته فرفعوه برمحهم ثم ألقوا به إلى الأعداء أمام باب الحديقة وأعمل سيفه فيهم يمنة ويسرة في ضراوة الأسد، فأصيب بجروح ولكنها لم تثنه عن تحقيق هدفه فحاول فتح باب الحديقة حتى تم له ذلك تحت ضربات السيوف، فتدفق جند المسلمين إلى الداخل يعملون سيوفهم في بطولة واستبسال فكانت المذبحة رهيبة بحق، وكان حصادها ـ كما ذكر المؤرخون ـ سبعة ألاف قتيل من جند مسيلمة الكذاب وسبعة آلاف آخرين قتلوا أثناء المطاردة وتتبع فلول المنهزمين.

أما شهداء المسلمين فقد كانوا ( 1200 ) من بينهم تسعة وثلاثون من كبار الصحابة ومن حفاظ القرآن.

والبراء بن مالك ما مصيره بين هذا العديد من الشهداء ؟

لقد صدق أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذ قال ( أحرص على الموت توهب لك الحياة ) ولقد تلقى جسده من سيوف المشركين بضعا وثمانين طعنة ومع ذلك لم تكتب له الشهادة هذه المرة فظل على أمنيته الغالية يخوض معركة بعد أخرى، وفي موقعة ( تستر ) الشهيرة تحققت لعاشق الموت أمنيته: فسقط شهيدا بعد أن ضرب - كعادته - أروع الأمثال في البطولة والإستبسال، وذلك سنة 20 هـ.

# ( خولة بنت ثعلبة )

( . . . .                    . . . . )

هي خولة بنت ثعلبة بن مالك الخزرجية، زوجة أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت ...

وهي التي خلد القرآن الكريم قصتها، وسمع الله قولها، وأجاب سؤالها، وفرج كربتها، وهي قصة نضالية للمدافعين عن الحق، والباحثين عن الخير، والمدلجين في ظلام معتم يريدون الهدى والنور، والقلقين المضطربين يلتمسون الهدوء والطمأنينة والأمان ...

وخلاصة قصتها أن زوجها ( أوس بن الصامت ) دخل عليها يوما فوجدها في صلاة ... فانتظرها وهو يتأمل جمالها الرائع الذي حباها الله به حتى انتهت من صلاتها، فراودها فلم تلب طلبه، وكانت به خفة فهاج غضبه، وصرخ في وجهها قائلا :

( أنت علي كظهر أمي ) ...

وكان الرجل في الجاهلية إذا قال ذلك لإمرأته حرمت عليه، فندم من ساعته، فدعاها فأبت وقالت :

والذي نفس خولة بيده لاتصل إلي وقد قلت ماقلت حتى يحكم الله ورسوله

فينا )

فذهبت خولة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم تشكو إليه أمرها، وتسأله مخرجا من المأزق الذي وقعت فيه، وقد أظلمت الدنيا في وجهها، وانسدت الأبواب أمامها، واستبدت بها الحيرة والاضطراب ... وكيف لا، وقد تهدم عشها، وتشتت جمعها، وانتهت حياتها السعيدة التي كانت تسترعى انتباه المجتمع الإسلامي.؟

وجدت رسول الله في بيت عائشة أم المؤمنين فدخلت وسلمت، وكان صلى الله عليه وسلم يغسل رأسه فلم تتمهل حتى ينتهي، وأنى لها أن تنتظر وتتمهل، وقلبها ينهشه القلق، وتعذبه الحيرة ...

فقالت : يارسول الله إن أوسا تزوجني وأنا شابة مرغوب في. فلما خلاسني، ونثرت بطني، جعلني عليه كأمه وتركني إلى غير أحد فإن كنت تجد لي رخصة يارسول الله تنعشني بها وإياه فحدثني بها ...

فقال عليه الصلاة والسلام :

( ما أراك إلا قد حرمت عليه )

قالت : ماذكر طلاقا ...

وجادلت الرسول صلى الله عليه وسلم مرارا ثم قالت :

اللهم إني أشكو إليك شدة وحدتي، ومايشق علي من فراقه ... وأن لي صبية صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلي جاعوا ...

وجعلت ترفع رأسها إلى السماء في خشوع وخضوع وحزن، وتصرخ من قلبها :

اللهم إني أشكو إليك اللهم، فانزل على لسان نبيك ...

ورأت عائشة تغيرات على الرسول كتلك التي تراها عند نزول الوحي فأمرت خولة بالصمت المطلق، وماهي إلا فترة وجيزة حتى هش الرسول في وجه خولة حيث نزل عليه قوله تعالى :

**( قد سمع اللـه قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى اللـه و اللـه يسمع تحاوركما إن اللـه سميع بصير، الذين يظهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور، والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل**

**أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم )**

فعادت البسمة إلى الشفاه، والطمأنينة إلى القلوب، والسعادة إلى العش الهادىء الأمين ...

وارتفعت المعرفة في نفوس المؤمنين بهذا الحادث إلى مقام المعاينة والمشاهدة ...

فالله إذن - معنا كل لحظة، يحصي كل حركة من حركاتنا، بل يعلم ماتوسوس به نفوسنا، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد ...

قال الإمام الرازي رحمه الله :

( إن هذه الواقعة تدل على أن من انقطع رجاؤه عن الخلق. ولم يبق له في مهمة أحد سوى الخالق، كفاه الله ذلك المهم ...)

أجل إن الأبواب كلها يمكن أن تغلق في وجه الإنسان، وإن الطرق جميعها يمكن أن تنسد أمام الإنسان ... ولكن باب الله ... والطريق إلى الله هما اللذان يظلان مفتوحين على الدوام ...

وستظل هذه الحادثة : حادثة المؤمنة الصادقة خولة بنت ثعلبة تنطق بهذه الصلة القوية بين الأرض والسماء، بين الإنسان وخالقه.

وإذا كان المؤمنون يشاهدون من حين لآخر كيف تعطف السماء على الأرض فتمدها بالرحمة، وتتدخل في شؤونها المختلفة الهامة التي بقيت وستبقى دستور الأمة الإسلامية - فإنهم قد شهدوا في المدينة المنورة ذات يوم كيف تصغى السماء لأنه من إنات الأرض على لسان امرأة فقيرة ضعيفة حزينة هي خولة، وكيف سمع الله نداءها وأجاب سؤالها.

و تمضي السنون ...

وذات يوم بينما كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير ومعه بعض أصحابه إذ تناديه سيدة عجوز :

( رويدك ياعمر حتى أكلمك كلمات قليلة ...)

فوقف لها أمير المؤمنين ودنا منها وأصغى إليها ووضع يده على منكبيها فقالت له :

ياعمر، عهدي بك وأنت تسمى عميرا. ثم قيل لك عمر. ثم قيل لك أمير المؤمنين، فاتق اللـه ياعمر فإنه من أيقن الموت خاف القوث. ومن أيقن الحساب خاف العذاب ...)

ثم انصرف وتركته يجيب على أسئلة أصحابه الذين شاهدوا اهتمام أمير المؤمنين بهذه العجوز ...

فقال له رجل : ياأمير المؤمنين، حبست رجال قريش على هذه العجوز ؟

قال : ويحك، أتدري من هذه ؟

قال : لا

قال : هذه امرأة سمع اللـه تعالى شكواها من فوق سبع سموات، هذه خلوة بنت ثعلبة، واللـه لو لم تنصرف حتى أنى الليل ماانصرفت حتى تقضي حاجتها ...

وستبقى خولة مثالا للمرأة المناضلة في سبيل حقها، وسيظل اسمها مقرونا بآيات من كتاب اللـه الكريم وستظل قصتها تنطق بصدق العقيدة وروعة الإيمان، والثقة المطلقة في اللـه تعالى ...

وأخيرا من من المؤمنين بعد هذا لايوقن بأن اللـه معه أينما كان، وأنه يراقبه وينصره ويسمع دعاءه ؟؟ ومن من المؤمنين بعد ذلك يجرؤ على مخالفة أوامر اللـه ؟؟

# ( صفيـــة القرشيـــة )

( ... 20 هـ )
( ... 641م )

هي صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن مناف عمة الرسول صلى الله عليه وسلم وشقيقة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ... وأمها هالة بنت وهب.

تزوجت صفية في الجاهلية بالحارث بن حرب بن أمية ثم هلك عنها وتزوجت بعده العوام بن خويلد فولدت له الزبير بن العوام ...

وكانت شاعرة موهوبة، وبطلة شجاعة؛ أسلمت قبل الهجرة وبايعت الرسول صلى الله عليه وسلم ثم هاجرت إلى المدينة وحضرت غزوة أحد ...

ولما انهزم المسلمون أخذت رمحها وغدت تصول في الميدان كاللبؤة الغضبى وهي تصيح في وجوه الناس وتقول لهم :

( ويحكم لقد انهزمتم عن رسول الله ... )

فتأثر الرجال لكلمتها وطأطأوا رؤوسهم خجلا منها ...

ولما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الزبير أن يبعدها حتى لاترى أخاها حمزة قد مثل به الأعداء وبقروا بطنه؛ زجرته وأقبلت على أخيها ...

وفي غزوة الخندق ترك الرسول صلى الله عليه وسلم زوجاته في حصن حسان

بن ثابت فأقبل جمع من اليهود وأخذوا يرمون الحصن، ودنا أحدهم إلى بابه فلمحته صفية يتجسس، والتجسس والوشاية والغدر من طبائع اليهود وشيمهم ولم يكن مع زوجات النبي الاحسان فقالت له :

إن هذا اليهودي كما ترى فاقتله حتى لايخبر اليهود بوجود أمهات المؤمنين في الحصن فيها جموه فامتنع فأخذت صفية عمودا من الحديد ونزلت إلى اليهودي فقتلته ثم قالت لحسان :

أنزله فاسلبه فلو لا أنه رجل لا ستلبته ..

فقال حسان : لاحاجة لي فيه ..

فقالت له : خذ الراس وارم به الى اليهود ..

فقال : ماذاك فيى ..

فأخذت صفية الراس فرمت به على اليهود فقالوا : ان محمدا لم يترك أهله خلوا ليس معهم احد .. فتفرقوا واخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بما فعلت صفية فضرب لها بسهم من غنائم (بني قريظة).

وشاركت (صفية) في غزوة خيبر ووقفت فيها مواقف زادت صيتها ذيوعا، واطلقت الألسن بالثناء والذكر الجميل، وكانت صفية إلى ذلك كله شاعرة مجيدة تعد من الشواعر العربية المجيدات وقد رثت أباها عبد المطلب بقصيدة تقول فيها بعد أن ذكرت مآثر أبيها ومناقبه :

فلـــــو خلـــــد امـــــرؤ لقـــــديم مجـــــد
ولكن لاسبيـــــــل إلى الخلـــــــود
لكـــــان مخلـــــدا أخـــــرى الليـــــالي
لفضـــــل المجـــــد والحسب التليـــــد

كما بكت أخويها حمزة والزبير بشعر جيد بوأها مكانة بين الشواعر الرثيات ...

وتوفيت صفية في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة المنورة سنة 20 هـ من الهجرة عن ثلاث وسبعين سنة وصلى عليها عمر بن الخطاب ودفنت بالبقيع بفناء دار المغيرة بن شعبة(1)

---

(1)وفي رواية أنها توفيت في إمارة عثمان بن عفان.

# ( جبلـــة بـن الأيهـــــم )

( ...     20 هـ )

( ...     641 ) م

هو جبلة بن الأيهم بن أبي شمر الغساني من آل جفنة[1] الذين كانوا في حدود بلاد العرب مما يلي الشام آخر ملوك الغساسنة وكانوا تابعين للرومانيين وتنصروا كمتبوعيهم.

عاش زمنا في العصر الجاهلي وقاتل المسلمين في دومة الجندل سنة 12هـ وحضر وقعة اليرموك سنة 15 وهو على مقدمة عرب الشام من لخم وجذام وغيرهما في جيش الروم وانهزم الروم وجبلة معهم ثم أسلم

وتروي المصادر التاريخية أن جبلة بن الأيهم لما أراد أن يسلم كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلمه بذلك ويستأذنه في القدوم عليه فسر بذلك عمر والمسلمون فكتب إليه أن أقدم ولك مالنا وعليك ماعلينا فخرج جبلة في خمسمائة فارس من عك وجفنة ؛ فلما دنا من المدينة ألبسهم ثياب الوشي المنسوج بالذهب والفضة ؛ ولبس يومئذ جبلة تاجه وفيه قرط مارية وهي جدته ؛ فلم يبق يومئذ بالمدينة أحد إلا خرج ينظر إليه حتى النساء والصبيان ...

1)ومدة... جفنة 616 سنة تداول الملك منهم فيها 37 ملكا.

وفرح المسلمون بقدوم جبلة وإسلامه، حتى حضر الموسم من عامه ذلك مع عمر بن الخطاب، فبينما هو يطوف بالبيت إذ وطىء على إزاره رجل من بني فزارة فحله، فالتفت إليه جبلة مغضبا، فلطمه فهشم أنفه، فاستعدى عليه الفزاري عمر بن الخطاب فبعث إليه فقال :

مادعاك ياجبلة إلى أن لطمت أخاك هذا الفزاري فهشمت أنفه ؟

فقال : إنه وطيء إزاري فحله، ولولا حرمة هذا البيت لأخذت الذي فيه عيناه ...

فقال عمر :أما أنت فقد أقررت، إما أن ترضيه وإلا أقدته منك ...

قال : أتقيده مني وأنا ملك وهو سوقة ؟

قال : ياجبلة، إنه قد جمعك وإياه الإسلام، فما تفضله بشيء إلا بالعافية ...

قال : والله لقد رجوت أن أكون في الإسلام أعز منى في الجاهلية ...

قال عمر : دع عنك ذلك.

قال : إذن أتنصر ...

قال : إن تنصرت ضربت عنقك ...

واجتمع قوم جبلة ـ الذين أسلموا معه ـ فكادت تكون فتنة، فقال جبلة :

أخرني إلى غد ياأمير المؤمنين ...

فانتظره عمر بن الخطاب، وحينما أرخى الليل سدوله على المدينة خرج هو وأصحابه متجها إلى القسطنطينية ودخل على هرقل فتنصر وأقام عنده وسر به هرقل جد سرور وأكرم وفادته وأقطعه الأرضين والرباع ...

فلما بعث عمر بن الخطاب رسولا إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام قال للرسول : ألقيت ابن عمك هذا الذي ببلدنا الذي أتانا راغبا في ديننا ؟ قال : مالقيته قال : ألقه، فذهب الرسول إلى قصر جبلة فوجد على الباب من الحجاب وأثار النعمة والعظمة مايروع فدخل عليه فألفاه على سرير من قوارير قوائمه أربعة أسود من ذهب وحوله من الأبهة مايخطف البصر ويثير الدهشة فجرى بينهما حديث ثم التفت إلى الجواري اللواتي عن يمينه فقال : بالله أطربنني ...

فاندفعن يغنين :

لله در عصابة نادمتهم يوما بجلق في الزمان الأول

يسقــون من ورد البــريص عليهم　　بــردي يصفق بــالـرحيق السلسـل
أولاد جفنـــة حـــول قبـــر أبيهم　　قبر ابن مـارية الكـريم الأفضـل
يغشـــون حتى مـــاتهـــر كـــلابهم　　لا يسـألـون عن السـواد المقبل
بيض الوجـوه كـريمـة أحسـابهم　　شم الأنـوف من الـطــراز الأول

ثم قال جبلة :

أتدري من قائل هذا ؟

قال الرسول : لا

قال حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

ثم التفت إلى الجواري اللائي عن يساره فقال : بالله أبكيننا فاندفعن يغنين :

لمن الـــدار أقفــرت بمعـــان　　بين أعلى اليـرمـوك فـالخمـان[2]
ذلك مغني لآل جفنـــة في الـــدهـــر محـــلا لحـــادث الأزمـــان
قـــد أراني هنـــاك دهـــرا مكينـــا　　عنـد ذي التـاج مقعـدي ومكـاني
ودنـــا الفصـــح فـــالـــو لائـــد ينـظمن سراعـــا اكلـــة المـــرجـــان[3]
لم يعللن بـــالمغـــافيـــر والصمغ ولانقف حنـــظـــل الشريـــان[4]

فبكى جبلة حتى صارت الدموع تسيل على لحيته ثم قال : أتدري من قائل هذا ؟ قلت : لا أدري قال : حسان بن ثابت ثم أنشأ يقول :

تنصرت الأشراف من عار لـطمـة　　وما كان فيها لو صبرت لها ضرور
تكنفني منهـــا لجـــاج ونخـــوة　　وبعت لها العين الصحيحة بالعور
فيـا ليت أمي لم تلـدني وليتني　　رجعت إلى الأمـر الذي قـال لي عمـر
ويـاليتني أرعى المخـاض بقفـرة　　وكنت أسيـــرا في ربيعـــة أومضر
ويـاليت لي بـالشـام أدنى معيشـة　　أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

---

(2) معان : مدينة في طرف بادية الشام و(اليرموك) واد بناحية الشام و(الخمان) من نواحي الشام
(3) الاكلة جمع اكليل.
(4) الشريان نوع من الشجر.

ثم سأله عن حسان أحي هو؟ فقال له : نعم تركته حيا، فأمر له بهدية يسلمها إليه إن وجده حيا أو إلى أهله إن وجده ميتا ...

وإذا كانت القصة حافلة بالدروس والعبر مليئة بالظلال، فإن أبرز هذه الدروس والعبر روعة الإسلام وعظمته، يسوي بين الملك والسوقة. والقائد والجندي. والحاكم والمحكوم، ويربطهم جميعا برباط الأخوة ويحقق بوحدتهم في نظام عادل شامل حضارة إنسانية رائعة تتلاشى فيها مظاهر الجاهلية، من ظلم وطيش، واثرة وفردية واستعلاء وامتياز.

ولعل داهية من دهاة السياسة الذين يصفون أنفسهم بالنظر البعيد كان يوثر إرضاء الأمير و استبقاء أتباعه في الإسلام و الاحتيال على الشاكي بما يواسيه أو يغنيه عن أن يسوي بين الخصمين، ويمكن للضعيف من ضرب أمير اعتدى عليه ...

فهل معنى ذلك أن عمر كان يعوزه دهاء أولائك الساسة و ما عندهم من بعد نظر مزعوم ؟

كلا، بل معناه أن أولائك الساسة يعوزهم السخط على الظلم، والغيرة على الحق، واليقين بالقدرة والإيمان بمناعة الإسلام، أن يصيبه غضب أمير صابئي بما يضيره، ولو كثر أتباعه والصابئون في ركابه.

وهاهي ذي السنون قد مضت وتلتها الأحقاب، والقرون، فبدا لنا اليوم أن النظر البعيد والعدل السديد في هذه القضية يلتقيان، وأن عمر كان أحسن المتصرفين فيها، لأنه اجتنب التصرف الذي يهواه الدهاة، فقد أفاد الإسلام مالم يفده بقاء جبلة وأتباعه على دينه، ووقاه ضررا أضخم وأوخم من نكر أولائك الصابئين عنه، أفاده ثقة أهله بإقامة أحكامه، واطمئنان الضعفاءإلى كنفه، ورهبة الأقوياء من بأسه، وسمعته في الدنيا برعاية الحق، وإنجاز الوعد، وتصديق معنى الدين، ولامعنى له إن كان أضعف باسا من أمير وجب العقاب عليه ...

ويجوز أن الفاروق لم ينظر إلى عواقب القرون كما ننظر إلها الآن. بعد أن برزت من حيز الغرض إلى حيز العيان غير أن الأمر الذي لا يجوز في إعتقادنا أنه عدل في قضية جبلة ونظائرها عدل آلة أو عدل ميزان : إن الميزان لأقل من مخلوق له حياة.

أما الفاروق في هذه القضية فقد كان أكبر من الحياة الفانية، كان بطلا يؤمن بإيمانه، وهكذا يعلو الإنسان ببطولة الإيمان.[5]

(5)عن كتاب (عبقرية عمر) لعباس محمود العقاد.

## ( خالـد بـن الوليـــد )

( ...      21هـ )

( ...      642م )

هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، فارس الإسلام، وبطل الحروب، وقائد المجاهدين كان من أشرف قريش في الجاهلية، وشهد مع مشركيهم حروب الإسلام إلى عمرة الحديبية، وأسلم قبل فتح مكة مع عمرو بن العاص.

طبع على الأنفة والشجاعة منذ الطفولة، وتربى على الجرأة والإقدام، وورث الحمية من آبائه وأجداده.

و من يتتبع كتب السيرة والتاريخ ويقف على مواقف خالد البطولية، ويرقب بعين الخيال تحركاته وتصرفاته وخططه الحربية الماهرة، يحس أنه أمام عملاق ضخم.

وحسب خالد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال عنه ( إن خالدا سيف الله على المشركين ) شهد الفتح، وحنينا، وحارب أهل الردة ومسيلمة الكذاب، وغزا العراق وشهد حروب الشام وسجل في كل هذه الوقائع صفحات ماجدة يزهو بها تاريخ الإسلام.

وعندما وجهه الخليفة أبو بكر الصديق على رأس جيش لمحاربة الروم في

اليرموك سنة 13هـ سار بجيشه حتى وصل إلى مشارق الشام وهناك نسق جيشه، ونظمه في مواقعه ...

وقبل اندلاع المعركة وقف خالد في جيشه خطيبا فقال بعد حمد الله والثناء عليه.

( إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولاالبغي، أخلصوا جهادكم، وأريدوا اللـه بعملكم، فإن هذا يوم له ما بعده، ولاتقاتلوا قوما على نظام وتعبئة وأنتم على تساند وانتشار فإن ذلك لا يحل ولاينبغي ...)

وكان الروم قد قرروا أن يحشدوا كل قواهم في هذه المعركة حتى تكون الماحقة للعرب ...

وفعلا كان جيش الروم قويا بأعداده وعتاده الضخم إلا أن الجيش الإسلامي المسلح بالعقيدة، والإيمان، والمعزز بإمكانيات حربية لها وزنها، والزاحف بقيادة سيف اللـه المسلول ـ كان على أمل كبير في النصر، وثقة عظيمة في أن اللـه لا يتخلى عنهم، رغم عدم التكافؤ بين القوتين.

ولما بلغ أبا بكر هذا الإعداد الضخم لمحاربة المسلمين قال : ( والله لأشفين وساوسهم بخالد ).

وحينما تأهب الجيشان للالتقاء وبدأت المعركة طلب قائد الروم أن يبرز إليه خالد ليقول له كلمات، وبرز له خالد ليسمع منه هذا القول :

( قد علمنا أنه لم يخرجكم من بلادكم إلا الجوع والجهد، فإن شئتم أعطيت كل واحد منكم عشر دنانير وكسوة وطعاما، وترجعون إلى بلادكم، وفي العام القادم أبعث إليكم بمثلها ؟ ...).

فاهتز خالد لهذه الكلمة السخيفة، وغلى دمه في جميع جسده وقال له في كبرياء المؤمن، وقوة المجاهد الصادق :

( إنه لم يخرجنا من بلادنا الجوع كما ذكرت، ولكننا قوم نشرب الدماء، وقد علمنا إنه لا دم أشهى ولا أطيب من دم الروم فجئنا لذلك ...)

والتقى الجمعان، وبدأ القتال وأخذ يتصاعد في ضراوة وشدة ...

واستمرت المعركة الرهيبة مدة أظهر من خلالها كل من الكفر والإيمان قوته وصلابته وعنفه ... ولكن خالدا ورجاله كانوا فوق المستوى، إذ أظهروا من البطولة والإستبسال ما أذهل العدو وملك عليهم مشاعرهم وجعلهم يؤمنون إن السر في الغلبة

والنصر ليس في قوة الجيوش وضخامة العتاد، وإنما هو في شيء آخر قد يغمض فهمه وإدراكه الاعلى ذوي الإيمان.

وانتهت المعركة بانتصار المسلمين نتيجة تفوقهم في القيادة ... وتفوقهم بالمعنويات وأضاف بذلك خالد صفحة أخرى مشرقة إلى تاريخ الإسلام.

# ( عبـد اللـه بن عبـد اللّه بـن أبـي بـن سلـول )

( . . .     12 هـ )

هو عبد اللـه بن عبد اللـه بن أبي ابن سلول الأنصاري ... كان اسمه الحباب فسماه الرسول صلى اللـه عليه وسلم عبد اللـه.

والملاحظ قبل كل شيء في اعتبار واستبصار أن نشاهد جلال الإيمان إزاء ضلال الكفران، وأن يخرج الحي من الميت ...

فعبد الله بن أبي سلول والد مترجمنا كافر منافق، عدو الإسلام والمسلمين، صورة للكفر والنفاق، صورة للضلال والانحراف، صورة للأحاسيس الغليضة والمشاعر المعطلة، والمدارك المظلمة ...

أما إبنه عبد الله فهو مؤمن صادق، يجاهد في سبيل الإسلام والمسلمين، وصورة مضيئة مشرقة للعقيدة الراسخة، والسلوك الفاضل، والأحاسيس النبيلة، والمشاعر الندية، والتفتح والإدراك ...

وهكذا سار الأب في طريق الشيطان وسار الإبن في طريق الرحمن، وكان الأب زعيم المنافقين يطعن في الرسول والمسلمين، ويخذل المسلمين في غزوة (أحد) ويتصل باليهود ويتآمر معهم ضد المسلمين، وكان الإبن صحابيا جليلا، ومجاهدا بطلا، ومن كتاب الوحي البررة وممن شهدوا بدرا وأحدا والمشاهد كلها

مع الرسول صلى اللـه عليه وسلم.

ماأعجب صنع اللـه في خلقه والد وولد يفترقان هذا الإفتراق، ويختلفان هذا الإختلاف، يشرق الولد ويغرب الوالد، يصعد الولد ويهبط الوالد، يضيء الولد ويظلم الوالد ...

وإذا كان في هذا دروس وعبر كثيرة فأبرزها أن يضحي المؤمن في سبيل العقيدة بكل عزيز ونفيس لأنها حق اللـه تعالى، وأنها الحياة التي لايغيض معينها، فمن فرط في عقيدته واستهان بها مات وإن بقي على الأرض يأكل ويشرب ...

فالإنسان بلاعقيدة انعزال، وانقطاع، وحرمان، وجفاف، وضلال في ظلام ... إذن فالتضحية في سبيل العقيدة التي هي الحياة بأقرب الأقرباء ولو كان الأب هينة يسيرة ...

حاول الإبن أن يصلح شأن أبيه فما نجح في ذلك حتى لقد جاء في بعض الروايات أنه كان جالسا يوما مع الرسول صلى اللـه عليه وسلم فهم الرسول بشرب ماء فقال له :

( بالله يارسول الله إما أبقيت فضلة من شرابها، فأسقيها أبي، لعل الله يطهر بها قلبه )

فأبقى الرسول من شرابه فضلة وحملها إلى أبيه فسأله ما هذا ؟ فقال له إبنه : هي فضلة من شراب رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتك بها تشربها لعل اللـه يطهر بها قلبك ...

فافحش الوالد اللعين في الرد بقوله : فهلا جئتني ببول أمك فإنه أطهر منها ؟

فاستشاظ الإبن المؤمن غضبا وذهب إلى الرسول يستأذنه في أن يقتل أباه ولكن الرسول الكريم قال له :

بل ترفق به وأحسن إليه ...

ولكن الأب المنافق تطاول على الرسول صلى اللـه عليه وسلم غير مرة والرسول يرفق به ويعفو عنه ...

وكان الإبن يظهر دائما إستعداده للقيام بعمل فدائي يقطع فيه رقبة أبيه في سبيل ربه وعقيدته ...

وروى بن جرير بسنده عن إبن زيد قال :

دعا رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم عبد اللـه بن عبد اللـه بن أبي قال : ألا تدري مايقول أبوك ؟

قال : مايقول ـ بأبي أنت وأمي ؟ قال : يقول : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال : فقد صدق واللـه يارسول اللـه، أنت واللـه الأعز وهو الأذل، أما واللـه، لقد قدمت المدينة يا رسول اللـه وإن أهل يثرب ليعلمون مابها أحد أبرّ مني، ولئن كان يرضى اللـه ورسوله أن آتيهما برأسه لأتيتهما به، فقال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم : لا ـ

فلما قدموا المدينة قام عبد اللـه بن عبد اللـه بن أبي على بابها بالسيف لأبيه ثم قال : أنت القائل : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ؟

أما واللـه لتعرفن العزة، لك أو لرسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم، واللـه لايأويك ظله ولا تأويه أبدا إلا بإذن من اللـه ورسوله.

فقال : ياللخزرج، إبني يمنعني بيتي، ياللخزرج إبني يمنعني بيتي ...

فقال : واللـه لا يأويه أبدا، إلا بإذن منه.

فاجتمع إليه رجال فكلموه فقال : واللـه لايدخله إلابإذن من اللـه ورسوله.

فأتوا الرسول صلى اللـه عليه وسلم فأخبروه فقال : إذهبوا إليه فقولوا له : خله ومسكنه.

فأتوه فقال : أما إذا جاء أمر النبي صلى اللـه عليه وسلم فنعم(1)

ومعاداة الصحابة الكرام لأمهاتهم وآبائهم وأقربائهم وأعزائهم في سبيل اللـه أمر سجله التاريخ في صفحاته المشرقة، ومنهج رسمه القرآن الكريم في سورة التوبة قال اللـه تعالى :

**( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان، ومن يتولّهم منكم فأولائك هم الظالمون(2).**

وفي سورة المجادلة : قال تعالى :

**( لاتجد قوما يؤمنون باللـه واليوم الآخر يوادون من حاد اللـه ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان**

---

(1) تفسير الطبري ج 28.

(2) الآية 23.

**وأيدهم بروح منه، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، رضي الله عنهم ورضوا عنه، أولائك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون )**[3].

بهذا الإيمان المتغلغل في أعماق النفوس والأرواح تقوضت أعمدة الكفران، وارتفع لواء الإيمان، وانتصر أهل اليقين **(وماالنصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ..)**

(3)الآية 22.

# ( عميـــر بـن الحمـــام )

( . . .            . . . )

هو عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري السلمي ...

كان رسول الله صلى اللـه عليه وسلم قد آخى بينه وبين عبيدة بن الحارث ...

واشتهر عمير بالعقيدة الراسخة، والإيمان القوي، والإنقطاع لله تعالى بقلبه ووجدانه ومشاعره ... والإيمان القوي الصادق يحول الإنسان إلى طاقة هائلة تتفجر عزما وحزما، وقوة، وهو الفارق أيضا بين من ينفلت من قيود النفس إلى ساحة المجد للتضحية والفداء في سبيل الحق والمثل العليا، وبين من ينفلت من ساحة العقيدة إلى مضايق النفس للتخاذل والنكوس والانهزام ... فالأول مؤمن صادق، والثاني أسير هواه وعبد نفسه وشهواته ...

والإيمان الصحيح الصادق ينشأ عنه حب الله، وحب الخير، والحق، والجمال، وحب الحرية والحياة الطيبة، وتنشأ عنه إرادة التغيير، والقدرة على الصمود أمام الأحداث، والقدرة على الموت من أجل الحياة ...

بهذا النوع من الإيمان صنع عظماء التاريخ أمما وشعوبا، وحققوا خوارق ومعجزات ...

وبهذا النوع من العقيدة والإيمان يضحي الإنسان بنفسه في ساحة القتال ويسبل عينيه على آخر شعاعة من نور الدنيا وهو يبتسم ..

وبهذا النوع من العقيدة والإيمان أقدم هذا الصحابي الجليل ( عمير بن الحمام ) على الموت .. أقدم في شجاعة رائعة لا يتسامى إلى وصفها قلم أو لسان ...

لقد انطلق عمير إلى المعركة تدفعه الرغبة في الشهادة وروحه على كفه حين سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول للمقاتلين في غزوة بدر :

قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض ...

والذي نفس محمد بيده لايقاتلهم اليوم رجل، فيقتل صابرا محتسبا، مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة ...

فقال عمير :

يارسول الله، الجنة عرضها السموات والأرض ؟

قال : نعم ...

قال : بخ، بخ ...

وسل سيفه على عاتقه وأخرج من جيبه تمرات وأخذ يأكل منها، ثم رمى بها إلى الأرض وقال إنها لحياة طويلة إن أكلت هذا التمر ..

وصار يضرب فوق الأعناق، ويضرب كل بنان وهو يقول :

ركضـــا إلى اللـــه بغيـــر زاد إلا التقى وعمـــل المعـــاد
والصبر في اللـــه على الجهـاد وكـــل زاد عـــرضـــة للنفـــاد
غيـــــــر التقى والبـــــــرّ والـــــــرشـــــــاد

ومازال يعمل سيفه في الأعداء حتى سقط تحت سنابك خيل المشركين

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم :

( أن عميرًا دخل الجنة وأصبح من أهلها ).

وهكذا ضرب عمير أروع المثل في البطولة والفداء، ودخل التاريخ من أوسع أبوابه، وصار بإيمانه العميق ورغبته في الشهادة، وبذله لروحه في سبيل الحق، منارة هادية، وقدوة لأجيالنا الصاعدة وجنودنا المظفرين ..

## ( مصعـــب بن عمــيـر )

( . . .        23هـ )

هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، يكنى أبا عبد اللـه ...

ولد في أحضان النعمة، وغذي بلبانها، وشب تحت خمائلها، وكان حديث حسان مكة، وزين ندواتها، ومضرب المثل فيها شبابا وفتوة جمالا ...

وكان الرسول صلى اللـه عليه وسلم يذكره ويقول : مارأيت بمكة أحسن لمة، ولاأرق حلة، ولاأنعم نعمة من مصعب بن عمير ...

بلغه أن الرسول صلى اللـه عليه وسلم يدعو إلى الإسلام في دار الأرقم فدخل فأسلم وكتم إسلامه خوفا من أمه التي اشتهرت بشخصية فذة رهيبة، فكان يختلف إلى الرسول صلى اللـه عليه وسلم سرا فبصر به عثمان بن طلحة يصلي فأخبر به قومه وأمه فأخذوه فحبسوه فلم يزل محبوسا إلى أن خرج إلى أرض الحبشة ...

أسلم على يده أسيد بن حضير و سعد بن معاذ ...

لقد كانت حياة مصعب حافلة بألوان العزيمة، وضروب التضحية، وشهدت له ميادين الجهاد بالبسالة والبطولة وهاهو شاهد عيان حظر بنفسه خاتمة الحياة البطولية التي عاشها :

قال بن سعد : أخبرنا إبراهيم بن محمد بن شرحبيل عن أبيه قال :

حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد فلما جال المسلمون ثبت به مصعب فأقبل ابن قميئة وهو فارسي، فضربه على يده اليمنى فقطعها و مصعب يقول : ( ومامحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ) وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه فضرب يده اليسرى فقطعها فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول : **( ومامحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل )** ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه واندق الرمح ووقع مصعب، وسقط اللواء ...

ويقول خباب بن الأرث :

هاجرنا مع رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم نبتغي وجه اللـه وقد وقع أجرنا على اللـه فمنا من مضى ولم يأكل من أجره في دنياه شيا، منهم مصعب ابن عمير فقتل يوم أحد فلم يوجد له شيء يكفن به الانمرة[1] فكنا إذا وضعناها على رأسه تعرت رجلاه و إذا وضعناها على رجليه برز رأسه فقال لنا رسول اللـه صلى اللـه عليه و سلم : أجعلوها مما يلي رأسه و اجعلوا على رجليه من نبات الإذخر[2]

ولقد وقف الرسول الوفي الكريم على جثمان أول سفرائه يودعه وينعاه ويزكي نفسه الطاهرة، ويحيي وفاءه العظيم بآية من الكتاب الكريم : **( من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا اللـه عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا )** ثم هتف الرسول و قد وسعت نظراته الحانية أرض المعركة بكل من عليها من رفاق مصعب وقال يحيى الموتي ويعظ الأحياء :

إن رسول اللـه يشهد أنكم الشهداء عند اللـه يوم القيامة، ثم أقبل على أصحابه الأحياء وقوفا حوله وقال :

( أيها الناس زوروهم واتوهم، وسلموا عليهم، فوالذي نفسي بيده، لايسلم عليهم مسلم إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه السلام ).

---

(1)شملة فيها خطوط بيض وسود.

(2)حشيش طيب الريح.

# ( معــاذ بن عمـــر وبــن الجمـوح )

( . . .                نحو 25 هـ )
( . . .                645 م )

هو معاذ ابن عمر بن الجموح بن زيد من بني كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي، كان بطلا شجاعا رفعه الإيمان إلى مكانة مرموقة بين الصحابة فاسترخص كل ثمين و غال في سبيل إيمانه وعقيدته ...

شهد العقبة وبدرا وسجل في تاريخ الإسلام صفحات مشرقة ستظل شعلا هادية في طريق النضال من أجل القيم الخالدة، والحياة الكريمة.

وإذا كانت حياة معاذ في الإسلام سلسلة من المواقف الشهمة، والأعمال البطولية، فإن موقفه في معركة بدر فوق كل موقف، وادعى إلى الأعجاب من تلك الأساطير التي تروي لإثارة الانتباه، وانتزاع الدهشة.

نظر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جموع الكفار الذين تألبوا لمحاربة المسلمين يوم بدر فقال لأصحابه :

( هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها، وهذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها يحرضهم على الثبات والاستبسال ويقول ( والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا، مقبلا غير مدبر إلا أدخله اللـه الجنة ).

فتوالت بعد ذلك صور البطولات، وأخذ التاريخ يسجل لحماة الإسلام وبناة الحياة آيات المجد والبطولة والخلود.

فهذا عوف بن الحارث يتقدم إلى الرسول فيقول له :

ما يضحك الرب من عبده ؟

فيجيبه الرسول :

غمسه يده في العدو حاسرا ...

فينزع عوف درعا كانت عليه فيقذفها ثم يأخذ سيفه فيقاتل القوم حتى يكتب وثيقة الشهادة بدمه ..

وهذا عكاشة بن محصن يستبسل في المعركة ويثخن في القوم ضربا بسيفه حتى يتحطم في يده فيمده الرسول بسيف آخر يتم به المعركة ويستبقيه في يده حتى يشهد به المعارك كلها.

أما معاذ بن عمرو فقصته من نوع آخر، فاستمع إليها كما يرويها علماء التاريخ ورجال السيرة :

لقى معاذ ابا جهل وهو مختبيء في حرجة بعد أن دارت الدائرة على قريش فحمل عليه وضربه ضربة أطنت ( قطعت ) قدمه بنصف ساقه فدافع عنه ولده عكرمة، وحمل على معاذ وضربه بسيفه على عاتقه فقطع يد معاذ دون أن تفصل عن جسمه.

وبقيت يد معاذ معلقة إلى جنبه وهو يصول ويجول ويستبسل ولما جهظه القتال وعاقته يده المعلقة عن جنبه إلى خوض بقية المعركة وضع عليها قدمه ... ثم تمطى بها عليها حتى نزعها من جسمه ...

واستأنف القتال بيد واحدة والدم يسيل من موضع اليد المقطوعة، واستمر يقاتل إلى آخر النهار.

أية بطولة هذه ؟ وأي استرخاص للنفس هذا الذي ضرب فيه معاذ أروع الأمثال ؟.

إن الحرص على الحياة غريزة في الإنسان، وإنما تهون الحياة على الإنسان ويتخلى عنها إذا علم أنها لا تذهب سدى بل لها عوض أثمن، وبديل أغلى وأعظم.

ان معاذا قد خالط الإيمان شغاف قلبه وملك عليه كل جوانب نفسه فاندفع

للجهاد بعزم (كأنه عواصف الطبيعة التي تقتلع الأشجار وتدك المعاقل والحصون) فصارت يده في نظره قطعة من ثوبه يفصلها عنه إذا هي عاقته عن السير، دون أن يعير لذلك أي اهتمام[1].

(1) المراجع. (الأعلام) (الاصابة).

# ( الرميصـــــاء )

( . . .          30 هـ )
( . . .          650 م )

هي ( الرميصاء ) بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام من بني النجار، وتدعى أيضا (الغميصاء) و (الرميضاء) وتعرف بأم سليم ... صحابية جليلة قال أبو نعيم في وصفها :

(الطاعنة بالخناجر، في الوقائع والحروب).

اشتهرت برجاحة العقل، وذكاء الفؤاد، وبعد النظر، وقوة الإيمان، وصدق اليقين ...

وهي أم أنس بن مالك، قتل زوجها ( مالك ) بعد ظهور الإسلام فأسلمت وتزوجها أبو طلحة زيد بن سهل. وعندما خطبها قالت :

ياأبا طلحة، ألست تعلم أن إلهك الذي تعبده خشبة نبتت من الأرض نجرها حبشي بني فلان ؟

قال : بلى،

قالت : أفلا تستحي أن تعبد خشبة من نبات الأرض نجرها حبشي بني فلان ؟ لئن أنت أسلمت لم أرد منك من الصداق غيره قال : حتى أنظر في

أمري ...

فذهب ثم جاء فقال :

أشهد أن لا إله إلا اللـه وأن محمدا رسول اللـه، فتزوجته ...

قال ثابت رضي اللـه عنه :

فما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سليم : الإسلام ...

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدخل بيتها فتبسط له النطع فيقيل عندها فتأخذ من عرقه فتجعله في طيبها :

وعن ثابت أنه قال : زار رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم أم سليم فصلى في بيتها تطوعا وقال :.

ياأم سليم، إذا صليت المكتوبة فقولي : سبحان اللـه عشرا، والحمد للـه عشرا، واللـه أكبر عشرا، ثم سلي اللـه عز وجل ما شئت فإنه يقال لك : نعم، نعم، نعم.

وشوهدت مع عائشة في غزوة ( حنين ) مشمرتين تنقلان القرب وتفرغانها في أفواه المسلمين والحرب دائرة وترجعانها فتملانها، كما شوهدت قبل ذلك في غزوة ( أحد ) تداوي الجرحى، وتسقي العطشى، ومعها خنجر.

وروي عن ( أم سليم ) رضي اللـه عنها أنها قالت :

توفي إبن لي وزوجي أبو طلحة غائب في سفر، فقمت فسجيته في ناحية البيت، فلما قدم أبو طلحة قمت فهيأت له إفطاره فجعل يأكل فقال :

كيف الصبي ؟ فقلت : بأحسن حال، بحمد اللـه ومنته، فإنه لم يكن منذ اشتكى أسكن منه الليلة، ثم تصنعت له أحسن ما كنت أتصنع له ذلك حتى أصاب مني حاجته ثم قلت له :

ألا تعجب من جيراننا ؟

قال : مالهم ؟ قلت : أعيروا عارية فلما طلبت منهم و استرجعت جزعوا ...

فقال : بأي ماصنعوا ... فقلت : هذا إبنك كان عارية من اللـه تعالى وأن اللـه قبضه إليه ...

فحمد اللـه واسترجع ثم غدا على رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم فأخبره فقال (ص) اللـهم بارك لهما في ليلتهما.

قال راوي الحديث : فلقد رأيت لهما بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرأوا القرآن ..

رحم اللـه ( الرميصاء ) المؤمنة الصابرة، والشجاعة البطلة، الكريمة الوفية ... التي ستبقى على الدوام آية موحية، وعبرة ملهمة، ومنارة هادية ...

# « أبـــو الـــــدرداء »

( ...          32 هـ )
( ...          652 م )

إسمه عويمر بن عامر بن مالك بن زيد بن قيس ( أبو الدرداء ) الأنصاري الخزرجي ، و عمير لقبه واشتهر بكنيته ، تأخر إسلامه قليلا حيث أسلم في العام الثاني للهجرة ، وكان آخر داره إسلاما ، وحسن إسلامه وكان من أفاضل الصحابة وفقهائهم وحكمائهم ، اشتهر بالذكاء وسلامة التفكير ولهذا كان الرسول صلى اللـه عليه وسلم ينتظر إسلامه بشغف وشوق فقد وعده اللـه بذلك ، قال صلى اللـه عليه وسلم : ( إن اللـه وعدني إسلام أبي الدرداء فأسلم ).

روي عن ( أبي الدرداء ) أنس بن مالك ، وفضالة بن عبيد ، وأبو أمامة ، وعبد اللـه بن عمر ، وابن عباس ، وابن المسيب ، رضي اللـه عنهم أجمعين.

وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظا ، روي عنه أهل الحديث ( 179 ) حديثا ...

وكان من عادة العرب قبل الإسلام أن يحتكموا في خصوماتهم إلى رجال منهم ـ بمثابة الحكام بينهم ـ يعرفون فيهم أصالة الرأي ، وذكاء القلب ، ووفرة التجارب ، ولما جاء الإسلام واتسع ظله في الجزيرة العربية في عهد الرسول صلى

اللـه عليه وسلم كلف رجالا من صحابته بالقضاء بين الناس في الأقاليم البعيدة عن مجالس الرسول وتولى الخلافة أبو بكر رضي اللـه عنه فاتبع هذا النظام.

ولما تولى الخلافة عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه اتسعت الدولة وأصبح - مع التوسع المطرد - من المتعذر على الخليفة أو على من يمثله في الأقطار المختلفة أن يجلس للفصل بين الناس في منازعاتهم مع مايكتنفه من أعمال دولية كبيرة.

لهذا رأى عمر أن يتولى هذا الأمر رجال ينقطعون له، وكان أول من وضع للقضاء بمعناه الصحيح، وكان أول من تولى هذا المنصب ( أبو الدرداء ) تولى قضاء المدينة ...

وحسب أبي الدرداء مكانة عند اللـه تعالى نزول آية كريمة فيه فقد روي أن رجلا قال له :

يا معشر القراء ... مابالكم أجبن منا وأبخل إذا سئلتم، وأعظم لقما إذا أكلتم ؟

وقابل أبو الدرداء هذا التجني والسفه في القول ... بكرمه وحلمه، لم يرد الإساءة لمن أساء إليه بل أعرض عنه في خلق عظيم، و علم عمر بن الخطاب بذلك فأمسك بالرجل، وأمام الرسول صلى اللـه عليه و سلم أخذ الرجل المسيء يعتذر عما بدر منه ويطلب العفو بحجة أنه كان مازحا مع أبي الدرداء ...

ونزل الوحي بعد ذلك على الرسول الكريم :

( ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب، قل أباللـه وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ؟ )[1].

وحسبه مكانة عند الرسول صلى اللـه عليه وسلم أنه قال عنه :

( عويمر - أبو الدرداء - حكيم أمتي ).

وحسبه مكانة عند إخوانه الصحابة أنهم شهدوا له بالرأي السديد، والحكمة والتعقل والفضل والعلم ... والتفقه بالدين والنقد السليم والإيثار بالحق والسلام ...

وقال عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه :

( حدثونا عن العاقلان، قيل : من العاقلين ؟ قال : معاذ بن جبل وأبو الدرداء.

---

(1) التوبة الآية 65.

وروي منصور بن المعتمر عن أبي الضحى عن مسروق قال : شافهت أصحاب محمد صلى اللـه عليه وسلم فوجدت علمهم انتهى إلى ستة : عمر، وعلي، وعبد اللـه بن مسعود، ومعاذ، وأبو الدرداء، وزيد بن ثابت.

وقيل لأبي الدرداء : مالك لا تقول الشعر وكل لبيب من الأنصار قال شعر؟ فقال : وأنا قد قلت شعرا فقيل : وماهو فقال :

يـريـد المـرء أن يـؤتي منالا ويـأبى اللـه إلا ما أرادا
يقـول المـرء فـائـدتي ومـالي وتقوى اللـه أفضـل مـاستفـادا

وجاء في مصادر تاريخية أن ( سلمان ) جاء لزيارة ( أبي الدرداء ) في بيته فوجد أم الدرداء غاضبة فسألها فقالت :

إن أخاك ـ وقد آخى الرسول صلى اللـه عليه وسلم بينهما بعد الهجرة ـ يقوم الليل ويصوم النهار وليس له في شيء من الدنيا حاجة.

فبقي ( سلمان ) في الدار، الى أن عاد أبو الدرداء ... ووضع سماط الطعام ولم يتقدم أبو الدرداء لتناول الطعام فسأله ( سلمان ) فقال له : إني صائم، فظل معه حتى أفطر.

ثم بات معه ومنعه من القيام للصلاة والعبادة طول الليل وقال له :

إن لربك عز وجل عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، ولجسدك عليك حقا ... أعط كل ذي حق حقه صم وأفطر وقم ونم وأت أهلك ...

ولما حان الفجر قاما وتوضا وخرجا للصلاة، ثم توجه أبو الدرداء إلى الرسول صلى اللـه عليه وسلم يخبره بما حدثه به ( سلمان ) فقال الرسول :

ياأبا الدرداء إن لجسدك عليك حقا قل ما قال لك سلمان ...

وتروي المصادر التاريخية أن أبا الدرداء كان في الصفوف الأمامية يوم أحد وحينما أمره الرسول صلى اللـه عليه وسلم أن يرد من كانوا على الجبل ردهم وحده وأبلى في هذا اليوم بلاء حسنا ورآه الرسول وهو يلاحق الأعداء وقد فل سلاحهم، فقال : ( نعم الفارس عويمر ...) ؟

وهكذا ظل ( أبو الدرداء ) طول حياته يدفعه إيمانه العميق، وبطولته إلى حماية الإسلام والذود عن مقوماته ومقدساته حتى توفي سنة 32 هـ في خلافة عثمان ...

# ( عبد اللـــه بن حذافـــة )

( . . .          33 هـ )
( . . .          653 م )

هو عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي القرشي. يكنى أبا حذافة ...

صحابي أسلم قديما، وكان من المهاجرين الأولين، وبعثه الرسول صلى اللـه عليه وسلم إلى كسرى بكتاب يدعوه إلى الإسلام فمزق كسرى الكتاب فقال الرسول صلى اللـه عليه وسلم اللهم مزق ملكه، وقال إذا مات كسرى فلا كسرى بعده.

قال الواقدي فسلط الله على كسرى إبنه شيرويه فقتله.

وأسره الروم في أيام عمر فأهانوه وعذبوه، وساوموه في عقيدته ودينه؛ بعد أن عجزوا عن إغرائه بحطام الدنيا وملذات الحياة؛ ولكنه وقف كالطود الشامخ قويا صامدا، لم تضعف له عزيمة، ولم تهن منه همة، ولم يزده البلاء إلا قوة وإصرارا.

ويحدثنا ابن عساكر في ترجمة ابن حذافة، ويذكر أن مالك الروم عرض عليه الدنيا بالدين فقال له :

لو أعطيتني جميع ما تملكه أنت وجميع مايملكه العرب على أن أترك من ديني حرفا مافعلت ...

فصلبه وأمر الرماة أن يرموه قريبا من يديه ورجليه ... فأبى ...
فأمر الرماة أن يلقوه في قدر محماة فبكى ...
فسأله الملك.

فيم بكاؤك ؟ فأجاب :

لقد بكيت لأن نفسي إنما نفس واحدة تلقى في هذا القدر الساعة في سبيل اللـه فأحببت أن يكون لي بكل شعرة من جسدي نفس تعذب هذا العذاب في اللـه.

فأطلقه مالك الروم وأطلق معه أصحابه.

ولاعجب في هذا عندما يقوى الإيمان في قلب المؤمن، وتتغلغل العقيدة في أعماقه تتطلع النفس إلى آفاق الإستشهاد، فتهون عقبات الدنيا، وتصغر آلامها، وتتضاءل مخاوفها، ويصبح العذاب سهلا هينا، ويصبح الموت أمنية وغاية.

وقد شهد ابن حذافة فتح مصر وتوفي بها في أيام عثمان نحو سنة 33 هـ.

## ( سلمـان الفارسـي )

( ...		36 هـ )
( ...		656 م )

انتظر سلمان ساعة اللقاء بقلب خافق، ونفس متعطشة، ثم غدا ساعة للقاء، ومعه سلة كبيرة فيها طعام حتى وقف على حلقة النبي فتقدم سلمان فقال :

أيها الرجل الصالح إنك مهاجر من أرض بعيدة ومعك أصحاب يحتاجون ى القرى وإني ادخرت شيا وأعددته للصدقة فخذه وافعل به ماتشاء ...

فأخذه الرسول صلى اللـه عليه وسلم وأمر أصحابه أن يأكلوا من الطعام ولم يتناول منه شيا ...

فقال سلمان في نفسه : هذه واحدة ...

أخرج من السلة طعاما آخر وقال له : هذا هدية مني إليكم فأخذه الرسول وأكل منه وأمر أصحابه أن يأكلوا منه فقال سلمان في نفسه : هذه ثانية.

وهنا تقدم إلى الرسول صلى اللـه عليه وسلم يقبله ويلثم يديه ويكشف عن كتفيه، فرأى خاتم النبوة، يفيض نورا وجمالا وجلالا، وشعر ببهجة تغمره وتستبد بمشاعره وقال في لهجة المتأثر :

( أشهد أن لا إله إلا اللـه وأشهد أن محمدا رسول اللـه )

ثم دار بينهما هذا الحوار :

من أي البلاد أنت ؟

من فارس وأنا سلمان ... وإن الرق يشغلني عنك يا محمد ...

إجتهد ياسلمان وفك نفسك من العبودية.

كيف يارسول اللـه ؟

كاتب ياسلمان ...

نعم يارسول اللـه، وسأفدي نفسي بنخل أغرسه لسيدي اليهودي حتى أحقق حرية النفس والبدن، سعى الرسول صلى اللـه عليه وسلم وصحابته الكرام مع سلمان في تحقيق أمنيته فأطلق من إسار الذل والهوان ...

فانطلق سلمان مع موكب النور الذي أعده الرسول صلى اللـه عليه و سلم لتحرير الأرض، و اكتساح ما فيها من ظلام، فحضر مع الرسول الغزوات وكان له رأيه السديد في غزوة الأحزاب :

( إننا كنا بفارس إذا دهمنا العدو خندقنا حولنا ...) فأمر الرسول صلى اللــه عليه وسلم بحفر الخندق عملا برأي سلمان ...

واختلف المهاجرون والأنصار كلاهما يقول : سلمان منا، فقال صلى اللـه عليه وسلم : سلمان منا أهل البيت.

وسئل عنه علي فقال : امرؤ منا والينا أهل البيت، من لكم بمثل لقمان الحكيم علم العلم الأول، والعلم الآخر ... وقرأ الكتاب الأول والكتاب الآخر وكان بحرا لاينزف[1].

ويقول الرسول صلى اللـه عليه وسلم في حديث شريف ورد في كتاب الصلاة الهامعة :

( أرحم هذه الأمة أبو بكر، وأقواهم في دين اللـه عمر، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأصدقهم حياء عثمان بن عفان، وأمين هذه الأمة بن الجراح، وأقرأهم لكتاب اللـه أبي بن كعب، وأبو هريرة وعاء العلم، وسلمان عالم لايدرك، ومعاذ بن جبل أعلم الناس بحلال اللـه وحرامه، وماأظلت الخضراء ولاأقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر ).

---

(1)الاعلام للزركلي ج 3 ص 171.

وكتب سلمان إلى أبي الدرداء يقول :

( أما بعد، فإنك لاتنال ماتريد إلابترك ماتشتهي، ولن تبلغ ماتأمل إلابالصبر على ماتكره، فليكن قولك ذكرا، وصمتك فكرا، ونظرك عبرة، واعلم أن أعجز الناس من اتبع نفسه هواها وتمنى على اللـه، وأن أكيسهم من أتعب نفسه وعمل لما بعد الموت )[2].

وجعل سلمان أميرا على المدائن فأقام فيها إلى أن توفي عام 36هـ 656م وكان إذا خرج عطاؤه تصدق به وينسج الخوص ويأكل خبز الشعير من كسب يده...

تحية لسلمان المهاجر في سبيل الحق، المبيع في سبيل العقيدة، الذي عاش للإسلام، واعتز بالإسلام، ومات ليحيا في القلوب حقيقة كبيرة تلهم. وترشد، وتضيء...

---

(2) بهجة المجالس، وأنيس المجالس للامام النمرى القرطبى ج 3 ص 322.

# ( خبـــاب بـن الأرث )

( ... 37 هـ )
( ... 657 م )

هو خباب بن الأرث بن جندلة بن سعد التميمي ... صحابي من السابقين، وكان من الأبطال الصامدين الذين شقوا الطريق في الظلام المعتم، ونحتوه في صم الصخور القاسية ...

كانت مهنة خباب صنع السيوف وبيعها لأهل مكة وذات يوم رأى الرسول صلى اللـه عليه وسلم فاهتز إعجابا به، وشعر كأن نورا يسطع على جبينه، وكان الحق يتدفق من لسانه فأسلم ...

ومنذ إسلامه وهو جندي من جنود الإسلام، يناضل في سبيل اللـه وفي سبيل نشر دينه، ولكن إسلام خباب كان صاعقة على رؤوس قوم من قريش وخاصة ( أم إنمار ) التي كان خباب عبدا لها قبل أن تعتقه، فأجمعوا على رده إلى الكفر بأي طريق وبأي وسيلة، فنظموا حملة للتنكيل به، فكانوا يشدون وثاقه، ويشتركون في تعذيبه ...

فأم أنمار كانت تأخذ الحديد الذي كان يصنع منه السيوف وتحميه حتى يذوب ثم تضعه على رأس خباب وبعضهم يقربه من لهيب النار، حتى يكاد لحمه

ينضج، ومنهم من كان يعذبه بوسائل أخرى كالضرب على الأماكن الحساسة من جسمه ...

جاء يوما إلى الرسول صلى اللـه عليه وسلم وهو متوسد برده في ظل الكعبة وقال له :

يارسول اللّه، ألا تدعو اللّه لنا ؟ فقعد الرسول وقال : وقد احمرّ وجهه وقال : ( لقد كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب، مايصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على فرق رأس أحدهم فيشق، مايصرفه ذلكِ عن دينه، وليظهرن اللـه تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لايخاف إلا اللـه ).

فثبت خباب صامدا لهذا التعذيب الجهنمي دون أن يتسرب إليه ضعف، وكان كلما قال له الزبانية أثناء التعذيب :( أذكر آلهتنا بخير ...) قال لهم في قوة المؤمن الصابر :

أشهد أن محمدا رسول اللـه أرسله بالهدى ودين الحق ...

ومر رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم يوما فرأى مايلاقي خباب على أيدي الكفار من عذاب وتنكيل، فرفع يديه الكريمتين إلى السماء وقال :

( اللـهم انصر خبابا ...)

واستجيب دعاء الرسول فنصره اللـه وخرج من محنته مرفوع الرأس ...

وانكب خباب على كتاب اللـه يستجلى كنوزه وأسراره، حتى صار حجة فيه، وشاهد مع الرسول صلى اللـه عليه وسلم معارك كثيرة في طليعتها بدر وأحد والخندق، ووقف في جميعها مواقف الأبطال المغاوير ...

ذلك هو خباب الرقيق المستضعف ...

لولا إسلامه لغفل عنه التاريخ، كما غفل عن غيره ممن يفدون إلى هذه الحياة ثم يرحلون دون أن يتركوا أثرا يذكرون به، أو بصمة تدل على أنهم مروا بهذا الوجود.

ولكن خبابا بإسلامه وصبره للابتلاء العظيم في سبيل إيمانه، ومواقفه البطولية التي سجلها في التاريخ ظل وسيظل منارة هادية على طريق المجاهدين في سبيل اللـه وفي سبيل الحق ...

# ( صهيـب الرومـــي )

( 32 ق هـ 38 هـ
592 659 م

هو صهيب بن سنان بن مالك الرومي ... وكناه الرسول صلى اللـه عليه وسلم أبا يحيى وكانت منازل قومه في أرض الموصل على شاطىء الفرات مما يلي الجزيرة والموصل وبها ولد سنة 32 ق هـ فأغارت الروم على ناحيتهم فسبوا صهيبا وهو صغير فنشأ بينهم ولذا ينسب إليهم.

ثم جلب صهيب إلى مكة فاشتراه عبد الله بن جرعان القرمئي التيمي فأعتقه ظل بمكة يمارس التجارة حتى ظهر الإسلام، فأسلم وكان من السابقين ولم يتقدمه سوى بضعة وثلاثين رجلا.

شهد صهيب بدرا وأحدا والمشاهد كلها وكان مضرب المثل في الرمي إلى حدانه لايخطيء الهدف ... ولصهيب مواقف بطولية خالدة يزهو بها تاريخ الإسلام، ويستثير الإعجاب والتقدير، وتدعو إلى الإعتبار ...

وعندما هاجر الرسول صلى اللـه عليه وسلم إلى المدينة عزم صهيب إلى الإلتحاق به وتأهب لذلك بعزم ماض، ولهفة ظامئة، ولكن قريشا تصدت له ومنعته من الهجرة، وقالوا له، لقد جئتنا فقيرا صعلوكا، وكان صهيب ذا ثروة طائلة كونها

بعرق الجبين بعد أن وفد إلى مكة فقيرا لايملك شيا. وأعمل في سبيل توسيعها فؤادا ذكيا، وذهنا لماحا، وتجربة واسعة، ووقتا طويلا ...

ولكن صهيبا هرب بدينه يريد اللحاق بالمدينة تاركا وراءه كل ما يملك، فقطع عليه الطريق جماعة من شباب قريش صارخين في وجهه :

أتيتنا صعلوكا فقيرا فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك واللــه لايكون ذلك.

فنزل صهيب عن راحلته ونثل كنانته وقال في لهجة المؤمن القوي الذي لايخاف إلا اللــه ...

قد علمتم أني من أرماكم، وأيم اللــه لاتصلون إلي حتى أضربكم بسيفي فإن شئتم دللتكم على مالي وخليتم سبيلي ؟

فقالوا : نعم. قال : فإني قد جعلت لكم مالي ... ودلهم على مكانه.

ولما بلغ ذلك الرسول صلى اللــه عليه وسلم قال في ابتهاج بإيمان صهيب وتضحيته وحبه للإسلام : ( ربح صهيب، ربح صهيب ).

حدث قد يمر به بعض الناس فلا يعيرون له إلتفاتا، وموقف قد يقف عليه من لاينفذ بنظره إلى أعماق الأشياء فلا يثير فيه اهتماما، ولكنه عند الناظر المتعمق الذي يدرك الأشياء على حقيقتها، ويضع الأمور في مواضعها، حدث هام خطير ... حدث يحدد لنا معالم نفس كبيرة مرت بالتجربة والإختبار والإبتلاء ... ونفس قوية، أقوى من المال الذي يخلب النفس، ويشغل البال، ويفتن النفوس ويحجب عن الحقيقة، ويحول بين المرء وربه، إن صهيبا عظيم حقا، وبطل حقا؛ لقد خلّف وراءه تجارة رابحة، وثروة طائلة، وهرب بدينه، ولحق بنبيه، فلم يفتنه المال عن الحقيقة، ولم يعقه المال عن بلوغ غايته؛ ولم تخلب قلبه مفاتن الدنيا ومغيرات الحطام ... ولم ير أمامه وهو يتجه إلى المدينة حيث قلبه ينبض، وفكره يجول، إلا الهدف الأسمى الذي يستحق كل تضحية وفداء.

ومثل هذه النفس الكبيرة الطاهرة العالية هي التي تصلح للقيادة، لأنها فوق المال الذي يسيطر على النفوس و يذلها ويجعلها هباءة تعبث بها المطامع وتلعب بها الرياح.

فصهيب استرخص ثروته في سبيل غاية كريمة هي كل الثروة في الوجود فكان بذلك نموذجا فذا للبشرية ورمزا للخالدين ...

## ( علـي بـن أبي طالـــب )

( 23 ق هـ        40 هـ )
( 600 م        661 م )

هو أبو الحسن إبن عم النبي صلى اللـه عليه وسلم وصهره ...

ولد لإثنتين وثلاثين سنة من ميلاده وتربى في حجره ولازمه، وشهد مطالع الرسالة الإسلامية من يومها الأول وتلقى من فم الرسول مفتتح الرسالة ومختتمها ومابين المفتتح والمختتم.

وآمن بالرسالة في العاشرة من عمره، وهو أول الناس إسلاما بعد خديجة ...

يعد من أكابر الخطباء، والعلماء بالقضاء ... وشهد جميع الغزوات إلا غزوة تبوك لأن الرسول استخلفه في أهل بيته ...

عرف بالبطولة والشجاعة، فكان في طليعة المبارزين في بدر وممن ثبتوا يوم أحد وحنين ...

وتحتل مواقفه البطولية الرائعة أعلى صفحات التاريخ الإسلامي ...

وقد ضرب ابن أبي طالب أروع صور الفداء والتضحية يوم باع نفسه للـه، وقدم روحه رخيصة لرسول اللـه. و ذلك عندما عزمت قريش على تنفيذ مؤامرتها الدنيئة بقتل الرسول صلى اللـه عليه وسلم فتسجى ببردة النبي ونام على فراشه

تعمية عل المشركين وإيهاما لهم أن محمدًا هو النائم على الفراش ...

فأحاط المشركون بالدار وأخذوا ينظرون من شقوق الباب، ورأوا الفراش وعليه نائم فاطمأنوا ومالدار محمد إلاباب واحد قد سدوه بسيوفهم ... فخرج الرسول وتخطى رقاب القوم في ظلام الليل فلم يحس به أحد منهم وجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يتلو قول اللـه تعالى ( **وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون** ).

وإنا لنعجب من هذا الموقف البطولي الذي وقفه علي ...

ينام في فراش الرسول و هو يعلم الثمن الذي يقدمه بهذا الصنيع ؛ ويعرض نفسه للموت وهو شاب في مقتبل العمر، يرجو الحياة ويبتسم في وجهه غد وضيء مشرق ...

إن المتأمل المتعمق في هذا الموقف هو وحده الذي يستطيع أن يتصور إيثار على وفاءه للإسلام، وحبه للرسول ...

وإذا كان علي قد برهن في هذا الموقف عن إيمانه وشجاعته، وإيثاره وفدائيته، فإنه أيضا قد لخص به سر العقيدة، وسر الجماعة، وسر النجاح ...

وحين يذكر المسلمون في كل مكان من أنحاء المعمورة موكب الدعوة الإسلامية في سيرته الأولى وماتجشم هذا الموكب من مشاق ومعاني من ويلات، فإنهم يذكرون بالإجلال والإعجاب هذه الروح الإيثارية العالية التي سجلها وحي السماء بقوله تعالى ( ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة اللـه ).

# ( عمـــرو بـن العـــاص )

## ( 50 ق هـ 43 هـ )
## ( 574 م 664 )

هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم.

والده العاص بن وائل كبير بني سهم، وبنو سهم بطن من بطون قريش، وأمه النابغة بنت حرمل من بني عنزة، يكنى أبا عبد اللـه ويقال أبو محمد ...

واشتهر عمرو من صغره باللباقة والذكاء والاعتزاز بالنفس وحسن التصرف، ووجهه يعكس الحيوية والنباهة وقد تجلت هذه الخصائص التي اشتهر بها في الأحداث التي عاشها قبل أن يهتدي إلى الإسلام وبعد أن أنعم اللـه به عليه.

وسبب إسلامه ( إنه كان ذاهبا إلى النجاشي ليكيد لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا إليه، فقال له النجاشي ياعمرو تكلمني في رجل يأتيه الناموس كما كان يأتي موسى بن عمران ؟

وكان النجاشي قد أسلم[1].

قال عمرو وكذلك هو أيها الملك ؟ قال : نعم. قال : فأنا أبايعك له. فبايعه له على الإسلام ثم قدم مكة فلقي خالد بن الوليد فقال : مارأيك قد استقام

(1) دائرة معارف القرن العشرين للاستاذ فريد وجدي م 6 ص 741.

الميسم والرجل نبي ؟ قال خالد وأنا أريده، قال عمرو وأنا معك، فقال عثمان بن طلحة : وأنا معك، فقدموا على النبي صلى اللـه عليه وسلم وأسلموا فكان إسلام عمرو بعد طول روية ولذلك قال الرسول : ( أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص ).

وكان عمرو بن العاص من فرسان قريش وأبطالهم المغاوير وكان شاعرا حسن الشعر، ومن شعره قوله من أبيات يخاطب عمارة بن الوليد بن المغيرة عند النجاشي :

إذا المرء لم يترك طعاما يحبه ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما
قضى وطرا منه وغادر سبة إذا ذكرت أمثالها تملا الفما

وقيل : إن دهاة العرب في الإسلام : عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وقيس بن سعد بن عبادة، وكان عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه إذا استضعف رجلا في رأيه وعقله قال :

( أشهد أن خالقك و خالق عمرو واحد ) يريد خالق الأضداد

بعثه الرسول صلى اللـه عليه وسلم على جيش في غزوة ذات السلاسل[2] وهو الذي فتح مصر وأخباره في ذلك مشهورة في مختلف كتب التاريخ،

وروي أن عمر عندما حضرته الوفاة بكى، فقال له إبنه عبد الله : لم تبكي ؟ أجزعا من الموت ؟

قال : لا واللـه، ولكن لما بعده فقال له : قد تكن على خير ...

فجعل يذكره صحبة رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم وفتوحه الشام. فقال له عمرو :

تركت أفضل من ذلك، شهادة أن لاإله إلا اللـه، إني كنت على ثلاثة أطباق ليس منها طبق إلا عرفت نفسي فيه وكنت أول شيء كافرا، فكنت أشد الناس على رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم، فلو مت يومئذ وجبت لي النار، فلما بايعت رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم كنت أشد الناس حياء منه فما ملئت عيني من رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم حياء منه فلو متُّ يومئذ قال الناس :

(2) السلاسل : ماء بارض جذام سميت به هذه الغزوة.

هنيئا لعمرو أسلم وكان على خير، ومات على خير أحواله فترجى له الجنة، ثم تلبست بعد ذلك بالسلطان وأشياء فلا أدري أعلي أم لى ؟ فإذا مت فلا تبكين علي باكية، ولايتبعني مادح[3] ولانار، وشدوا علي أزاري فإني مخاصم، وشنوا علي التراب شنا فإن جنبي الإيمان ليس باحق بالتراب من جنبي الأيسر ولاتجعلن في قبري خشبة ولاحجرا، وإذا واريتموني فاقعدوا عندي قدر نحر جزور وتقطيعها بينكم أستأنس بكم[4]

وقال : اللـهم إنك أمرت بأمور، ونهيت عن أمور، تركنا كثيرا مما أمرت، ووقعنا في كثير مما نهيت، اللـهم لا إله إلا أنت ...

ثم أخذ بإباهم إبنه عبد اللـه فلم يزل يهلل حتى مات وكان ذلك سنة 43 وقد تجاوز الثمانين ودفن في المقطم.

* ومن تتبع حياة عمرو من عزة شبابه إلى أن غادر هذه الدنيا وجدها مواقف تنم عن الشجاعة و الدهاء و بعد النظر في السياسة و التدبير ...

وإذا كان قد أخفق قبل إسلامه ـ رغم دهائه وذكائه وحسن تدبيره ـ فذلك في الواقع من فضل اللـه على الإسلام والمسلمين ...

إلا أنه بعد أن أسلم وأضاء اللـه قلبه بالقرآن استغل مواهبه لصالح الإسلام والمسلمين فوفقه اللـه وكان نعمة ورحمة ...

---

(3) في أسد الغابة : نائحة.

(4) عن (الاستيعاب في معرفة الاصحاب) ج 3 ص (1190).

# ( أبـو أيـوب الأنـصـاري )

( ...        52 هـ )
( ... .672 م )

هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة ... النجري الأنصاري، صحابي جليل وواحد من مشاهير الأتقياء الصالحين شهد العقبة وبدرا وأحدا والخندق وسائر المشاهد مع رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم.

أقام سيدنا محمد صلى اللـه عليه وسلم بداره في هجرته إلى المدينة قبل أن يبني مسجده وبيته ... وتضييفه لسيد المرسلين أول وأهم ما رفع مكانته إلى أعلى الذرى، وأذاع صيته في مختلف أوساط الباحة وحببه إليهم ...

فإذا كان للضيف مكانته الخاصة عند المضيف لما يقتضي من تكريم وتقدير وخدمة حتى قال الشاعر :

وإني لعبـد الضيف من غيـر ذلـة     ومـافي إلا تلك من شيمـة العبـد

ـ فإن مكانة ضيف أبي أيوب الأنصاري لا تضا هيها مكانة، فخدمته شرف فوق كل شرف ...

أما خبر أبي أيوب مع ضيفه العظيم فخلاصته ـ كما يرويها أهل التاريخ ـ أنه صلى اللـه عليه وسلم حينما قدم المدينة مهاجرا من مكة إقترعت قريش

أيهم يؤويه فقرعهم أبو أيوب[1] ونزل عنده شهرا ...

قال أبو أيوب ـ متحدثا عن ضيفه ـ لما نزل رسول اللـه في بيتي نزل في السفل وأنا وأم أيوب في العلو، قلت له :

يا نبي اللـه بأبي أنت وأمي، إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فاظهر أنت وكن في العلو وننزل نحن في السفل ..

فقال : ياأبا أيوب، إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفل البيت ...

قال : فكان صلى اللـه عليه وسلم في أسفله وكنا فوقه في المسكن، فقد انكسر حب لنا فيه ماء، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا، مالنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفا أن يقطر على رسول اللـه منه شيء فيؤذيه[2].

ويضيف أبو أيوب ويقول :

وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به إليه فإذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له بصلا أو ثوما فرده ولم أر ليده فيه أثرا قال : فجئته فزعا فقلت : يارسول اللـه بأبي أنت وأمي، رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك ... وكنت إذا رددته علينا تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك نبتغي بذلك البركة. قال : إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجي، أما أنتم فكلوه ...

قال : فأكلناه و لم نصنع له هذه الشجرة بعد [3]

وكان أبو أيوب الأنصاري يحمل الراية في غزوات الرسول صلى اللـه عليه وسلم، ومما سجله التاريخ بحروف من نور في صفحات البطولة الإسلامية أن أبا أيوب ألح على الخروج مع يزيد بن معاوية لغزو القسطنطينية بالرغم من تقدم سنة، فثقل المرض به فسأله يزيد :

ألك حاجة ياأبا أيوب ؟

قال : مالي إلى دنياكم من حاجة .. ولكن أرجو أن توغلوا في بلاد الروم وأنا محمول معكم ... فلقد سمعت من رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم :

( يدفن عند سور القسطنطينية رجل صالح ) وإني لأرجو أن أكون إياه ...

---

(1)ابن حجر العسقلاني (الاصابة في تمييز الصحابة) ص 43.

(2)ابن هشام (السيرة النبوية) ص 498.

(3)نفس المصدر ص 994.

وخرج يزيد للحرب ... فجعل يتقدم بسريره وهو مسجى وحوله المعركة تدور في ضراوة وشدة، فلما رأى قيصر ذلك قال ـ وقد ملكته الدهشة ـ : مما رأى :

عجبا ليزيد ولأبي يزيد، يأتون بصاحب رسولهم في ديارنا حتى إذا ماتركوه نبشنا قبره وتركناه للكلاب ...

فقال يزيد : وقد مادت في أعماقه النخوة والحمية ـ : أما والله لو بلغني ذلك لما تركت ببلاد الإسلام نصرانيا إلا قتلته، ولابيعة ولاكنيسة إلا هدمتها ...

فبعث إليه قيصر :

لله أنت ولله أبوك ... وحق المسيح لأحفظن قبر أبي أيوب بنفسي ...

ومات أبو أيوب أثناء الحصار، ودفن عند أحد أبواب المدينة، سنة ( 50 وقيل 51 ) وبنى قيصر على قبر أبي أيوب قبة ...

قال ابن قاسم عن مالك : بلغني عن قبر أبي أيوب أن الروم يستصحون به ويستشفون ...

هذا هو مضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد صحابته الكرام، ولايسع العقل أمام موقفه هذا إلا أن يرتاع من وفائه لعقيدته، وتعلقه بالجهاد ـ حتى وهو شيخ مريض محمول في النعش على الأعناق ـ

فكانه لم يكفه ما حققه طوال عمره من مآثر فتمنى المزيد، أوكانه يريد أن تكون نهايته في المعركة لاعلى سرير في بيته يحيط به أقاربه ... وهذا نهاية في الوفاء للإسلام، والحرص على رضا الله تعالى.

# ( سعـــد بـن أبـي وقـاص )

## ( 23 ق هـ 55 هـ )
## ( 603 ـ 675 م )

هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري الصحابي الأمير فاتح العراق ومدائن كسرى ولد سنة 23 قبل الهجرة وسنة 603 ميلادية ونشأ بمكة وكانت مهنته بري السهام وصناعة القسي واشترك في جميع الحروب التي دارت بين المسلمين وقريش، وكان ماهرا في رمي السهام إلى أبعد الحدود حسبنا أن الرسول صلى اللـه عليه وسلم أعجب به في معركة بدر فكان يناوله النبال ويقول له في إعجاب : ( أرم فداك أبي وأمي ... ).

وناهيك بهذه الكلمة من الرسول صلى اللـه عليه وسلم الذي لايقول إلا الصدق ...

وكان سعد لايرسل نبلا إلا ومعه الموت ...

وكان سعد في كل معركة يشارك فيها مثالا للرجل الحازم، والمؤمن القوي، والبطل المغوار، والقائد الممتاز الخبير بفنون القتال.

وصفه عمرو بن معدي كرب وقال :

( إنه متواضع في خبائه، عربي في نمرته، أسد في ثاموره يعدل في القضية،

ويقسم بالسوية، ويبعد في السرية، يعطف علينا عطف الأم البرة، وينقل إلينا حقنا نقل الذرة )[1]

وكانت معركة القادسية أخطر معارك العرب وفيها تجلت بطولة سعد ومقدرته الحربية في أجلى مظاهرها فقد جهز الفرس جيوشا جرارة بلغت مائة ألف جندي، أربعون ألفا بقيادة ( الجالينوس ) وستون ألفا بقيادة ( رستم ) وأمدوها بالذخائر الحربية المختلفة فرأى عمر بن الخطاب أن اليوم يوم فصل، وأن الفرس قد علقت أملها على هذه المعركة وجعلت مصيرها منوطا بنتائج اللقاء عند القادسية فأمر على جيش المسلمين سعدا وأوصاه بقوله :

( ياسعد ... لايغرنك من اللـه إن قيل خال رسول اللـه، وصاحب رسول اللـه، فإن اللـه عز وجل لا يمحو السيء بالسيء، ولكنه يمحو السيئة بالحسنى ).

والتقى الجيشان : جيش يقاتل في سبيل اللـه، وآخر كافر يقاتل في سبيل الطاغوت ...

واستمر الكفاح في ضراوة شديدة مدة طويلة أظهر المسلمون خلالها بطولة نادرة، ووقفوا مواقف رائعة أذهلت العدو وألقت فيه بلبلة واضطرابا ومكن اللـه لسعد ولجيشه فثل عرش الأعاجم، ومزق ملكهم، وركز راية الإسلام في أرضهم، وانتصر المسلمون على جيوش الفرس انتصارا باهرا ...

ويذكر أهل التاريخ أن سر انتصار المسلمين في هذه المعركة أمام قوة الفرس الهائلة يكمن في أمرين : أولهما الروح المعنوية العالية التي غرسها الإسلام في قلوب المسلمين فكانوا يحاربون عن عقيدة وإيمان وثانيهما روعة القيادة التي تمثلت في سعد وقادته الآخرين ...

وسعد بن أبي وقاص فاتح العراق، وأحد الستة الذين عينهم عمر بن الخطاب للخلافة، وأول من رمى بسهم في سبيل اللـه، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ويقال له فارس الإسلام ...

وأسلم وهو إبن 17 سنة ...

وحينما حضرته الوفاة ـ وكان ذا مال وفير ـ دعابجبة من صوف خلق كان يحتفظ بها في بيته وقال : كفنوني في هذه الجبة لأنني لقيت المشركين فيها يوم

---

(1) معارك العرب الحاسمة، صبحي عبد الحميد ص 78.

بدر وإنما كنت أخبئها لهذا اليوم ...

وتوفي في الثالثة والثمانين وكان آخر العشرة الكرام موتا ...

# الحسين بن علي

**( 4 هـ 61 م )**
**( 625 ـ 680 م )**

هو الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القريشي العدناني الشهيد ابن فاطمة الزهراء...و هو شقيقه الحسن سيدا شباب أهل الجنة كما ورد ذلك في الحديث...

ولد سيدنا الحسين في المدينة عام 4 ـ 625 و نشأ في بيت النبوة، قال اللـه تعالى فيه :

( إنما يريد اللـه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا )

وكان شبابه ـ بما حباه اللـه تعالى من مواهب و خصائص ـ عنوان الأمل، و إمارة المستقبل، التي تخصب في ظله الحياة، و يعز في كنفه الإسلام، ولكن أعاصير الخطوب كانت أقوى، و ما تخبئه الأقدار كان غير ما تتمناه القلوب فمات شهيدًا عام 61هـ 680م و هو يحمل راية الحق، و يدافع ضد عدو نسي الموت و الرجوع إلى اللـه و استهان بكل شيء في سبيل أطماعه في الحياة الدنيا...

وللحسين السبط رضي اللـه عنه مواقف تشهد له على الدوام بما أنعم اللـه به عليه من مزايا و خصائص بوأته مكانة الصدارة بين عظماء التاريخ...

من موقفه التي لا تعد لكثرتها موقف يصور الروح الإيثارية في أبعد حدودها،

و أعمق معانيها، و أوضح دلالاتها و في نفس الوقت يشهد بما كانت تنطوي عليه جوانحه من رقة عواطفه، و دقة إحساسه بآلام الناس...و رحمته بهم؛ و حدبه عليهم في غير تصنع ولا افتعال :

ذكر العارفون أن زينب بنت إسحاق، كانت زوجة لعبد اللـه بن سلام، عامل معاوية إبن أبي سفيان عن الكوفة.

وكانت زينب على قسط وافر من الجمال، لفت نظر يزيد بن معاوية، فأغرم بها... وانعقد عزمه على أن يعمل على تطليقها من عبد اللـه حتى يتسنى له الزواج بها، وتم طلاقها بحيلة، دبرها له رجال قصر أبيه بمعونته ثم بعث إليها يعرض عليها الزواج منه واعتمد في إقناعها بالقبول على عمها أبي الدرداء غير أنه أبلغ الخبر إلى الحسين ـ رضي اللـه عنه ـ فاستهجن تصرف يزيد...

وكان حسين يومئذ بالكوفة، و أبدى لأبي الدرداء رغبة في الزواج بزينب و كفله أن يعرض الأمر عليها ولها الخيار فيمن ترضاه منهما بعلالها...

فاختارت الحسين، وما هي إلا أن صارت زوجة له، أما طليقها عبد اللـه فقد كان يحتمل من صنوف الغم والهم والحزن عليها شيئا كثيرا وقد هزل جسمه، وشحب لونه، وغارت عينه، وتوزع فكره، وهو يندب فيها حظه العاثر، ونجمه الآفل، ولكن على غير جدوى وطائل...

وذات يوم حظر إلى الحسين يلتمس منه أن يسأل زينب أن ترد إليه أمانة خاصة كان قد استودعها إياها...فأجاب الحسين ملته، وكلف زوجته زينب بأن ترد الأمانة لعبد اللـه...

وما إن تلاقت العيون حتى هاجت في نفسيهما الذكريات، واغرورقت العيون فسالت العبرات واختنقت بها الأصوات فلم تقو أعصاب الحسين على احتمال هذا المشهد الأليم البائس الحزين وتفجرت من قلبه ينابيع الرحمة وتحركت النخوة الهاشمية في نفسه مدفوعة بروح الإيثار فسرعان ماانطلقت الإنسانية الفاضلة بالكلمة الفاصلة تخرج من بين شفتيه بلسما يأسو الجراح، ونورا يضيء الظلام...

انطلقت الكلمة تعلن بلسان الحسين الإنسان أن زينب طالق من الحسين لتعود مرة أخرى إلى أحضان عبد اللـه زوجة له كما كانت...

موقف عظيم لا يقفه إلا مثل الحسين عصنا غضا من أرومة النبوة الطاهرة، ومثالا للرجولة والشهامة، ووارثا للمكارم والفضائل، من محتدها...

## ( دارميـــة الحـجـونـيـــة )

( . . .                . . . )

يروي سهل بن أبي سهل عن أبيه قال :

حج معاوية بن أبي سفيان فسأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالحجون يقال لها ( دارمية الحجونية ) وكانت سوداء كثيرة اللحم فأخبر بسلامتها فبعث إليها فجيء بها فقال :

ماجاء بك يابنت حام ؟

قالت : لايعلم الغيب إلا الله سبحانه.

قال : بعثت إليك لأسألك علام أحببت عليا وأبغضتني وواليته وعاديتني ؟

قالت : أوتعفيني ؟

قال : لا أعفيك ...

قالت : أما إذا أبيت فإني أحببت عليا على عدله في الرعاية، وقسمه بالسوية، وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر وطلبك ما ليس لك بحق، وواليت عليا على ماعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاء وحبه للمساكين، وإعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سفكك الدماء، وجورك في القضاء، وحكمك بالهوى، قال :

فلذلك انتفخ بطنك، وعظم ثدياك، وربت عجيزتك، فقالت :

ياهذا، بهند واللـه كان يضرب المثل في ذلك، قال لها :

ياهذه، أربعي فإنالم نقل إلا خيرا، إنه إذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها، وإذا عظم ثدياها تروي رضيعها، وإذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها.

فرجعت وسكتت ...

قال : ياهذه، هل رأيت عليا ؟

قالت : أي واللـه، فقال :

كيف رأيته ؟

قالت :

رأيته لم يفتنه الملك الذي فتنك، ولم تشغله النعمة التي شغلتك، قال :

فهل سمعت كلامه ؟ قالت :

نعم، واللـه كان يجلو القلوب من العمى، كما يجلو الزيت صدأ الطست، فقال :

صدقت، فهل لك من حاجة ؟

قالت : أو تفعل إذا سألتك ؟

قال : نعم،

قالت : تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها ؟ قال :

تصنعين ماذا ؟ قالت؛

أغذ بألبانها الصغار، واستحي بها الكبار، وأكتسب بها المكارم، وأصلح بها بين العشائر، قال :

فإن أعطيتك ذلك أفحل عندك محل علي بن أبي طالب ؟

قالت : سبحان اللـه .. أو دونه ؟؟

فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أعد بـالحلم مني عليكم فمن ذا الذي بعدي يؤمل للحلم ؟؟
خذيها هنيئا واذكري فعل ماجد جزاك علي حرب العداوة بـالسلم

ثم قال : أما واللـه لو كان علي حيا ما أعطاك منها شيئا ... قالت :

لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين ...

هكذا فلتكن الصراحة الحرة، وليكن الحب الخالص، والولاء والوفاء، والثبات على المبدإ مهما كلف من متاعب ... وجر من بلاء ...

# ( الزرقــــاء )

( . . .     60 هـ )
( . . .     680 م )

هي الزرقاء بنت عدي بن غالب بن قيس الهمدانية من أهل الكوفة لم نجد تاريخا لولادتها في مختلف كتب التاريخ أما وفاتها فكانت نحو سنة 60 هـ 680 م.

كانت الزرقاء فصيحة بليغة، وشجاعة بطلة، واشتهرت بالحكمة، ولها مواقف خالدة تثير النخوة والإعجاب ...

ولمكانتها المرموقة كان علي بن أبي طالب يستشيرها في كثير من الأمور ...

ركبت جملا أحمر وتوسطت الجيش في معركة (صفين) وهي المعركة التي نشبت بين اتباع علي ومعاوية وانتصر فيها الثاني بعد قتال مرير وخدعة حربية وقفت في شجاعة واعتزاز تخطب فيهم لتثير حماسهم، وتؤلبهم على معاوية وكانت ـ كما قال ( الأبشيهي ) ـ تسمعهم كلاما كالصوارم مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل، والمدبر لأقبل، والمسالم لحارب، والفار لكر، والمتزلزل لاستقر.

ومما جاء في خطبتها في معركة ( صفين ).

( يأيها الناس إن المصباح لا يضيء في الشمس وإن الكواكب لاتنير مع

القمر، وإن البغل لا يسبق الفرس، والدر لايوازن الحجر. ولايقطع الحديد إلا الحديد ... الا من استرشدنا أرشدناه ومن سألنا خبرناه. إن الحق كان يطلب ضالة فأصابها، فصبرا يامعشر المهاجرين والأنصار فكأنكم وقد التأم شمل الشتات. وظهرت كلمة العدل وغلب الحق باطله ... أفمن كان مؤمنا كمن فاسقا لا يستوون. فالنزال النزال، والصبر الصبر، ألا وإن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير الأمور عاقبة ائتوا الحرب غير ناكصين فهذا يوم له ما بعده )

وكانت ترفع صوتها بهذا الأسلوب القوي المؤثر فتنفعل بها في القلوب والمشاعر فعل السحر، فيندفع المقاتلون في شجاعة وضراوة يعانقون الموت وهم مبتسمون.

ولما انتصر معاوية كتب إلى واليه بالكوفة يستقدمها إليه مع نفر من عشيرتها وفرسان من قومها ولما دخلت عليه رحب بها ثم قال : هل تعلمين لم بعثت إليك ؟ قالت : لايعلم الغيب إلا اللـه. قال : ألست راكبة الجمل الأحمر يوم صفين وأنت بين الصفوف توقدين نار الحرب وتحرضين على القتال ؟ فاعترفت الزرقاء في نخوة واعتزاز بكل ما فعلته من أجل علي وأصرت على رأيها فيه غير خائفة ولاوجلة.

فعند ئذ قال لها معاوية ـ وقد أكبر شجاعتها، وأعجب بوفائها ـ واللـه لوفاؤكم له بعد موته أحب إلي من حبكم له في حياته.

ولما سألها معاوية عرض حوائجها قالت : ياأمير المؤمنين إني آليت على نفسي أن لا أسأل أحدا بعد علي حاجة ولكن معاوية أقطعها ضيعة كانت تغل ثروة هامة وأعادها إلى وطنها سالمة مكرمة وقد تركت في قلبه أثرا عميقا يثير الشعور بالوفاء، وكتب إلى والي الكوفة بالوصية بها وبعشيرتها.

# ( معاويــة بـن أبي سفيـــان )

( 20 ق هـ 60 هـ )

هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي ...

ولد بمكة سنة (20 ق هـ ) وتوفي سنة (60 هـ ) وأسلم هو وأبوه وأمه هند بنت عتبة في يوم واحد هو يوم الفتح سنة ( 8 هـ ) وهو من دهاة العرب الأربعة الكبار في صدر الإسلام (عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد بن أبيه ومعاوية).

وقد عرف معاوية أقدار هؤلاء الدهاة الثلاثة فاستمالهم واستعان بهم وجعلهم يقومون بأدوار هامة خير قيام.

وحمل معاوية لواء الجهاد ضد الروم فأخذت جيوشه تغير عليهم برا وبحرا، وعرفت الحملات البرية عليهم بالصوائف لأنها كانت توجه كل صيف.

والموقف البطولي الذي نسجله له في هذه الكلمة موقف سجله التاريخ في أبيض صحفاته، وسيبقى على جبين الدهر آية على عزة النفس، وكرم الطبع، وأصالة المعدن، والشعور الجماعي، والشهامة والحزم :

يعرف العامة والخاصة مدى الخلاف بين علي ومعاوية. فقد كان قويا مستحكما، عميقا متشعبا، شتت القوى، وقطع العرى، وجهز الجيوش، وأوقد

المعارك، ولكن كل هذا ذهب واختفى عندما تعرضت الأمة الإسلامية لخطر الأجنبي الدخيل الذي سولت له نفسه أن يتجرا على أمنها وسلامتها، ويدوس كرامتها، ويعبث بسيادتها ... إنه قيصر الروم ..

لقد رأى قيصر أن الخلاف بين علي و معاوية فرصة ثمينة يجب أن تنتهز لتحقيق طمعه الواسع العريض في القضاء على دولة الإسلام التي كان يمثلها إذ ذلك معاوية :

استضعف قيصر معاوية وظن أنه مشتت الرأي، موزع القوى، لا يهمه أكثر من نفسه ولايفكر إلا في شؤونه، فبعث إليه يهدده، ويطلب إليه أن يؤدي الجزية ...

عجيب أمر قيصر ... يطلب من معاوية ممثل الدولة الإسلامية الفتية التي بسطت نفوذها على الشرق والغرب وضربت الجزية على الفرس والروم - يطلب إليه أن يؤدي هو الجزية ؟.

هل انعكست المفاهيم، و اختلت الموازين، فصار السلب إيجابا والإيجاب سلبا، فأصبح معاوية في حالة من الضعف والهوان بحيث يطمع فيه طامع، وينال منه طائش ويترصده مترصد مغرور ؟.

إنها الوقاحة والجراءة تنطق بلؤم الطبع، ونذالة النفس، وقصر النظر، والحقد المستعر الدفين ...

ولكن معاوية - أحد كتاب الوحي وتلميذ المدرسة النبوية الشريفة، وممثل الدولة الإسلامية - بادر بلطمة عنيفة قذف بها وجه قيصر الطائش المتهور، ولقنه بها درسا قاسيا هزه من أعماقه، وزلزل الأرض تحت قدميه وتبين منه خطاه وأدرك أنه كان يحلم في اليقظة، ومأأحلام اليقظة إلا غرور وأماني وأوهام.

لقد بادر معاوية وأرسل لقيصر الروم يقول له :

( إن لم تكف عماسولت لك نفسك، فمن الغد قد اتفق أنا وابن عمي علي، ونجتمع سويا على حربك ...)

لقد كان هذا الرد القوي الحازم بمثابة صاعقة على رأس قيصر، فتردد في طلب الجزية من معاوية ثم تخاذل وسكت عن الأمر ...

للـه دار معاوية الشهم الأبي والمؤمن الصادق الذي رأى أن الخلاف بينه وبين علي خلاف محدود لايتجاوز المحيط الداخلي بين المسلمين، وأنه ينتهي

بظهور عدو خارجي يهدد الأمة ويستعد للنيل منها والحط من مكانتها.

ولله هذا الموقف البطولي الشهم الذي أرانا أن معاوية يعيش لأمته لالنفسه وينظر لمجتمعه لالذاته. ويعمل للمبدأ والعقيدة، لالللحياة والسلطان، ويتنكر لكل شيء مهما علا وعظم، ويضحي بكل شيء مهما كان وزنه وقيمته. في سبيل الأمة الإسلامية.

هذا موقف معاوية يزهو به التاريخ الإسلامي. ويستلهمه الأحفاد الأوفياء عبرا ودروسا يترسمونها في حياتهم حتى يأمنوا من الزلل والانحراف والارتكاس في هاوية العار وحمأة الدناءة والإسفاف التي سقط فيها بعض حكام المسلمين.

# ( عقيلـة بنـي هاشـــم )

( ... 62 هـ )
( ... 682 م )

هي زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب رضي اللـه عنه، أمها السيدة ( فاطمة ) الزهراء أحب بنات الرسول إليه، وشقيقة الحسن والحسين ...

سماها جدها الرسول صلى اللـه عليه وسلم بهذا الإسم إحياء لذكرى إبنته التي كانت قد توفيت قبل ولادة الطفلة بقليل، وحزن عليها حزنا شديدا ...

تزوجها ابن عمها عبد اللـه بن جعفر بن أبي طالب، فأثمر هذا الزواج أربعة بنين : جعفرا، وعليا، وعونا الأكبر، وعباسا، وبنتين هما : أم كلثوم وأم عبد اللـه ...

ولقد كان صباها حزينا كئيبا كأنه إنذار بالعواصف والزلازل، روعت في طفولتها برؤية مأساة الموت مرتين :

الأولى : حين التحق جدها صلى اللـه عليه وسلم بالرفيق الأعلى وكانت إذ ذاك لاتتجاوز الخامسة من عمرها وليس من شك في أن الطفلة قد شاهدت جسد جدها الطاهر في غرفة السيدة عائشة، وشاهدت جموعا من الباكيات المفجوعات يذرفن الدموع في ذهول وحزن وألم ...

أما المرة الثانية التي يتفطر فيها قلب زينب حزنا وفزعا فهي حينما شاهدت أمها تلبي نداء ربها بعد زمن قصير[1].

وكانت السيدة زينب تشبه أمها لطفا ورقة، وتشبه أباها علما وتقى.

وتذكر بعض الروايات التاريخية أن لها مجلسا علميا حافلا تتردد عليه النساء للتزود من العلوم الدينية والثقافة الإسلامية ...

ولاعجب أن يروى عنها ( إبن عباس ) فيقول : ( حدثتني عقيلتنا زينب بنت علي ).

ويقول المؤرخون أنها كانت ذات شخصية قوية، ولسان فصيح، وحجة بالغة، وبيان ساحر، وروي الجاحظ في ( البيان والتبين ) عن خزيمة الأسدي أنه قال : (دخلت الكوفة بعد مقتل الحسين ... فلم أر خفرة أنطق منها. كأنما تنزع من لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)

ومرت ( زينب ) بأحداث تاريخية لا شك أن لها تأثيرا كبيرا في نفسيتها :

شهدت الأمر ينتقل من أبي بكر إلى عمر، ثم إلى عثمان عام 35 هـ لتبدأ الفتنة التي لم ينطفيء أوارها حتى يومنا هذا ...

ظلت (زينب) بعد مقتل عثمان ترمق أباها عليا في حب وقلق، وتتابع حركته وترقبه عن كثب وهو يخوض المعركة تلو المعركة ويفرغ من موقعة ( الجمل ) ليلقى ( معاوية ) في جيش الشام (بصفين) [2] ثم يفرغ منه ليلقى الخوارج في (النهروان )[3] حتى تلك الليلة المشئومة وهي ليلة الجمعة التاسع عشر من رمضان عام 40 هـ وهي الليلة التي سمعت فيها صياحا وضجة وضوضاء تقطع هدأة الليل وسكونه، ثم رأت رجالا يقبلون ـ وهم يحملون أباها عليا على أعناقهم ـ والدماء تنزف منه بغزارة، من طعنة قاتلة مسمومة سددها إليه اللعين عبد الرحمن بن ملجم. وكان علي قد خرج الى المسجد ليصلي الفجر ...

ولم تكد ترى ( زينب ) أباها والدماء تنزف منه حتى ذهلت وتصدع قلبها من هول الفاجعة، ولكنها سرعان ماتماسكت وتجلدت وأكبت عليه تقبله وتغسل جرحه بدموعها.

---

(1)قبل ستة أشهر وقيل ثلاثة وقيل بل أقل من ذلك.

(2)موقع بقرب الرقة على شاطيء الفرات فيه وقعت المعارك بين علي ومعاوية سنة 37 هـ.

(3)بين بغداد وواسط من الجنب الشرقي.

ولازمت ( زينب ) أباها لاتبرح فراشه كأنها تتزود منه قبل الرحيل ..

لم يلبث علي أن لفظ أنفاسه وارتقت الى بارئها في ليلة الأحد 21 رمضان عام 40 هـ.

ووقفت (زينب) بجانب أخيها الحسين في معركة (كربلاء) من بداية القتال إلى نهايته التي كانت بمصرعه ولايستطيع اللسان والقلم أن يصفها (زينب) وهي تصغى بملء جوارحها في فزع مذهل إلى صيحته في الألوف المجتمعة عليه :

( أعلى قتلي تجتمعون ؟

أما والله لاتقتلون بعدي عبدا من عباد الله، الله أسخط عليكم لقتله مني ...

وأيم الله إني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم ثم ينتقم لي منكم من حيث لاتشعرون. أما والله لو قتلتموني لألقى الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم ثم لايرضى بذلك منكم حتى يضاعف لكم العذاب الأليم)[4].

وسيق موكب الأسرى والسبايا وبينهم السيدة ( زينب ) فكان أبشع موكب شهده التاريخ كان فيهم صبيان للحسن ابن علي وغلام مريض من أبناء الحسين أنقذته عمته ( زينب ) بشق الأنفس ...

وكانت مع ( زينب ) أختها فاطمة وسكينة بنت الحسن وبقية نساء بني هاشم سبايا أسيرات ...

واجتاز الموكب ساحة المعركة حيث الأشلاء مبعثرة في الدماء فصاحت زينب :

( يامحمداه، صلى عليك ملائكة السماء ... هذا الحسين بالعراء، مزمل بالدماء، مقطع الأعضاء، يامحمداه ... هذه بناتك سبايا، وذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا )[5].

فضجت النساء من ورائها بالنواح. وبكى كل عدو وصديق ...

ولما وصل الركب إلى الكوفة لم تطق السيدة ( زينب ) أن ترى أهل الكوفة يبكون الحسين وآله ووقفت دون أن تلتفي بالا إلى عبد الله بن زياد الأمير

---

(4)عن (تراجم سيدات بيت النبوة) للسيدة بنت الشاطىء ص 757.

(5)المصدر نفسه ص 467.

الطاغية ...

وقبل أن يؤذن لها بالجلوس جلست في مهابة وجلال وجلست حولها إماؤها وهن بها محتفيات فسأل إبن زياد من تكون ؟ فلم تكلمه، وأعاد السؤال مرتين وثلاثا وهي لاتجيب استخفافا واحتقارا ...

وأجابت إحدى إمائها : هذه زينب بنت فاطمة ... قال لها ابن زياد في غيظ وحنق : الحمد للـه الذي فضحكم وقتلكم، وأكذب أحدوثتكم ...).

فردت عليه ( زينب ) في ترفع وكبرياء : الحمدللـه الذي أكرمنا بنبيه صلى اللـه عليه وسلم واله وطهرنا من الرجس تطهيرا، إنما يفضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا والحمد للـه ...

وسيق ركب الأسرى والسبايا مرة أخرى إلى دمشق وهناك سجلت ( زينب ) مواقف أخرى تعكس بطولتها وشهامتها وأصالتها ومنبعها الطاهر الشريف ...

وقضت بقية عمرها عابدة متبتلة حتى توفيت عام 62 هـ.

# ( عقبــة بن نافــع )

( 1 ق هـ    63 هـ )
( 621 م    683 م )

عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري القريشي ... ولد قبل الهجرة، ونشأ في بيئة إسلامية خالصة حيث ولد على عهد الرسول صلى اللـه عليه وسلم، وتفرع عن دوحة راسبة العروق في الشرف والمجد والسؤدد ...

فأهله من بني (فهر) لهم ماض مشرق في الحروب، و حاضر وضيء في الفتح، وأقاربه ـ وفي طليعتهم عمرو بن العاص ـ هم أبرز قادة الفتح، وقومه قريش: محتد العز، وموئل السيادة، وأيام شبابه كانت عهدا ذهبيا حافلا بالفتوحات الإسلامية، والبطولات التاريخية الخالدة ...

وهكذا توافرت العوامل على إعداد عقبة خير إعداد ليكون قائدا من أبرز قادة الفتح الإسلامي ... وبطلا من أعظم أبطال الأمة العربية ...

وقد شهد عقبة فتح مصر على يد عمرو بن العاص، واكتسب من معارك هذا الفتح خبرة هامة، في القيادة والتخطيط الحربي مما جعله يبرز في وقت قصير كقائد حربي له شأنه، ثم ذاع صيته، وطبقت الآفاق شهرته، وصار مضرب المثل في البطولة ...

وخاض عقبة معارك رهيبة ضد الرومان، واستطاع بمقدرته الحربية، وقيادته الحكيمة أن يجليهم عن شمال إفريقيا، وكان ساحل الشمال الإفريقي كله خاضعا للنفوذ الروماني، وكانت شعوبه تعيش تحت ضغط جهنمي مهول فرضته عليها الجيوش والحاميات الرومانية، وكانت السيطرة الرومانية تزداد يوما بعد يوم ... شدة وضراوة، وتتحفز للتوسع والامتداد ولم يعد يخفي ماوراء هذا التحفز من الخطورة على سلامة الأمن في مصر، ورأى معاوية أن الوضع يتطلب القضاء نهائيا على حكم الروم وجيوش الروم ..

وكان عقبة في هذا الوقت على رأس حامية ( برقة ) يحمي الحدود الغربية لمصر من هجوم الروم فصارت تلك المنطقة قاعدة استراتيجية، ومنطلقا حربيا هاما للمسلمين إلى فتح إفريقيا ...

فعهد إليه معاوية لقيادة الجيش الإسلامي لمحاربة الروم فتولى القيادة برباطة جأش، وصداقة بأس، وخاض المعارك الضارية ضد جيوش الروم، وضرب أروع الأمثال في المهارة والشجاعة وأظهرت الجيوش الإسلامية من الصمود والاستبسال ماأدهش العدو وأذهله ... وانتصر عقبة على الروم انتصارا رائعا باهرا، وبنى مدينة القيروان والمسجد الذي لايزال إلى اليوم يعرف بجامع عقبة ...

ومن القيروان انطلق عقبة بالجيوش الإسلامية[6] يفتح بلدا تلو آخر حتى وصل في فتوحه إلى الساحل الأطلنطي، وعند رجوعه سقط شهيدا قرب بسكرة[7] ودفن هناك سنة 63 هـ 683 م ... وضريحه يزار بجامع يدعى باسمه ...

وتزخر كتب التاريخ بمواقف عقبة العظيمة التي تثير النخوة والإعجاب، وهي كثيرة لاتعد، ويكفي أن نقتصر هنا على قصة جديرة بالذكر والاعتبار لأنها تعكس مايزخر به قلبه من إنسانية وإيمان، كما تعكس إيمان الصحابة الذين كانوا معه ويقينهم بربهم، ويروي لنا هذه القصة إبراهيم بن القاسم ويقول :

إن المسلمين جاءوا إلى عقبة عندما شرعوا في بناء القيروان ليقولوا له : إنك أمرتنا بالبناء في شعاب وغياض لاترام، ونحن نخاف من الحيّات والسباع، وغير ذلك ...

---

(6) عزله معاوية سنة 55 هـ فعاد إلى الشرق ولما توفي بعثه يزيد واليا على المغرب فقصد القيروان وخرج منها فاتحا.
(7) بكسر الكاف ـ كما في معجم البلدان لياقوت ـ وضبطها الحازمي وغيره بفتح الباء والكاف.

وتلفت عقبة حوله وكان من بين الجنود ثمانية عشر رجلا من أصحاب رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم وطلب إليهم أن يتبعوه إلى مكان البناء وفي هذا المكان وقف عقبة وأصحاب الرسول من حوله وأخذ ينادي :

( أيتها الحيات والسباع ...

نحن أصحاب رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم فارحلوا عنا فإنا نازلون ...

ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه ...)

فكانت المفاجأة المدهشة عندما شاهدوا السباع و الذئاب و الحيات تخرج من الغياض والأحراش وهي تحمل أولادها ...

هكذا كان عقبة بن نافع الفهري مؤمنا قويا، وقائدا فاتحا، وفارسا شجاعا، ثم ختم حياته الجهادية بالشهادة ...

ما أعظمها حياة، وما أجملها خاتمة.

# ( غزالـــــة )

( ... 77 هـ )
( ... 696 م )

ومن هي غزالة هذه ؟

إنها امرأة شبيب بن يزيد الشيباني الفارس الحروري ... ومن شهيرات النساء شجاعة وفروسية، وأصلها من الموصل واتفق المؤرخون على أنها من أبرز البطلات المشهورة في التاريخ وكانت مهارتها في الضرب بالسيف إلى حد أن الرجال الأبطال كانوا يخشونها ويقرأون ألف حساب لمواجهتها في الميدان.

ثارت هي وزوجها على جبروت الحجاج وغطرسته سنة 695 فأرسل إليها خمسة من أشهر قواده قوة وشجاعة وكانوا مسلحين بالسيوف البتارة فطلبت منهم أن ينازلوها واحدا واحدا، ولكنهم كانوا يعرفون من هي فرفضوا وهجموا جميعهم عليها بالسيوف، وامتشقت سيفها وواجهتهم ببطولة واستبسال فقتلتهم جميعا دون أن يلحقوا بها أذى.

وبينما كانت ( غزالة ) تصلي ذات يوم ركعتين في جامع الكوفة نذرت أن تصليهما للـه تقرأ فيهما سورة البقرة بأكملها إذ بخبرها يبلغ الحجاج فرآها فرصة ثمينة لقتلها فأرسل إليها سبعين رجلا من رجاله الأشداء وهم مسلحون بالسيوف

الماضية وأحست بهم ( غزالة ) فقطعت صلاتها بالتسليم واستلت سيفها وخرجت لهم ففر جمع منهم ووقف الباقون لها؛ ولكنها لم تكد تقتل اثنين منهم بضربة سيف واحدة حتى أخذ الآخرون بالهلع والرعب؛ وفروا غير لاوين على شيء.

ويذكر المؤرخون أنها دعت الحجاج يوما في بعض المواقع أن يبرز إليها بعد أن جندلت من فرسانه عددا غير قليل؛ والحجاج من ذاع صيته بين الناس؛ ومن عرف بشدة البأس، وقوة المراس، وسفك الدماء.

فما وسع الحجاج أمام هذا التحدي الجريء من هذه البطلة الفارسية إلا أن يخرج على رأس كوكبة من الفرسان المشاهيرعدها مائة رجل والتقى بها هي وزوجها وبعض رجالها فبدأ القتال بين الجانبين في قوة وشدة فحملت ( غزالة ) على الحجاج حملة ضارية، وقتلت حارسه ولم يكد الحجاج يرى رأس حارسه ينفصل عن جسمه بضربة سيف مهولة حت فر هاربا يحتمي بظله وينجو بجلده حتى عيره الشاعر عمران بن قحطان الخارجي، ونعى عليه هذا الموقف الشائن المتخاذل وقال :

أسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت إلى ( غزالة ) في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر

وقتلت ( غزالة ) خدعة في موقعة الكوفة ...

قتلها خالد بن عتاب الرياحي بأن طعنها في ظهرها وهي تخوض في صدور الرجال ثم قطع رأسها وحمله إلى الحجاج ...

تلك هي غزالة التي كانت تفترس الأسود ... وستظل مفخرة البطلات العربيات، تروى أخبارها ومواقعها، وتترسم خطاها، وتستلهم العبر والدروس من تاريخها.

## « قطـــري بـن فـجـــاءة »

( ... 77 هـ )

سمي أبوه الفجاءة لأنه كان باليمن فقدم على أهله فجاءة ...

واسمه جعونة بن مازن بن يزيد الكناني المازني التميمي، من كبار أهل الثورة في القرن الأول الإسلامي ... والذي حدابه إلى ركوب ذلك المركب الوعر هو مطالبته الحكومة إذ ذاك بالقيام على الكتاب والسنة فهو من رؤساء الأزارقة ( الخوارج ) وأبطالهم من أهل قطرة.

خرج على مصعب بن الزبير لما ولي العراق نيابة عن أخيه عبد اللـه بن الزبير الذي ولي الخلافة في مكة أيام كان يزيد بن معاوية قائما بالخلافة في دمشق فبقي قطري 20 سنة يقاتل جيوش الحكومة ويسلم عليه بالخلافة وإمارة المؤمنين ...

وكان الحجاج بن يوسف الثقفي يسير إليه جيشا بعد جيش وهو يردهم ويظهر عليهم ...

ويذكر عنه التاريخ أنه خرج في بعض حروبه وهو على فرس أعجف وبيده خشب فدعا إلى المبارزة فبرز إليه رجل فأسفر له قطري عن وجهه فلما رآه الرجل ولي عنه فقال له القطري : إلى أين ؟ فقال : لايستحي الإنسان أن يفر منك ...

وكان قطري شجاعا مقداما، عارفا لأساليب الحرب، لايهاب الموت، ولايتردد في تنفيذ أمر عزم عليه وفي شجاعته وإقدامه يقول :

أقول لها وقد طارت شعاعا ... من الأبطال ويحك لاتراعى
فإنك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذي لك لم تطاعي
فصبرا في مجال الموت صبرا ... فما نيل الخلود بمستطاع
ولاثوب الحياة بثوب عز ... فيُطوَى عن أخي الخَنَع اليراع
سبيل الموت غاية كل حي ... وداعيه لأهل الأرض داع ...
فمن لايغتبطْ يسامْ ويهرم ... وتسلمه المنونُ إلى انقطاع
وما للمرء خير في حياة ... إذا ماعُدَّ من سَقَط المتاع[8]

قال صاحب سنا المهتدي في وصف قطري :

(كان طامة كبرى، وصاعقة من صواعق الدنيا في الشجاعة والقوة وله مع المهالبة وقائع مدهشة ... وكان عربيا فصيحا مفوها، وسيدا عزيزا، وشعره في الحماسة كثير)

وفيه يقول حصين بن حفصة اسعدي :

أنت الذي لانستطيع فراقه ... حياتك لانفع وموتك ضائر

واختلف المؤرخون في قتله فقيل : عثر به فرسه فاندقت فخذه فمات وجيء برأسه إلى الحجاج. وقيل : توجه إليه سفيان بن الأبرذ الكلبي فقاتله وقتل في المعركة بالري أو بطبرستان[9].

(8)ذكرها صاحب الحماسة واستحسنها ابن خلكان كثيرا.

(9)ضبطها الحموي في معجمه : بفتح أوله وثانيه وكسر الراء.

# ( سعـيد بن المســيب )

( 13 هـ 94 هـ )
( 634 م 713 م )

هو أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المدني سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع ...

أجمع المؤرخون على أنه أعلم علماء عصره، قال الأوزعي : سئل الزهري ومكحول، من أفقه من لقيتما ؟ قالا : سعيد بن المسيب. وقال : عبد اللـه بن عمر في حقه لأصحابه : لو رأى هذا رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم لسره.

وذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان أنه لقي جماعة من الصحابة رضي اللـه عنهم وسمع منهم، ودخل على أزواج رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم وأخذ منهن.

وكان سعيد من أورع الناس فيما يدخل بيته وبطنه وكان من أزهد الناس في فضول الدنيا و الكلام فيما لا يعني و روي عنه أنه قال : حجَجْتُ أربعين حجة، وعنه أنه قال : ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة و ما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة لمحافظته على الصف الأول ...

ومن تتبع ما قاله أو كتبه عنه كبار المؤرخين وعلماء السيرة امتلأ إعجابا وتقديرا لشجاعته الأدبية، وهمته العالية وكلمته الصريحة ...

رسخت عقيدته، وقوي يقينه، وامتلأ قلبه بربه، فلم يكن يخشى إلا اللـه، ولايطأطئ رأسه لغير اللـه، لأنه يعلم جازما أن لاينفذ في الوجود إلا قانون اللـه ولايقع إلاما يريد اللـه ...

وابتلي بكثير من المواقف العسيرة الحرجة التي تذهل فيها العقول، فخرج منها مرفوع الرأس، باسم الثغر ...

قال يحيى بن سعيد : كتب والى المدينة إلى عبد الملك بن مروان : أن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان، [1]إلا سعيد بن المسيب، فكتب أن أعرضه على السيف، فإن مضى وإلا فاجلده خمسين جلدة، وطف به أسواق المدينة.

فلما قدم الكتاب على الوالي دخل سليمان بن يسار، وعروة بن الزبير، وسالم بن عبد اللـه على سعيد بن المسيب فقالوا : إنا قد جئناك في أمر : قد قدم فيك كتاب من عبد المالك بن مروان إن لم تبايع ضربت عنقك ... ونحن نعرض عليك خصالا ثلاثا فاعطنا إحداهن، فإن الوالي قد قبل منك أن يقرأ عليك الكتاب فلا تقل ( لا ) ولا ( نعم ) قال : فيقول الناس بايع سعيد بن المسيب، ماأنا بفاعل : قال : وكان إذا قال : لا، لم يطيقوا عليه أن يقول نعم. قال : مضت واحدة وبقيت إثنتان. قالوا : فتجلس في بيتك فلا تخرج إلى الصلاة أياما فإنه يقبل منك إذا طلبت في مجلسك فلم يجدك. قال : وأنا أسمع الأذان فوق أذني : حي على الصلاة حي على الفلاح ؟ ماأنا بفاعل ! مضت إثنتان وبقيت واحدة. قالوا : فانتقل من مجلسك إلى غيره فإنه يرسل إلى مجلسك فإن لم يجدك أمسك عنك. قال : فرقا لمحلوق [2]؟ ماأنا بمتقدم لذلك شبرا ولا متأخر شبرا ...

فخرجوا و خرج إلى الصلاة ( صلاة الظهر ) فجلس في مجلسه فلما صلى الوالي بعث إليه فأتي به فقال : إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا إن لم تبايع ضربنا عنقك. قال : نهي رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم عن بيعتين [3] فلما رآه لايجيب أخرج إلى السدة فمدت عنقه وسلت عليه السيوف، فلما رآه قد مضى

---

(1)عقد عبد الملك لابنيه بالعهد بعد موت عبد العزيز بن مروان سنة 84.

(2)لعلها : من مخلوق.

(3)روى أنه قال : لاأبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فقيل ادخل من الباب واخرج من الاخر فقال : والله لايقتدى بيّ.

أمر به فجرد، فإذا عليه تبان شعر فقال : لوعلمت أني لاأقتل ما اشتهرت بهذا التبان [4] فضربه خمسين سوطا ثم طاف به أسواق المدينة فلما رده [5] والناس منصرفون من صلاة العصر قال : إن هذه لوجوه مانظرت إليها منذ أربعين سنة ! !

وقضي سعيد في ظلمات السجن وقتا عانى خلاله من العذاب ما يشيب الوليد، ولكنه ظل على شجاعته الأدبية العالية، يناجي ربه، ويستمد منه العون على البلاء ...

وكان سعيد عظيم الثقة والإعتزاز بالله ... وكان يقول : والله لايسلمني الله ماأخذت بحقوقه ...

ويروي صالح بن كيسان : حج الوليد بن عبد الملك فلما دخل المدينة غدا إلى المسجد ينظر إلى بنائه فأخرج الناس منه غير سعيد بن المسيب فلم يجسر أحد على إخراجه من الحراس، فقيل لسعيد : لو قمت ...

فقال : لاأقوم حتى يأتي الوقت الذي أقوم فيه ... فقيل له : لو سلمت على أمير المؤمنين ... فقال : والله لا أقوم إليه. فقال عمر بن عبد العزيز ـ وكان في حاشية الوليد ـ : فجعلت أعدل بالوليد في ناحية المسجد حتى لايرى سعيدا ... ولكنه التفت إلى القبلة فرآه، فقال : من ذلك الشيخ ؟ أهو سعيد ؟

قال عمر : نعم. ومن حاله كذا وكذا ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك وهو ضعيف البصر ...

فقال الوليد : قد علمنا بحاله ونحن نأتيه ... فدار في المسجد ثم جاءه فقال : كيف أنت أيها الشيخ ؟ قال : والله ماتحرك سعيد ولكنه قال : بخير والحمد لله فكيف أمير المؤمنين وحاله ؟

فانصرف الوليد وهو يقول : هذا بقية الناس ...

ومن كلام سعيد رضي الله عنه :

( لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالإنكار من قلوبكم، لكيلا تحبط أعمالكم الصالحة ).

( مايئس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء ).

---

(4)وقيل ان هشاما ألبسه التبان.

(5)إلى السجن.

( ماأكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة اللـه، ولا أهانت أنفسها إلا بمعصية اللـه )
( كفى بالمرء نصرةً من اللـه له، أن يرى عدوه يعمل بمعصية اللـه )
( الدنيا نذلة و هي إلى كل نذل أميل، وأنذل منها من أخذها من غير وجهها ووضعها في غير سبيلها ) [6]وتوفي بالمدينة سنة 92 هـ وقيل غير هذا.

(6)عن (البداية والنهاية) لابن كثير و (وفيات الاعيان لابن خلكان) وتاريخ بغداد، وتهذيب التهذيب.

# ( عمـــر بن عبـد العـزيــز )

( 61 هـ 101 )
( 681 م 720 )

تأخذنا الدهشة من سيرة خلفاء الإسلام الأوائل، ويهزنا الحنين إلى الحياة المثالية التي حققوها بتطبيقهم للعدالة الاجتماعية بكيفية تثير النخوة والاعتزاز...

فهذا أحد خلفاء الدولة الأموية نقف معه وقفة قصيرة لنرى منها منهجه في تحقيق العدالة الاجتماعية، وكيف رفض في قوة وإصرار استغلال الإنسان لأخيه الإنسان مطبقا في ذلك رفض الإسلام للاستئثار والاستغلال الفردي.

وسنستبين من هذه الوقفة أنه مثال أعلى للعدل الإسلامي وقدوة فذة لملوك الإسلام ورؤساء حكوماته، إن كانوا يريدون حقا أن يكونوا قادة أممهم إلى الرقي والازدهار، والقوة والتمكن.

ولد بحلوان في مصر حيث كان أبوه أميرا عليها سنة ( 61 هـ ) وقيل ( 63 هـ ) وحفظ القرآن الكريم حفظا جيدا في سن مبكرة من عمره وفي سنة 99 بويع بالخلافة ومكث فيها سنتين وخمسة أشهر ولكنه استطاع في هذه المدة القصيرة أن يملأ الأرض علما، وأن يثبت العدالة، ويبسط ظلال الأمن، ويحقق الرخاء والازدهار لمختلف الطبقات العاملة، ورفض أن يستأثر بشيء يمتاز به عن

رعيته.

وأول خطبة خطبها في الخلافة تدل على منهجه في معاملة الناس، وتحدد أبعاده وأهدافه، قال بعد الحمد للـه والثناء عليه :

( أيها الناس إنه لاكتاب بعد القرآن ولانبي بعد محمد صلى اللـه عليه وسلم ألا وإني لست بقاض ولكن منفذ ... ولست بمبتدع ولكن متبع، ولست بخير من أحدكم، ولكني أثقلكم حملا، وأن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم، ألا لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ).

إنه يقر في هذا الخطاب المسؤولية الخطيرة التي تحملها ويعلن أنها عبء ثقيل، ومهمة شاقة لمن ينهض بها ويراقب ربه في كل كبيرة وصغيرة منها، حتى لاينحرف عن الجادة فيستوجب عذاب اللـه.

وخطب خطبة ثانية تكشف عن مدى حرصه على مصالح الناس فقال فيها :

( أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس وإلا فلا يقربنا، يرفع إلينا حاجة من لايستطيع رفعها، ويعيننا على الخير بجهده، ويدلنا من الخير على مالا نهتدي إليه، ولا يغتابن عندنا الرعية، ولا يدخل فيما لايعنيه ).

إنه في هذه الخطبة يقرر أن الجدير بالتقرب من الخليفة هو الذي يكون عونا للخليفة أما السلبي الذي يتدخل فيما لايعنيه، أو همه الوشاية والتجريح والكشف عن معائب الناس، فلا سبيل له إلى الخليفة.

وأخذ الخليفة يطبق مبادىء العدالة الاجتماعية وبدأ بنفسه فضرب في ذلك أروع الأمثال بل كانت خلافته صفحة ماجدة مشرقة في تاريخ الإسلام.

كانت زوجته فاطمة بنت عمه عبد الملك جالسة بين نساء من بنات العم والخال، حضرن لتهنئتها بخلافة زوجها وكن يحطنها بحفاوة وإكبار، ويظهرن لها من التزلف والإطراء مايثير الإحساس بحلاوة السلطة، ولذة الرئاسة، فجاء الخليفة وجلس بينهن بلطف وظرافة ثم نادى بزوجته فاطمة فلبت نداءه وأقبلت إليه مسرعة وقال لها :

( أين ثوب زفافك الحريري المرصع ؟ فابتسمت ابتسامة المتعجب وقالت : لم ياأمير المؤمنين ؟ فواصل سؤاله يقول : أنا أحب إليك أم ثوب زفافك ؟ فتعجبت لهذه المقارنة البعيدة التي لاتستساغ وبدت على صاحباتها مخائل

التعجب والاستغراب، ولكن فاطمة قالت في ارتباك مأخوذ : أنت ياأمير المؤمنين أحب إلي من كل شيء في الحياة.

فابتسم الخليفة وقال : إذن علي بثوب الزفاف لأدعه في مكانه اللائق. فساد الحاضرات سكون وعمتهن دهشة وحيرة، وسألت فاطمة في ابتسام مصطنع : وأين المكان اللائق به ياأمير المؤمنين ؟

فبادرها الخليفة بقوله : بيت مال المسلمين يافاطمة فإن قيمته الثمينة لم تكن من ثروة عمي، ولكنها كانت من طعام الجائع ومال اليتيم. فسكتت فاطمة في إطراقة ثم انصرفت إلى حجرتها وأحضرت الثوب فقدمته إلى الخليفة وخرج به إلى حيث أودعه مكانه اللائق ...

( وتطلعت العيون إلى العيون، وهمت الشفاه أن تنطق بعد احتباس ولكن روعة المفاجأة قد حبست الألسن وقتا طويلا حتى نهضت إحدى عمات الخليفة وقالت في جرأة واضحة : هو حر مع زوجته ولكني سأعرض عليه مطلبي اليسير ).

فقالت فاطمة : هو ذا قريب منك فاذهبي إليه كما تشائين. فانطلقت إلى الخليفة فحيته في دعابة وقالت متضاحكة : أنت حر مع زوجتك ياأمير المؤمنين ولكن عمتك تريد حقها العريض ...

فنظر الخليفة إليها في تأدب وتلطف وقال لها : أي حق يا عمتاه ؟

فقالت في صوت مرتفع : ماكنت آخذه من عبد الملك والوليد وسليمان ... وقال : وكم كنت تأخذين ؟ قالت عشرة آلاف دينار كل عام.

فنظر إليها الخليفة في جد نظرة استنكار وقال لها في حزم : لقد جاع الفقير، ومات المريض يا عمتاه، لما تأخذين من مال اللـه، سأعطيك واللـه كما أعطي نفسي ...أوتقبلين ؟ فقالت في غضب : وكم عطاؤك يابني ؟ فقال الخليفة : عطائي مايسد رمقي فأنا آكل الخبز وألبس الخشن وأشرب الماء ...

فحدجته بعينيها وقالت في تحد وسخط وتأفف : كل ماتشاء، وسنأكل مانشتهي دون حاجة إليك وخرجت إلى صاحباتها عابسة تصخب وتلوم وتندب حظها العاثر في العهد الجديد ).

للـه در هذه النفس الكبيرة، التي استعلت على زهرة الدنيا وزخارفها ومتعها فرفضت أن تنجر إليها وتلتفت إليها وتنشغل، بها فصغار النفوس هم الذين تستدرجهم دنياهم وتنحط بهم شهواتهم، ويبدون كأنهم أجسام بلا عقول، وأشباح

بلا أرواح.

ولله هذه العقيدة الراسخة وهذا الإيمان القوي الذي هذب النفس، وأضاء البصيرة، وملأ القلب خوفا من عذاب الله، وطمعا في رحمته، وحبا في رضاه.

ولله هذا العهد الزاهر الباسم الذي اختفت فيه الأنانية والأثرة، وانمحت فيه الوجاهة والمحسوبية، واستغلال الإنسان للإنسان، وأصبحت قيمة المرء ووزنه بعمله لابنسبه، وبخصاله لا بشكله ...

كل ذلك بفضل هذا الخليفة المؤمن الذي آمن بالله حق الإيمان، ورفض أن يكون عبدا لسواه فتجرد لخدمة عباد الله، وتفاعل في شؤونهم ولم يكن يرى نفسه وأهله وأقاربه إلا من عامة الناس، فرفض أن.( يطعم وغيره مريض، بل يقدم من مطعمه وزاده، ومن أمنه وصحته مايوفر به أمن الآخرين وراحتهم، ويجند نفسه لتحقيق التكافل الإجتماعي والأخوة الإنسانية الصادقة ).

ولا عجب أن يكون كذلك إنه الخليفة العادل ( عمر بن عبد العزيز )[1]

---

(1)من مراجع هذا الفصل ( منبر الإسلام ) العددان : 5 س 26 يوليو 1968 و 7 س 24 أكتوبر 1966.

## ( السيـــدة نفيســـة )

### ( 145 هـ 208 هـ )

هي نفيسة بنت أبي محمد الأمير حسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب القرشية الهاشمية ولدت بمكة المكرمة سنة 145 هـ ونشأ ت بالمدينة المنورة، وتزوجت إسحاق المؤتمن إبن جعفر الصادق ...

وكان ابن كاسب إذا تحدث عنه يقول حدثني الثقة الرضى إسحاق بن جعفر، لما عرف عنه من صلاح ونزاهة وتقوى ...

ودخلت ( نفيسة ) الديار المصرية مع زوجها فأقامت بها، وكانت ذات مال فأحسنت إلى الناس ولاسيما العجزة والمرضى، والزمنى، وكانت عابدة زاهدة كثيرة الخير ...

حدثت عنها زينب بنت يحيى المتوج ( إبنت أخي السيدة نفيسة ) وقالت : ( خدمت عمتي نفيسة أربعين سنة فما رأيتها نامت بليل، ولا أفطرت بنهار، فقلت لها، أما ترفقين بنفسك ؟

فقالت كيف أرفق بنفسي و قدامي عقبات لا يقطعهن إلا الفائزون.
واشتهرت نفيسة بالتضلع في التفسير والجديث، ويذكر المؤرخون أن الإمام الشافعي رضي اللـه عنه لما ورد مصر أحسنت إليه، وأخذ عنها، وكان ربما صلى بها في

شهر رمضان، وكانت دارها مزار العلماء يأخذون عنها، ويأنسون بمجالستها، ومحادثتها، لما عرفت به من سمو الروح، ونبل الخلق، وعلو الهمة، وشفافية النفس.

وحينما مات الإمام الشافعي أمرت بجنازته فأدخلت إليها، فصلت عليه، وكانت السيدة نفيسة قوية الإيمان، شجاعة القلب، صادقة البأس، لاتخاف في اللــه لومة لائم، ذكر المؤرخون أنه لما ظلم أحمد ابن طولون، استغاث الناس من ظلمه، وتوجهوا إلى السيدة نفيسة يشكونه إليها فقالت لهم :

متى يركب ؟

قالوا : في غد ...

فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه وقالت :

ياأحمد ياابن طولون، فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة، وقرأها فإذا فيها :

( ملكتم فاسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخولتم فعسفتم، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم، هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة، لا سيما من قلوب أوجعتموها، وأكباد جوعتموها، وأجساد عريتموها، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم ... أعملوا ما شئتم فإنا صابرون، و جوروا فإنا باللـــه مستجيرون، واظلموا فإنا باللــه متظلمون ( **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** ).

فترك أحمد بن طولون الظلم جانبا وسلك سبيل العدل ...

وهذا الموقف كاف في الدلالة على شجاعة هذه المرأة الزاهدة وصدق إيمانها، وحبها للتضحية في سبيل عموم الناس، فليس من السهل أن تواجه بن طولون هذه المواجهة الصريحة القوية وهي تعلم أنه قد ينتقم منها شر انتقام، وهو الظالم المستبد، ولكنها بإيمانها وشجاعتها، وحبها للخير، استطاعت أن تقف أمامه قوية قادرة منكرة ناهية.

ولما توفيت عزم زوجها إسحاق أن ينقلها إلى المدينة المنورة فمنعه أهل مصر من ذلك و سألوه أن يدفنها عندهم، فدفنت في المنزل الذي كانت تسكنه قديما بدرب السباع، وكانت وفاتها في شهر رمضان من سنة 208 هـ.

وللمصريين اعتقاد عظيم فيها يزورون ضريحها، ويتبركون به، ويدعون عنده معتقدين بإجابة الدعاء ... وقد بالغ العامة في اعتقادهم فيها، وخاصة المصريين،

حيث يطلقون فيها عبارات مجازفة تناقض العقيدة الإسلامية، وهذه المبالغة قديمة ...

قال الحافظ ابن كثير :

( والذي ينبغي أن يعتقد فيها، مايليق بمثلها من النساء الصالحات، وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها )[1].

وقال ابن الأهدل نقلا عن الذهبي :

( للجهال فيها اعتقاد لايجوز، وقد يبلغ بهم إلى الشرك بالله تعالى، فإنهم يسجدون للقبر، ويطلبون منه المغفرة )[2].

---

(1) البداية والنهاية ج 10 ص 262.

(2) شذرات الذهب ج 2 ص 21.

# ( بــشر الحـــافي )

## ( 150 هـ 227 هـ )

هو أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن المروزي المعروف بالحافي، من كبار الصالحين وثقات رجال الحديث، وأعيان الأتقياء المتورعين.

أصله من ( مرو ) وسكن بغداد وتوفي بها.

وسبب توبته أنه أصاب في الطريق ورقة فيها اسم اللـه تعالى مكتوب، وقد وطئتها الأقدام فأخذها واشترى بدراهم كانت معه غالية [1] فطيب بها الورقة وجعلها في شق حائط فرأى في النوم كأن قائلا يقول له :

يابشر طيبت اسمي لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة.

فلما تنبه من نومه تاب ...

ويبدو من هذه الحكاية التي أوردها ابن خلكان في الوفيات أن بشرا لم يكن على الجادة القويمة في شبابه أو أنه كان غافلا عن طاعة اللـه تعالى وعبادته ...

وذكروا أنه لقب بالحافي لأنه ذهب إلى أسكاف يطلب منه شسعا لإحدى نعليه فقال له الإسكاف :

---

(1) الغالية : أخلاط من الطيب.

ماأكثر كلفتكم على الناس ... فألقى النعل من يده والأخرى من رجله وحلف أن لايلبس نعلا بعدها ...

وكان للحافي ثلاث أخوات عابدات زاهدات فلما ماتت أكبرهن وإسمها ( مضغة ) حزن عليها حزنا شديدا وبكاها كثيرا فقيل له في ذلك فقال : قرأت في بعض الكتب أن العبد إذا قصر في خدمة ربه سلبه أنيسه وهذه أختي ( مضغة ) كانت أنيستي في الدنيا ...

وقال عبد اللـه بن أحمد بن حنبل :

دخلت امرأة على أبي فقالت له :

ياأبا عبد اللـه، إني امرأة أغزل في الليل على ضوء السراج، وربما أطفىء السراج فأغزل على ضوء القمر، فهل علي أن أبين غزل السراج من غزل القمر ؟

فقال لها أبي :

إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبيني ذلك.

فقالت له : ياأبا بعد اللـه أنين المريض هل هو شكوى ؟

فقال لها : إني أرجو أن لايكون شكوى، ولكن هو اشتكاء إلى اللـه تعالى. ثم انصرفت.

قال عبد اللـه : فقال لي أبي : يابني ماسمعت إنسانا قط يسأل عن مثل ماسألت هذه المرأة إتبعها.

قال عبد اللّه : فتبعتها إلى أن دخلت دار بشر الحافي، فعرفت أنها أخت بشر، فأتيت أبي فقلت له : إن المرأة أخت بشر الحافي، فقال أبي : هذا واللـه هو الصحيح محال أن تكون هذه المرأة إلا أخت بشر الحافي، قيل لبشر : بأي شيء تأكل الخبز ؟

فقال : أذكر العافية فاجعلها إداما.

و من دعائه : اللـهم إن كنت شهرتني في الدنيا لتفضحني في الآخرة فاسلبه عني...

ومن كلامه :

عقوبة العالم في الدنيا ...

وكان المأمون يقول :

لم يبق في هذه الكورة أحد يستحي منه غير هذا الشيخ بشر بن

الحارث ...

والملحوظ أننا نحن في هذا العصر المادّي الذي اختفى فيه أمثال بشر الحافي، يصعب علينا أن نستسيغ هذه المعاني والمواقف الزهدية وتعد عندنا ضربا من الخيال أو نوعا من ( الدروشة ).

فمن منا يقرأ عن حياة هؤلاء الذين طلقوا الدنيا فلا يشعر بهاوية عميقة تفصل بينه وبينهم ؟.

سمع الحافي الإسكاف يقول :

ما أكثر كلفتكم على الناس فألقى النعل من يده، والأخرى من رجله فلم ينتعل بعد ذلك اليوم ...

فعل ذلك بكل سهولة لأنه حر لم يكن عبدا إلا لله وحده.

أما نحن فعبيد كل شيء ... عبيد ما يؤكل ويشرب، عبيد مايسكن ويركب،

فترى الناس في طوابير منذ الفجر إلى المساء من أجل رطل من القهوة، بل منهم من يقضي أياما من طابور إلى آخر، ويزعم أنه حر، يتحكم في نوازع نفسه ...

ولانعني بهذا ـ طبعا ـ أن يعرض الإنسان عن الدنيا، ليكون حرا، بل نعني وجوب التحكم في نوازع النفس، فلا ينبغي أن يسعى لاهثا وراء المواد الغذائية التي تختفي أو تقل في السوق فتراه يضحي بكرامته وهي أعز مايملك، ووقته وهو رأس مال حياته، فإذا ضاع هاذان : الكرامة والعمر فقد ضاع كل شيء ...

# ( الإمـام أحمـد بن حـنبل )

## ( 164 هـ   241 هـ )

هو الإمام الحجة المجتهد البارع، ناصر السنة، أبو عبد اللـه الإمام بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي ولد ببغداد سنة 164 هـ تربى يتيما، ونشأ نشأة دينية ...

طلب العلم صغيرا، ثم رحل في طلبه إلى الشام والحجاز واليمن ... وسمع من سفيان بن عيينة وطبقته ولازم الإمام الشافعي مدة إقامته ببغداد وقد قال في حقه :

( خرجت من بغداد وماخلفت فيها أتقى ولاأزهد ولاأروع ولاأعلم من أحمد بن حنبل ).

وقال عنه علي بن المديني : اتخذت أحمد إماما فيما بيني وبين اللـه تعالى إذا أفتاني لم أبال إذا لقيت ربي كيف كان ).

وكما كان قدوة في الورع والعبادة، كان آية في قوة الملكة، وسعة الحفظ، والدراية، وممن رووا عنه الشيخان، وقد صنف الإمام كثيرا من الكتب الهامة قيل إنها بلغت إثنى عشر حملا، منها كتاب ( المسند الكبير ) الذي انتقاه من أكثر من سبعمائة وخمسين ألف حديث ...

وفي عهده أجبر المأمون والمعتصم والواثق المحدثين على القول بأن القرآن مخلوق ...

وامتنع الإمام في قوة وإصرار، وتعرض لألوان فظيعة من التعذيب والتنكيل، رغم جلالة قدره، وضعف بدنه وكبر سنه ...

صبر الإمام للإهانة، وصمد للتعذيب، ووقف في ذلك موقفا بطوليا رائعا ملك إعجاب الناس البعيد منهم والقريب، والعدو والحبيب، فلم يبق في بغداد (عاصمة الملك) قلب إلا وهو يخفق بحبه، ولانفس إلا وهي متدلهة بالهيام به، ولالسان إلا وهو يلهج بالثناء عليه، ولادار ولاندوة ولامجلس إلا وذكر أحمد هو شاغل الألسن والقلوب ماعدا أهل البدعة خصوم الحق، وسماسرة التلون ...

ولاعجب أن يقف الإمام هذا الموقف فالقضية عقيدية جوهرية لايتساهل فيها إلا ضعيف الإيمان، مهزوز العقيدة عندما تنال منه البلايا والشدائد ...

والإمام الممتحن من أقوى الناس إيمانا، وأرسخهم عقيدة، وأعلمهم بما ورد في حاله من النصوص و الأخبار، و أدركهم لأبعاد هذه الآيات الكريمة :

( ألم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا و هم لا يفتنون و لقد فتن الذين من قبلهم فليعلمن اللـه الذين صدقوا و ليعلمن الكاذبين )

لقد أقام الإمام بتمسكه بعقيدته، و استهانته بكل ما لاقاه في سبيل ذلك من عذاب وإهانة ـ البرهان الساطع على عزة الدين، و وجوب التضحية بالنفس في سبيله...

روي البيهقي عن الربيع قال : بعثني الشافعي بكتاب من مصر إلى أحمد بن حنبل، فأتيته وقد انفتل من صلاة الفجر فدفعت إليه الكتاب فقال : أقرأته ؟

فقلت : لا، فأخذه فقرأه فدمعت عيناه. فقلت ياأبا عبد اللـه، ومافيه ؟ فقال : يذكر أنه رأى رسول الله صلى اللـه عليه وسلم في المنام فقال : أكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل واقرأ عليه مني السلام وقل له :

إنك ستمتحن وتدعي إلى القول بخلق القرآن فلا تجبهم. يرفع اللـه لك علما إلى يوم القيامة...

قال الربيع : فقلت حلاوة البشارة، فخلع قميصه الذي يلي جسده

فأعطانيه، فلما رجعت إلى الشافعي أخبرته، فقال : إني لست أفجعك فيه، ولكن بله بالماء وأعطينيه حتى أتبرك به ...[1]

ولما ذاع في بغداد أن الإمام قد دنا أجله فزع الناس : مسلمهم ونصرانيهم، يهوديهم ومجوسيهم، حتى إذا كان يوم الجمعة 12 ربيع الأول سنة 241 هـ صعدت روحه إلى الملاء الأعلى ووقفت الحركة كلها ببغداد وساد المدينة حزن واكتئاب وخرج الناس جميعا مابين حزين، ومنتحب، لتشييع الإمام البطل ... رضي اللـه عنه ونفعنا بعلمه.

---

(1) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ج 10 ص 331

# ( طــارق بــن زيــاد )

( نحو 50 هـ 102 هـ )
( 670 م 720 م )

هو طارق بن زياد، ويقال له طارق بن عمرو، اختلف في أصله والراجح أنه بربري من قبيلة نفزة البربرية ـ كما نسبه ابن عذاري ـ ولانعرف عن نشأته شيئا.

أسلم على يد موسى بن نصير، فكان من أشد رجاله، وأشهر أبطاله، ولما تم لموسى فتح طنجة ولي عليها طارقا سنة ( 89 هـ ) فأقام فيها إلى أوائل سنة ( 92هـ ) فجهز موسى نحو ( 12000 ) جندي معظمهم من البربر لغزو الأندلس وولي طارق قيادتهم وانطلق بهم بروح وثابة تهفو إلى النصر أو الشهادة فنزل بهم البحر ....

ومن مواقفه التاريخية الخالدة أنه عندما علم أن جيش العدو يفوق جيشه في كثرة الرجال والفرسان والعتاد أمر بإحراق سفنه حتى يفقد رجاله أمل العودة إلى الوراء فيحاربوا بصدق ويقاتلوا باستبسال، ثم خطب في جيوشه خطبته المشهورة التي تعد من أروع الخطب الحماسية وأبلغها أثرا في إلهاب المشاعر في القلوب وهاهي كما أوردها ابن خلكان، في كتابه ( وفيات الأعيان ) :

( أيها الناس، أين المفر ؟ والبحر من ورائكم والعدو أمامكم، فليس لكم

والله إلا الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مآدب اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته، وأقواته موفورة وأنتم لاوزر لكم غير سيوفكم، ولاأقوات لكم إلا ماتستخلصونه من أيدي أعدائكم، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم، ولم تنجزوا لكم أمرا، ذهبت ريحكم، ( وتعوضت القلوب برعبها منكم الجراءة عليكم ) فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية، [1] فقد ألقت به إليكم مدينته المحصنة، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن لكم إن سمحتم بأنفسكم للموت، وإني لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة [2]ولاحملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس أبدا فيها بنفسي، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه أوفر من حظي، وقد بلغكم ماأنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدرو المرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان و قد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الأبطال عزبانا، [3] ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا واختانا، ثقة منه بارتياحكم للطعان، واستماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان ليكون حظه معكم ثواب الله على إعلاء كلمته، وإظهار دينه بهذه الجزيرة. ويكون مغنمها خالصا لكم من دونه ومن دون المسلمين سواكم، والله تعالى ولي إنجادكم على مايكون لكم ذكرا في الدارين، واعلموا أني أول مجيب إلى مادعوتكم إليه وإني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية قومه، لذريق، فقاتله إن شاء الله، فاحملوا معي، فإن هلكت بعده فقد كفيتكم، [4] أمره ولن يعوزكم بطل عاقل تسندون أمركم إليه، وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه. واحملوا بأنفسكم عليه، واكتفوا المهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فإنهم بعده يخذلون ).

فعلت هذه الكلمات النابعة من قلب المؤمن الصادق فعل السحر في القلوب، فالتهبت المشاعر، وغلت الدماء، وتحول المجاهدون إلى طاقات متاججة

---

(1) في نسخة : هذه الطاغية

(2) بمنجاة

(3) في نسخة : عريانا

(4) في نسخة : كفيتم

إيمانا وعزما، واندفعوا إلى المعركة وعليهم الدروع ومن فوق رؤوسهم العمائم البيض، وقد تقلدوا السيوف واعتقلوا الرماح، وعندما رآهم لذريق أصابه ذهول، ولكنه كان واثقا بالنصر لكثرة جنوده، وقوة عتاده، والتقى الجيشان في 28 رمضان عام 92 هـ الموافق لـ 19 يوليو سنة 711 م فدارت المعركة رهيبة ضارية برهن فيها الجيش الإسلامي عن بطولة خارقة وصمود نادر وانتصر انتصارا باهرا سجله التاريخ في صفحاته المشرقة ...

فاستولى جيش المسلمين على ( جبل طارق ) وفتح حصن قرطاجنة، وتغلغل في أرض الأندلس، وافتتح اشبيلية واستجة ...ثم احتل طليطلة ( عاصمة الأندلس ) ...

وهكذا كان طارق بجيشه الإسلامي المنتصر ينطلق بروح وثابة يقاتل في سبيل اللـه ويفتتح المدائن تلو الأخرى ...

ويذكر المؤرخون أن ( طارق ) كان نائما في المركب فرأى في منامه النبي صلى اللـه عليه وسلم والخلفاء الأربعة يمشون على الماء حتى مروا به فبشره النبي صلى اللـه عليه وسلم بالفتح وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد ...

فهب ( طارق ) من نومه مستبشرا وبشر أصحابه ولم يشك في الفوز بالنصر ...

وهنا أمران يجدر بنا ألا ننهي رحلتنا مع طارق بن زياد دون أن نشير إليهما لأهميتهما :

أولا ـ الأخوة الصادقة بين البربر والعرب، تلك الأخوة التي صنعت أحداثا تاريخية خالدة، ومجدا تليدا يزهو به الإسلام الذي كان قاعدة هذه الأخوة وأرضيتها، فإن البرابرة سكان المغرب الأصليين تآخوا مع العرب المسلمين الفاتحين وامتزجوا بهم، وتكونت منهم جميعا قوة أعلت صرح الإسلام، وأرست قواعده، وكانت للعدو على الدوام شجا في حلقه، وقذى في عينه، وشبحا رهيبا يثير فزعه، ويقض مضجعه ...

ومنذ ذلك الحين لم يعد في الجزائر ـ مثلا ـ عرب وبربر بل هناك أمة واحدة هي أمة الجزائر المسلمة ...

وفي إتحاد العنصرين العربي والبربري بإفريقيا سر تاريخي عجيب يذكره أهل التاريخ وخلاصته، أن ( الكاهنة ) ملكة أوراس غداة الفتح الإسلامي سنة

808 هـ كانت قد أسرت ثمان جنديا من الجيش العربي فعاملتهم بالحسنى ثم أطلقت سراحهم إلا ( خالد بن يزيد ) فإنها أبقته عندها وقالت له :

( مارأيت في الرجال أجمل منك ولاأشجع وأنا أريد أن أرضعك فتكون أخا لولدي فنحن جماعة البربر لنا رضاع إذا فعلناه نتوارث به ).

ثم عمدت إلى دقيق من الشعير فخلطته بالزيت ووضعته على ثدييها ثم دعت ولديها وقالت لهما :

( كلا مع خالد على ثديي، ففعلا فقالت الآن صرتم إخوة ).

ثانيا ـ شك بعض المؤرخين في إحراق طارق بن زياد للسفن، ولاحظ أن قائدا في مستوى طارق، لايصدر منه مثل هذا الصنيع الذي لاينم إلا عن الحمق والارتجال. والحق أن مانسب إلى طارق أمر تواتر عن مشاهير المؤرخين واستفاض فلم يعد مثار نقاش وجدال أوشك وارتياب، بالإضافة إلى أنه يدل على مضي العزيمة. وقوة الإرادة. والرفض الصارم لكل ماعسى أن يثني عن الهدف المطلوب. ولو كان مجرد تفكير أو تخمين فيه ...

فالموقف يدل على بعد النظر، وسداد الرأي، وصداقة البأس ...

# ( سالم بن عبد اللــه )

( . . .    106 هـ )
( . . .    725 م )

هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي أحد فقهاء المدينة السبعة ومن سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم.

رآه هشام بن عبد الملك الأمير في دولة بني أمية، يطوف بالبيت فعرض عليه أن يسأله من الدنيا ما يريد.

فرد عليه سالم في عزة وإباء.

إني أستحي أن أطلب من غير اللــه وأنا في بيت اللــه.

فلما انتهى الحج وخرج الجميع من الحرم إلى الحل عائدين إلى أوطانهم تعرض له هشام وذكره بعرضه الأول؛ قائلا له : الآن خرجت من بيت اللــه فسلني ماتريد.

فرد عليه سالم بنفس أقوى ما تكون اعتزازا باللــه، وحفاظا على الكرامة وتنزها عن المسألة :

أنا لم أطلب الدنيا ممن يملكها فكيف أطلبها ممن لايملكها ...

فبهت الأمير من عظمة هذه النفس وكبرها وقوتها، ومنذ ذلك الحين أصبح مناط

إعجابه وتقديره ...

ولنتصور بجانب هذه النفس العزيزة الأبية أولائك الذين يسترخصون كل شيء في سبيل العروض الزائفة و يبيعون أعراضهم في سبيل الوضائف والمناصب ثم هم يرفعون رؤوسهم بين الناس ويطلقون ألسنتهم بالتطاول والتباهي.

وتوفي سالم بن عبد اللـه في المدينة المنورة سنة 106 هـ

# ( طـــلحة بـن مـــصرف )

( ... 112 هـ )
( ... 730 م )

هو طلحة بن مصرف بن كعب بن عمرو الهمذاني الكوفي ، أقرأ أهل الكوفة في عصره وكان يسمى سيد القراء وهو من رجال الحديث الثقاة ومن أهل الورع والنسك شهد وقعة الجماجم وقال رميت فيها بالسهم ولود دت أن يدي قطعت ولم أشهدها.

روى المؤرخون أنه بينما كان سليمان بن عبد الملك جالسا يوما إذ مر به رجل يختال في مشيته فقال : هذا ينبغي أن يكون عراقيا ، وينبغي أن يكون كوفيا ، وينبغي أن يكون من همدان.

ثم قال : علي بالرجل.

فأتي به فسأله سليمان ممن الرجل ؟ فقال. ويلك دعني حتى ترجع إلي نفسي.

فتركه هنيهة ثم سأله:

ممن الرجل ؟ فقال : من أهل العراق، قال : من أيهم ؟ قال : من أهل الكوفة. قال : أي أهل الكوفة ؟ قال : من همدان، فأعجب الناس بفراسة

سليمان بن عبد الملك.

ثم سأله سليمان، ماتقول في أبي بكر؟

فأجاب. والله ماأدركت دهره ولاأدرك دهري، ولقد قال الناس فيه فاحسنوا وهو إن شاء الله كذلك.

فما تقول في عمر؟ فأجاب بمثل ذلك، فما تقول في عثمان؟ والله ما أدركت دهره ولاأدرك دهري ولقد قال فيه الناس فاحسنوا، وقال فيه ناس فأساءوا وعند الله علمه.

فما تقول في علي؟ هو والله مثل ذلك.

فقال له : سب عليا، وقال : لاأسبه.

والله لتسبنه ...

والله لاأسبه ...

لتسبنه أو لأضربن عنقك ...

والله لاأسبنه ...

فأمر سليمان بضرب عنقه، فقام رجل في يده سيف فهزه فكان يلمع في يده، وصاح سليمان.

لتسبنه أو لأضربن عنقك ...

فأجاب طلحة في بطولة وشهامة والسيف فوق رأسه.

لا والله لاأسبه، ويلك رضى به من هو خير منك ممن هو خير مني فيمن هو شر من علي؟؟

قال سليمان وماذاك؟ قال. الله رضى من عيسى وهو خير مني إذ قال في بني إسرائيل وهو شر من علي ( **إن تعذبهم فإنهم عبادك وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ).

قال العلاء بن كريز : فنظرت إلى الغضب ينحدر من وجه سليمان حتى صار في طرف أرنبته ثم قال : خليا سبيله. فعاد طلحة إلى مشيته كان لم يكن شيء، فما رأيت رجلا قط خيرا من ألف رجل غيره وإذا هو طلحة بن مصرف.

# ( الكـــميت الأســـدي )

( 60 هـ 126 هـ )
( 680 م 744 م )

هو الكميت بن زيد بن الأخنس الأسدي، شاعر الهاشميين من أهل الكوفة. والعالم بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها حتى قيل عنه :

( ماجمع أحد من علم العرب ومناقبها ومعرفة أنسابها ماجمع الكميت، فمن صحح الكميت نسبه صح ومن طعن فيه وهن ).

وسئل معاذ الهراء عن أشعر الناس فقال : ( من الجاهليين امرؤ القيس وزهير وعبيد بن الأبرص. ومن الإسلاميين الفرزدق وجرير والأخطل، فقيل له يا أبا محمد. مارأيناك ذكرت الكميت ؟ قال : ذلك أشعر الأولين والآخرين ).

ويقال أن شعره أكثر من خمسة آلاف بيت وأشعر شعره ( الهاشميات ).

و ( الهاشميات ) قصائد عديدة قالها في مدح الهاشميين ترجمت إلى اللغة الألمانية. وأبرز خصائصها القوة والجزالة والإحساس الملتهب، تقرأها فياسرك العمق والحرارة والصدق. وتشدك الموهبة الفطرية والطاقة الخاصة والخيال الواسع الوثاب وستبقى ( الهاشميات ) سجلا خالدا لمناقب أهل البيت، وصورة حية تنطق مدى الأجيال بمواقف ( الكميت ) البطولية، الشجاعة التي أحنت لها الأيام رأسها

إجلالا وإكبارا ...

فمنذ مقتل عثمان بدأت الفتنة تؤرق المسلمين وتثير فيهم حروبا ومنازعات، وتجعلهم صفين متعاديين ... بعد أن كانوا صفا واحدا يرعبون العدو، ويصنعون الحياة القوية الجميلة ... صفا يتطلع إلى خلافة المسلمين على أنها ليست منصبا بقدر ماهي تكليف يجب على من هو أهل لها أن يضطلع بها خير اضطلاع وقد وقع اختيارهم على الإمام علي بن أبي طالب، وعلى الصف الثاني معاوية بن أبي سفيان السياسي الداهية الذي تولي إمارة دمشق في عهد عمر بن الخطاب وكان ينظر إلى الصراع الدائر بينه وبين علي نظرة قبلية صرفة ...

فالصراع صراع بين بني أمية وبني هاشم ... وقد عانى بنو هاشم من هذا الصراع الدامي الحزين شدائد قاسية وأهوالا مريعة ...

فبعد مقتل علي وتثبيت خلافة معاوية لم يتحرج مشايعو الأمويين من لعن علي وبيته وسبهم على منابر المساجد وفي المجامع والمحافل والأوساط المختلفة، وأصبح اللعن والسب والشتم وسيلة المتقربين إلى البيت الحاكم ...

ولقد رأى ( الكميت ) أن أبناء فاطمة بنت الرسول صلى اللـه عليه وسلم أولى الناس بالخلافة والسلطان وكان مجرد هذا الاعتقاد دون الجهر به كافيا لتعريضه للاضطهاد والاعتساف، بل للقتل من جانب السلطة الأموية ...

ولكن ( الكميت ) الشجاع الوفي، لم يعبأ بالخطر ولم يكترث بما سينجر له من وراء موقفه الواضح الصريح من الهاشميين من إيذاء وتعذيب وموت ...

فجاهر ( الكميت ) برأيه ووهب نفسه لأهل البيت وكان ذلك من أجل التقرب إلى الرسول صلى اللـه عليه وسلم والرغبة في شفاعته ...

حدث محمد بن سهل وقال :

دخلت مع ( الكميت ) على جعفر الصادق في أيام التشريق فقال : جعلت فداءك ألا أنشدك ؟.

قال إنها أيام عظام ... قال : إنها فيكم قال : هات ...

فأنشده قصيدته التي أولها :

الأهـــل عم في رايـــة متـــأمل  وهـل مـدبر بعـد الإسـاءة مقبـل

وعندما بلغ إلى قوله :

ونحن بهـا مستمسكـون كـأنها بنـا جنـة مما نخـاف ومعقـل

كثر البكاء وارتفعت الأصوات، فكلما ذكر الحسين رضي اللـه عنه ومناقبه رفع جعفر يديه وقال :

اللـهم اغفر للكميت ماقدم ومأخر، ومأسر وما أعلن، وأعطه حتى يرضى ...

ثم أعطاه ألف دينار وكسوة، فقال له الكميت :

والله ماأحببتكم للدنيا، ولواردتها لأتيت من هي في يديه ولكنني أحببتكم للآخرة. فأما الثياب التي أصابت أجسامكم فإني أقبلها لبركتها ...وأما المال فلا أقبله

فلله در كميت فقد كان بطلا في موقفه، مخلصا في حبه، عظيما في وفائه، رائعا في شعره ... وهذا ما كان سببا في اضطهاده طول حياته ثم كان سببا في موته ...

# ( أبوعـثمان عـمرو بن عـبيد )

( 80 هـ    144 هـ )
( 699 م    761 م )

هو عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء أبو عثمان البصري ...

كان جده من سبي فارس وكان أبوه يخلف الشرط بالبصرة، وكان الناس إذا رأوه مع أبيه قالوا :

هذا خير الناس إبن شر الناس، فيقول أبوه : صدقتم، هذا إبراهيم وأنا آزر ...

وكان آدم مربوع القد بين عينيه أثر السجود ...

وسئل الحسن البصري عنه فقال للسائل : ( لقد سألت عن رجل كأن الملائكة أدبته، وكأن الأنبياء ربته، إن قام بأمر قعد به، وإن قعد بأمر قام به، وإن أمر بشيء كان ألزم الناس له، وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له: مارأيت ظاهرا أشبه بباطن، ولا باطنا أشبه بظاهر منه ).

ودخل يوما على المنصور فأكرمه وعظمه وقربه؛ وسأله عن أهله، وعياله ثم قال له :

عظني ... فقرأ عليه سورة الفجر إلى قوله تعالى : ( **إن ربك لبالمرصاد** )، فبكى المنصور بكاء شديدا حتى كأنه لم يسمع هذه الآيات قبل ذلك ثم قال له : زدني ... فقال : إن اللـه قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها وإن

هذا الأمر كان لمن قبلك، ثم صار إليك، ثم هو صائر لمن بعدك واذكر ليلة تسفر عن يوم القيامة ...

فبكى المنصور أشد من بكائه الأول حتى اختلفت أجفانه، فقال له سليمان ابن مجالد : رفقا بأمير المؤمنين ... فقال أبو عثمان : وماذا على أمير المؤمنين أن يبكي من خشية اللـه عز وجل ؟.

ثم أمر له المنصور بعشرة آلاف درهم فقال : لاحاجة لي فيها ... فقال المنصور : واللـه لتأخذها ... فقال، واللـه لاآخذها ... فقال له المهدي ـ وهو جالس ـ وسيفه إلى جانب أبيه ـ أيحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت ؟.

فالتفت إلى المنصور فقال : ومن هذا ؟

فقال : إبني محمد ولي العهد من بعدي ...

فقال أبو عثمان : إنك سميته إسما لم يستحقه لعمله، وألبسته لبوسا ماهو لبوس الأبرار، ولقد مهدت له أمرا أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه ...

ثم التفت عمرو إلى المهدي فقال : يابن أخي إذا حلف أبوك وحلف عمك، فلأن يحنث أبوك أيسر من أن يحنث عمك، لأن أباك أقدر على الكفارة من عمك ...

ثم قال المنصور : هل من حاجة ؟ قال أبو عثمان : نعم، قال : وماهي ؟ قال : لاتبعث إلي حتى آتيك، ولاتعطني حتى أسألك ...

فقال المنصور : إذن واللـه لن نلتقي، فقال أبو عثمان : عن حاجتي سألتني ... ومضى فأتبعه المنصور طرفه[1] وقال : كلكم يمشي رويدا كلكم يطلب صيدا غير عمرو بن عبيد ...

ويقول المؤرخون الذين اهتموا بدراسة أبي عثمان أنه أنشد المنصور قصيدة في موعظته إياه منها هذه الأبيات :

يا أيها ذا الذي قد غره الأمل ودون مايأمل التنغيص والأجل
ألاترى إنما الدنيا وزينتها كمنزل الركب حلوا ثمت ارتحلوا
حتوفها رصد وعيشها نكد وصفوها كدر وملكها دول
تظل تقرع بالروعات ساكنها فما يسوغ له لين ولاجذل

(1) طرفه : بصره.

كـأنـه للمنـايـا والـردى غرض تـظل فيـه بنـات الـدهـر تنتقـل
تـديـره مـاتـدور بـه دوائـرهـا منها المصيب ومنها المخطيء الزلل
والنفس هـاربـة والمـوت يـطلبهـا وكـل عثرة رجـل عنـدهـا جلـل
والمرء يسعى بمـا يسعى لـوارثـه والقبر وارث مايسعى لـه الـرجـل

ولأبي عثمان تآليف هامة منها كتاب التفسير عن الحسن البصري، وكتاب الرد على القدرية، ورسائل وخطب، وكلام كثير في العدل والتوحيد ...

وعندما حضرته الوفاة قال لصاحبه :

نزل بي الموت ولم أتأهب له، ثم قال : اللـهم إنك تعلم أنه لم يسنح لي أمران في أحدهما رضى لك وفي الأخرى هوى لي إلا اخترت رضاك على هواي فاغفرلي ...

وتوفي رحمه اللـه وهو راجع من مكة إلى البصرة بموضع يقال له ( مران ) ورثاه الخليفة المنصور بقوله :

صلى اللـه عليك من متـوسـد قبـرا مـررت بـه على مـران
قبـرا تضمن مـؤمنـا متحنثا صـدق إلا لـه ودان بـالعـرفـان
لـو أن هذا الـدهـر أبقى صـالحـا أبقى لنـا عمـرا أبـا عثمـان

ولم يسمع في التاريخ بخليفة رثى من دونه سواه ...

ومضى أبو عثمان كما مضى ويمضي كل من ينقضي أجله فوق هذه الأرض ولكنه ترك ذكرا خالدا سيبقى به على الدوام يذكر بالتقدير والتبجيل والإعجاب ...

من ذا الذي يقف على جرأته وصراحته وصدقه أمام الخليفة المنصور ولا يهتز إعجابا بشجاعته وإخلاصه ؟

رفض أن يكون منافقا كاذبا، أو مجاملا مرائيا، أو متملقا متزلفا كما يفعل ضعاف النفوس والعقول الذين لاتهمهم إلا أنفسهم ولايعبأون بغيرهم ...

ورفض في قوة من الإيمان، وقوة من الأنفة والقناعة أن يطلب من الخليفة حاجة، وقد عرض عليه ذلك، وهو الخليفة الذي في يده مفتاح الأرض لا يضع مفتاحا على قفل إلا وانفتح أمام من يشاء وتغير حاله، فعز بعد ذل، وارتقى بعد انحطاط، وسعد بعد شقاء ...

# ( حـــماد بن ســلمة )

( . . .   161 هـ )

( . . .   784 م )

هو حماد بن سلمة بن دينار البصري، ويكنى أبا سليمان مولى لبني تميم أحد رجال الحديث، ومفتي البصرة ومن مشاهير النحاة ...

كان حافظا ثقة مأمونا، وعندما كبر ساء حفظه فتركه البخاري أما مسلم فاجتهد وأخذ من حديثه بعض ماسمع منه قبل تغيره ونقل الذهبي أنه كان اماما في العربية فقيها، فصيحا خطيبا، مفوها شديدا على المبتدعة ...

وقال ابن ناصر الدين : هو أول من صنف التصانيف المرضية، وقال عبد الرحمن بن مهدي : لو قيل لحماد بن سلمة، إنك تموت غدا ما قدر أن يزيد في العمل شيئا.

وقال موسى بن إسماعيل : لو قلت إني مارأيت حماد بن سلمة ضاحكا لصدقت، كان يحدث، أويسبح، أويقرأ أويصلي، قد قسم النهار على ذلك.

ويؤخذ من هذه الأقوال أن حماد بن سلمة من العلماء الكبار الذين نبغوا في الثقافة الإسلامية، وأدركوا قيمة الوقت فانتهزوا كل ساعة من حياتهم فيما يعود بالخير عليهم وعلى الناس.

وقد عاش حماد عمرا مديدا كالنبع الصافي يروي الظامئين، والسراج المنير يضيء الطريق للمدلجين ... وكان مع ذلك ذا همة عالية، ونفس أبية حرة، يحترم علمه ويعظمه، ومما يدل على ذلك ماحدثنا به مقاتل بن أبي صالح الخراساني حيث قال :

دخلت على حماد بن أبي سلمة فإذا ليس في البيت إلا حصير يجلس عليه وبيده مصحف يقرأ فيه وبجانبه حرز فيه أوراقه، ومطهرة يتوضا فيها ...

قال مقاتل : بينما أنا عنده وإذا الباب يدق ثم دخل رسول محمد بن سليمان وناوله كتاب سيده فإذا فيه بعد البسملة :

من محمد بن سليمان إلى حماد بن أبي سلمة.

أما بعد، فصبحك اللـه بما صبح به أولياءه وأهل طاعته، وقعت مسألة فإننا نسألك عنها والسلام، قال : ياصبية، هلمي الدواة، ثم قال لي : أقلب الكتاب وأكتب :

( أما بعد وأنت فصبّحك اللّه بما صبّح به أولياءه وأهل طاعته، إنا أدركنا العلماء وهم لايأتون أحدا، فإن كانت وقعت مسألة فأتنا واسألنا عما بدالك، وإن أتيتني فلا تأتني إلا وحدك ولا تأتني بخيلك ورجلك فلا أنصحك ولا أنصح نفسي والسلام ).

قال مقاتل : فبينا أنا عنده دق داق الباب فقال : ياصبية اخرجي فانظري من هذا ؟

فقالت : محمد بن سليمان، قال : قولي له ليدخل وحده، فدخل فسلم ثم جلس بين يديه فقال :

مالي إذا نظرت إليك امتلأت رعبا ؟

فقال حماد : سمعت ثابتا البناني يقول : سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم يقول : ( إن العالم إذا أراد بعلمه وجه اللـه عز وجل هابه كل شيء، وإذا أراد أن يكتنز به الكنوز هاب من كل شيء ).

فلما أراد الانصراف عرض عليه أربعين ألف دينار للإستعانة بها، فردها إليه قائلا له : أرددها على من ظلمته بها. قال : واللـه ما أعطيتك إلا ماورثته. قال : لا حاجة لي فيها أزوها عني زوى الله عنك أوزارك.

قال : فتقسمها. قال. فلعلي إن عدلت في قسمتها أن يقول بعض من

لم يرزق منها، لم يعدل. أزوها عني زوى اللـه عنك أوزارك ...

هكذا كان العلماء في الصدر الأول من الإسلام يحترمون أنفسهم ويعظمون علمهم، ويخافون ربهم، ويترفعون عن الدنيا وهي تلاحقهم، أما علماء اليوم - إلا من رحم ربك - فعلمهم يلعنهم، يتهالكون على الدنيا ويتنافسون في قشورها، ويؤثرون رضا المخلوق على رضا الخالق.

# ( عـبد اللـه بن المـبارك )

(118 هـ 181 هـ )
( 736 م 797 م )

هو الإمام الحجة، البطل الشجاع، والحافظ الزاهد، شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن عبد اللـه بن المبارك الحنظلي، صاحب التصانيف القيمة، والرحلات الواسعة.

قال عنه أحمد بن حنبل. لم يكن في زمان إبن المبارك أطلب للعلم منه ...

وقد صنف في مناقبه ومواقفه البطولية الشجاعة عدد من المؤرخين الثقات وكلهم يذكرونه بالإعجاب والتقدير.

ولم يكن ابن المبارك من أولائك العلماء الأحرار الذين يجاهدون بالكلمة الصريحة فحسب، بل كان نموذجا رائعا من النماذج البشرية الفذة صنعها الإسلام بتعاليمه ومبادئه فأحكم صنعها وصاغها على غرار من العظمة المتعددة الجوانب.

فكان ابن المبارك على منابر الخطابة سحبان أوقس بن ساعدة، وفي حلقات الدروس غيثا نافعا، وفي ميدان البحث والتأليف باحثا متعمقا، يضرب بسهم وافر في كل لون من ألوان الثقافة، وفي ميدان الجهاد في سبيل اللـه وفي سبيل الإنسان وكرامته بطلا شجاعا يخوض المعارك بنفس لاترهب الموت، ولاتعرف الرجوع إلى الوراء في وقت تنخلع فيه القلوب، وتطيش فيه العقول.

وفي أية قائمة من قوائم العظماء وضعت ابن المبارك وجدته يستحق الصدارة، ويحتل المكانة العليا. وبالرغم من أن ابن المبارك من العباد الأتقياء، ومن الصالحين الزهاد فإنه يرى أن العبادة الحقة هي تخضيب النحور بالدماء، واستنشاق غبار المعركة، واستقبال الموت بقلب ثابت وثغر باسم.

قال محمد بن إبراهيم.

أملي علي عبد الله بن المبارك حين ودعته للخروج هذه الأبيات وأرسلها معي إلى الفضيل بن عياض.

يـاعـابـد الحـرمين لـو ابصرتنـا لعلمت أنك في العبـادة تلعب
من كـان يخضب خده بدموعـه فنحـورنـا بـدمـائنـا تتخضب
أوكـان يتعب خيلـه في بـاطـل فخيـولنـا يـوم الصبيحـة تتعب
ريح العبيـر لكم، ونحن عبيـرنـا وهج السنـابك والغبـار الأطيب

قال إبراهيم.

فلقيت الفضيل بن عياض بكتابه في المسجد الحرام، فلما قرأه ذرفت عيناه وقال :

صدق أبو عبد الرحمن ونصحني. ثم قال :

أنت ممن يكتب الحديث ؟ قلت : نعم. قال : فاكتب هذا الحديث أجر حملك كتاب أبي عبد الرحمن إلينا.

( حدثنا منصور بن المعتمر عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي اللـه عنه أن رجلا قال : يا رسول اللـه، علّمني عملا أنال به ثواب المجاهدين في سبيل اللّه، فقال : هل تستطيع أن تصلي فلاتفتر، وتصوم فلا تفطر ؟ فقال : يارسول اللـه أنا أضعف من أن أستطيع ذلك.

ثم قال النبي صلى اللـه عليه وسلم ( فوالذي نفسي بيده لوطوقت ذلك مابلغت المجاهدين في سبيل اللـه أو ماعلمت أن المجاهد ليستن في طوله فيكتب له بذلك الحسنات )

وسيبقى العالم المجاهد ابن المبارك شعلة يلهب المشاعر في القلوب، ونور هداية لرجال العلم والدين، الذين يكتفون بالحديث والكتابة عن ( الجهاد ).

# ( الفـضيل بن عـياض )

( 105 هـ  187 هـ )
( 723 م  803 م )

هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني [1] الزاهد المشهور، العابد الصالح، ولد في سمرقند ونشأ بأبيورد ودخل الكوفة وسمع الحديث بها وتوفي بمكة.

كان في أول أمره شاطرا[2] يقطع الطريق بين اليورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينما هو يتسلق الجدران إليها سمع تاليا يتلو قوله تعالى :

**( ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر اللـه ومانزل من الحق ولايكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون )**[3].

فقال : يارب قد آن ... فرجع فآواه الليل إلى خربة فإذا فيها رفقة، فقال بعضهم : نرتحل، وقال بعضهم : حتى نصبح فإن فضيلا على الطريق يقطع

(1)نسبة إلى طلقان خراسان.

(2)الشاطر : المتصف بالدهاء والخبث.

(3)الحديد الآية 16.

علينا، فتاب الفضيل وأمنهم ...

وكانت تلك اللحظة التي سمع فيها الآية الكريمة لحظة العناية الإلهية إذ تحول فيها من خبيث إلى طيب، ومن منحرف ضال إلى مستقيم مهتد.

كان ثقة في الحديث أخذ عنه كثير من رجال العلم والمعرفة منهم الإمام الشافعي رضي اللـه عنه.

وأخباره في الوعد والطاعة والتقوى، وقول الحق ولو كان على سيف مسلول ـ أخبار مثيرة وأحيانا مدهشة ... وإذا وقف عليها أبناؤنا في هذا العصر المادي الذي أصبح فيه الزهد والتقوى والنزاهة أمورا غريبة فإنهم ـ لاشك ـ سيهزون رؤوسهم ويمططون شفاههم تعجبا واستغرابا ...

وكل أخبار الفضيل تعكس عقيدته الراسخة، وإيمانه العميق، وثقته في اللـه، وشجاعته وحبه للحق وانتصاره له، وانكراه للباطل، ونصحه الخالص في سبيل اللـه ...

قال الفضيل بن الربيع :

حج هارون الرشيد سنة من السنين فبينا أنا نائم ذات ليلة إذ سمعت قرع الباب، فقلت : من هذا ؟ فقال : أجب أمير المؤمنين، فخرجت مسرعا فقلت ياأمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك، فقال : ويحك قد جال في نفسي مالا يخرجه إلا عالم، فانظر لي رجلا أسأله عنه، فقلت : هاهنا سفيان بن عيينة. فقال : أمض بنا إليه، فأتيناه فقرعت الباب عليه فقال : من هذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين. فخرج مسرعا فقال : ياأمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك فقال : جدْ لما جئنا له، فحادثه ساعة، ثم قال له : أعليك دين ؟ قال : نعم. فقال : يا أبا العباس، أقض دينه ثم انصرفنا فقال : ماأغنى عني صاحبك شيئًا. فانظر لي رجلا أسأله، قلت : هاهنا عبد الرزاق بن همام، فقال : امض بنا إليه، فقرعت عليه الباب فقال : من هذا ؟ قلت أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعا فقال : ياأمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك ؟ فقال : جد ماجئنا له فحادثه ساعة، ثم قال له : أعليك دين ؟ قال : نعم، ياأبا العباس، أقض دينه، ثم انصرفنا، فقال : ماأغنى عني صاحبك شيئا، فانظر لي رجلا آخر أسأله فقلت : ههنا الفضيل بن عياض، فقال امض بنا إليه فأتيناه فإذا هو قائم يصلي في غرفته يتلو آية من كتاب اللـه تعالى وهو يرددها، فقرعت عليه الباب، فقال من هذا ؟ فقلت : أجب

أمير المؤمنين فقال : مالي ولأمير المؤمنين ؟ فقلت : سبحان اللـه أما تجب عليك طاعته ؟ ففتح الباب ثم ارتقى إلى أعلى الغرفة، فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا الغرفة، فجعلنا نجول عليه بأيدينا، فسبقت كف الرشيد كفي إليه، فقال : أواه من كف ما ألينها إن نجت غدا من عذاب اللـه تعالى، فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي، فقال : جد لما جئنا له رحمك اللـه تعالى، فقال : وفيم جئت ؟ حملت على نفسك وجميع من معك حملوا عليك حتى لو سألتهم أن يتحملوا عنك شقصا [4] من ذنب، مافعلوا. ولكن أشدهم حبا لك أشدهم حربا منك ...

ثم قال : إن عمر بن عبد العزيز رضي اللـه عنه لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد اللـه، ومحمد بن القرظي، ورجاء بن حيوة، فقال لهم : إني قد ابتليت بهذا البلاء، فأشيروا علي فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة، فقال سالم بن عبد اللـه إن أردت النجاة غدا من عذاب اللـه فصم عن الدنيا، وليكن إفطارك فيها على الموت.

وقال محمد بن كعب : إن أردت النجاة غدا من عقاب اللـه تعالى فليكن كبير المؤمنين عندك أبا، وأوسطهم عندك أخا، وأصغرهم عندك ولدا، فبر أباك، و ارحم أخاك، و تحنن على ولدك ...

وقال رجاء بن حيوة إن أردت النجاة غدا من عذاب اللـــه تعالى فأحب للمسلمين ماتحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم متى شئت مت وإني لأقول هذا ولأخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الأقدام، فهل معك رحمك اللـه مثل هؤلاء من يأمر بمثل هذا ؟؟؟

فبكى هارون الرشيد بكاء شديدا حتى غشي عليه، فقلت له : أرفق بأمير المؤمنين ... فقال :

ياابن الربيع قتلته أنت وأصحابك، وأرفق به أنا ؟ ثم أفاق هارون الرشيد فقال : زدني ...

فقال ياأمير المؤمنين بلغني أن عاملا لعمر بن عبد العزيز رضي اللـه عنه شكا إليه سهرا فكتب له عمر :

---

(4) شقصا : نصيبا.

يا أخي اذكر سهر أهل النار في النار، و خلود الأبدان، فإن ذلك يطرد بك إلى ربك نائما و يقظان، وإياك أن تزل قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك، وينقطع الرجاء منك ...

فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر : ما أقدمك ؟ فقال له : لقد خلعت قلبي بكتابك لا وليت ولاية أبدا حتى ألقى اللــه عز وجل ...

فبكى هارون بكاء شديدا، ثم قال : زدني، قال : ياأمير المؤمنين إن العباس عم النبي صلى اللــه عليه و سلم جاء إليه فقال : يا رسول اللــه، أمِّرني إمارة ... فقال له النبي صلى اللــه عليه وسلم : ياعباس : نفس تحييها خير من إمارة لا تحصيها ...

إن الإمارة حسرة و ندامة يوم القيامة، فإن استطعت ألا تكون أميرا فافعل :

فبكى هارون الرشيد بكاء شديدا ثم قال : زدني يرحمك اللــه. فقال : ياحسن الوجه أنت الذي يسألك اللــه عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح أو تمسى وفي قلبك غش لرعيتك، فإن النبي صلى اللــه عليه و سلم قال : ( من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة )

فبكى هارون الرشيد بكاء شديدا ثم قال له : أعليك دين ؟ قال : نعم. دين لربي يحاسبني عليه فالويل لي إن ناقشني، والويل لي إن سألني، والويل لي إن لم يلهمني حجتي ...

فقال هارون الرشيد : إنما أعني دين العباد ... قال : إن ربي لم يأمرني بهذا، وإنما أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره قال تعالى : ( **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ماأريد منهم من رزق وماأريد أن يطعمون، إن اللــه هو الرزاق ذو القوة المتين** )[5].

فقال له هارون : هذه ألف دينار فخذها وانفقها على عيالك وتقو بها على عبادة ربك ...

فقال : سبحان اللــه، أنا دللتك على سبيل الرشاد تكافئني أنت بمثل هذا سلمك اللــه ووفقك ؟؟؟

---

(5) الذاريات الايات 58/57/56

ثم صمت، ولم يكلمنا فخرجنا من عنده. فقال لي هارون : إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا فإن هذا صفوة الأخيار اليوم ...

ومما يروي أيضا أن القاضي بن عياض كانت له إبنة صغيرة عابدة للـــه تعالى فوجعها كفها ...

فسألها يوما قائلا : كيف حال كفك ياابنتي ؟

فقالت : ياأبت هو بخير بحمد اللــه و اللــه لئن كان اللــه ابتلى مني قليلا فلقد عافى مني كثيرا، ابتلى كفي، و عافى سائر بدني فله الحمد على ذلك ... فقال : يابنية أريني كفك فأرته فقبله، فقالت : ياأبت أناشدك اللـــه هل تحبني ؟ قال : اللــهم نعم، فقالت : سواه لك من اللــه .. واللــه ماظنن أنك تحب مع اللــه سواه ...

فصاح الفضيل قائلا : ياسيدي ... صبية صغيرة تعاتبني في حبي لغيرك، وعزتك وجلالك لاأحببت معك سواك، أرأيت - قارئي العزيز - كيف حرر الإسلام العقول من إسارها، وفك عن الأفكار عقالها ؟؟؟

إن المسلم الصحيح إذا نضجت الفكرة في رأسه ووعاها جاهد بها ولو كان على أعواد المشنقة ...

# ( فــارعة )

( ... 200 هـ )
( ... 815 م )

هي الفارعة بنت طريف بن الصلت التغلبية الشيبانية ... واسمها الحقيقي فيما ذكره بعض المؤرخين فاطمة، وإنما لقبت بالفارعة لأنها كانت طويلة القامة ترتفع هامتها على كثير من الرجال ....

كانت شهرتها تقوم على ثلاث قواعد ... شاعرية متدفقة. وفروسية بارعة. وشجاعة نادرة .. وكانت تركب الخيل وعليها الدرع وتقاتل في شجاعة واستبسال ... لاتعرف الهوادة والمسالمة ولا الرجوع إلى الوراء حتى تطفيء غلتها بدم الأعداء.

خاضت عدة معارك ووقفت في مختلف غاراتها مواقف الأبطال المغاوير. وانتشر صيتها وسارت به الركبان. شق أخوها ( الوليد ) عصا الطاعة على هارون الرشيد فأرسل إليه ( يزيد بن مزيد ) الشيباني فراوغه يزيد مدة ثم التقاه على غرة بقرب ( هيت ) وقاتله حتى ظفر به وقتله وبعث برأسه إلى الرشيد. فخرجت فارعة وحدها لمحاربة مزيد بن زائدة ومن معه من الرجال فدارت بينهما معركة ضارية كانت فيها فارعة جيشا لجبار بمفردها تقاتل في ثبات واستبسال. وشجاعة تثير

الدهشة والإعجاب.

وبعد أن تهاوى تحت سيفها جمع من الأبطال أصيب جوادها بسهم نافذ فقتل وسقطت من فوق الجواد وكان غريمها ينظر إليها عن كثب، وما إن رآها واقعة على الأرض حتى وثب عليها وشهر سيفه إليها ولكن همته أبت عليه أن يقتلها وهي ساقطة على الأرض ولما رفعت رأسها ورأته على ذلك الوضع طأطأت رأسها وشعرت بالخجل من هذا التصرف الإنساني وأخذت سيفها وانصرفت غير لاوية على شيء.

وقد كان لموت أخيها أثر بالغ على نفسها فبكته وحزنت عليه طويلا وقالت فيه مراثي عميقة أقرب ماتكون الى مراثي الخنساء في أخيها صخر.

ومن شعرها فيه قصيدتها البليغة التي عنى بها الأدباء والشعراء والتي أولها

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لايحب الـــزاد إلا من التقى
ولا المـال إلا من قنـا وسيـوف
حليف الندى ماعاش يرضى به الندى
فإن مات لم يرض الندى بحليف

# ( أسد بن الفرات )

( 142 هـ   213 هـ )
( 759 م   828 م )

أسد بن الفرات بن سنان أبو عبد اللـه. قاضي القيروان وأحد القادة الفاتحين. أصله من خراسان ولد بحران من مدائن الجزيرة سنة 142 هـ.

وذهب في باكورة طفولته مع أبيه إلى القيروان في جيش الأشعث فنشأ بها وهناك أتم دراسته الأولى ... ثم ذهب إلى المدينة المنورة سنة 172 هـ فدرس على إمام دار الهجرة مالك بن أنس فتزود منه بمادة لكتابه القيم ( الأسدية ).

ثم رحل إلى العراق وهناك تعرف بتلاميذ الإمام أبي حنيفة وأفاد من دروسهم، ثم رحل إلى مصر وأخذ عن ابن القاسم.

وفي سنة 181 هـ عاد إلى القيروان تسبقه شهرة ذائعة. وصيت عظيم. لرسوخ كعبه في الفقه والحديث مما جعله يوطد أقدامه في أستاذية هاذين العلمين. وتولى قضاء القيروان سنة 204 هـ .

وكان أسد بن الفرات شجاعا حازما. متحمسا لما يعتقد. عظيم الثقة باللـه، كثير الاعتزاز بالإسلام. وهذه الخصائص والصفات هي التي جعلت زيادة اللـه الأغلبي يبعثه على رأس جيشه وأسطوله لفتح جزيرة صقلية سنة 212 هـ

فهاجمها بعشرة آلاف جندي وفتحها فتحا مبينا.

ويذكر كبار المؤرخين وثقاتهم أن أسد بن الفرات عندما رأى الجموع المشيعة له بين يديه وخلفه وعن يمينه وعن شماله وقف في تأثر وخشوع وقال : ( لاإله إلا الله وحده لاشريك له ).

ثم قال : يامعشر المسلمين ماولي أب ولاجد ولاية قط. ومارأيت ماترون إلا بالأقلام - يريد العلم - فاجهدوا أنفسكم. وأتعبوا أبدانكم في طلب العلم وتدوينه وكاثروا عليه واصبروا في شدته. فإنكم تنالون به الدنيا والآخرة ).

وهكذا ابت عليه نفسه الشجاعة الكبيرة أن تحيا وتموت بين الكتب والمحابر. ورأى أن للإسلام حقا عليه في ميدان الجهاد. وفي لقاء الموت. في سبيل اللـه.

وتوفي أسد من جراحات خطيرة أصابته وهو محاصر سرقوسة برا وبحرا سنة 213 هـ .

والجدير بالذكر في ختام هذه الكلمة للدرس والاعتبار أن ( جنود هذا القائد البطل كانوا من العلماء والفقهاء الذين لايكتفون ساعة الشدة بالتوجيه وإثارة الحماس والترغيب في الإستشهاد. وإنما يتقدمون الصفوف. ويضربون المثل في الشجاعة والبطولة والتضحية. وفي هؤلاء يقول ابن حمديس :

ومـدرسـة أبنـاؤهـا فقهـاؤهـا فمن عـالم منهم ومن متعلم
ضراغم في الجيش اللـهام وإنما فوارسهم في الحرب من كل ضيغم

# ( أحــمد بـن نـصر الـخزاعي )

( . . .      231 هـ )

ترجم له الحافظ بن كثير في ( البداية والنهاية ) بقوله :

هو أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي. كان جده مالك بن الهيثم من أكبر الدعاة إلى دولة بني العباس الذين قتلوا ولده هذا ( كما سيأتي ).

كان الخزاعي من مفاخر بغداد علما وأدبا. وحفظا ودراية. وصلاحا وتقى. ووجاهة ورئاسة، حسبك أن العامة قد بايعوه سنة 201 هـ على القيام بالأمر والنهي حينما عم بغداد وما حولها شطار وفساق ودعار فكانوا يعيثون في الأرض فسادا ...

فنهض الخزاعي بالأمر خير نهوض، وكان ممن يدعو إلى القول بأن القرآن كلام اللـــه منزل غير مخلوق وكان الواثق متحمسا للقول بخلق القرآن إعتمادا على ماكان عليه أبوه وعمه المأمون من قبل من غير حجة عقلية أو دليل نقلي. فانبرى الخزاعي لمعارضة هذا الرأي. وأعلن للناس في قوة المؤمن الصادق الذي لايخاف إلا اللــه أن القرآن كلام اللــه منزل غير مخلوق ...

والتف حول الخزاعي خلق كثير من أهل بغداد ... ثم قبض عليه وعمره يتجاوز السبعين وأتي به إلى الواثق فأحضر له جماعة من الأعيان وحضر معهم القاضي إبن أبي دؤاد المعتزلي وناظروه في قضية خلق القرآن. فثبت الخزاعي

للمناظرة بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة. ورفض في إصرار أن يقول بخلق القرآن ...

فسلطت عليه أنواع مختلفة من التعذيب علّه يرجع عن رأيه، ولكنه أصر في شجاعة وكبرياء على موقفه ... ولما لم يرضخ للتعذيب، بل لم يزده التعذيب إلا وثوقا برأيه، وتمسكا بمبدئه، قتله الواثق ... ثم حز رأسه وحمله إلى بغداد.

وصلب هناك وفي أذنه رقعة مكتوب فيها :

( هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر الخزاعي ممن قتل على يدي عبد الله هارون الإمام الواثق بالله أمير المؤمنين بعد أن أقام عليه الحجة في خلق القرآن ونفي التشبيه وعرض عليه التوبة ومكنه من الرجوع إلى الحق فأبى إلا المعاندة والتصريح فالحمد لله الذي عجله إلى ناره، وأليم عقابه بالكفر، فاستحل بذلك أمير المؤمنين دمه ولعنه ).[1]

ثم جمع بين رأسه وجثته ودفن بالمقبرة المعروفة بالمالكية بالجانب الشرقي من بغداد ...

وسيظل شهيد العقيدة، الإمام الخزاعي قمة شامخة في تاريخ الإسلام ومنارة هادية في طريق النضال من أجل الحق. وجسرا على أشلائه وأشلاء أمثاله وصل إلينا هذا الدين الحنيف ... وسيبقى.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير ج 10ص 303

# ( شـهيد الـحق الإمـام الـبويطي )

( . . .     231 هـ )
( . . .     846 م )

هو أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصري البويطي [1] الفقيه الشهير. صاحب الإمام الشافعي، وواسطة عقد جماعته؛ كانت له مكانة مرموقة عند الإمام للمواهب والخصائص التي يمتاز بها من ذكاء ونجابة وعلم وشجاعة أدبية، وعفة ومروءة، وزهد ...

كان الرجل ربما يسأل الإمام الشافعي عن المسألة فيقول له : سل أبا يعقوب، فإذا أجابه أخبره فيقول هو كما قال.

قال الخطيب البغدادي في تاريخه :

لما مرض الشافعي مرضه الذي مات فيه جاء محمد بن الحكم ينازع البويطي في مجلس الشافعي، فقال البويطي أنا أحق به منك، وقال ابن عبد الحكم : أنا أحق بمجلسه منك. فجاء أبو بكر الحميدي وكان في تلك الأيام

---

(1) بويط : قرية بالصعيد الأدنى من مصر

بمصر فقال يقول الشافعي ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف بن يحيى[2] وليس أحد من أصحابي أعلم منه )[3].

كان البويطي صالحا تقيا، عابدا زاهدا، ورعا متنسكا. غالب أوقاته الذكر ودراسة العلم وغالب ليله التهجد والتلاوة ...

عاش المحنة في القرآن التي تعرض فيها علماء أجلاء للعذاب والسجن والموت فوقف موقفا بطوليا خالدا حيث أبى في إصرار ورفض حاسم أن يقول بخلق القرآن واستعذب في ذلك كل ألوان العذاب وصنوف الإهانة واسترخص روحه في سبيل عقيدته فبعثوا به من مصر إلى بغداد في قيود ثقيلة من الحديد وأعلن رأيه في كبرياء أمام الواثق وأرسل صيحة مدوية تزلزل الأرض من تحت الأقدام :

( والله لأموتن في حديدي هذا دون الحق الذي أؤمن به ).

فأمر الواثق بتعذيبه فلم تلن قناته، ولم تضعف إرادته، بل بقي قمة شامخة وآية بينة على الشجاعة والوفاء للعقيدة ...

وأمر بالتشهير به في مختلف الأوساط بأن أركبوه بغلا وفي عنقه غل وفي رجليه قيد وبين الغل والقيد سلسلة فولاذية فيها ثقل من الحديد زنته أربعون رطلا وأخذوا يطوفون به أمام الناس ثم ألقوا به في السجن حتى توفي ...

قال الربيع بن سليمان : رأيت البويطي يغلّ في عنقه، وفي رجليه قيد. وبين الغل والقيد سلسلة من حديد فيها طوبة وزنها أربعون رطلا وهو يقول

( إنما خلق اللـه الخلق ( بكن ) فإذا كانت ( كن ) مخلوقة فكن مخلوقا فواللـه لأموتن في حديدي حتى يأتي من بعدي قوم يعلمون أنه مات في هذا الشأن قوم في حديدهم )[4].

وكان رحمه اللـه إذا سمع المؤذن وهو في السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى بلغ باب السجن فيقول له السجان : أين تريد ؟ فيقول أجيب داعي اللـه ... فيقول : أرجع عافاك اللـه فيقول البويطي : اللـهم إنك لتعلم أني قد أجبت داعيك فمنعوني ...

قال أبو عمرو المستملي

---

(2) يعني البويطي

(3) دائرة معارف القرن العشرين

(4) المصدر نفسه

( حضرنا مجلس محمد بن يحيى الذهلي فقرأ علينا كتاب البويطي :

والذي أسألك أن تعرض حالي على إخواننا أهل الحديث لعل اللـه يخلصني بدعائهم، فإني في الحديد وقد عجزت عن أداء الفرائض من الطهارة والصلاة ).

فضج الناس بالبكاء والدعاء له[5].

قال السبكي :

أنظر إلى هذا الحبر لم يكن أسفه إلا على أداء الفرائض ولم يبال بالقيد ولابالسجن فرضي اللـه عنه وجزاه عن صبره خيرا[6].

وتوفي الإمام البويطي في سجن بغداد في القيد والغل والعذاب يوم الجمعة في رجب سنة إحدى وثلاثين ومائتين والتحق بربه راضيا مرضيا؛ مأسوفا عليه من أئمة العلم في مختلف البلاد ...

وسيظل أبو يعقوب قمة شامخة في تاريخ الوفاء للعقيدة؛ ومنارة هادية في طريق النضال والتضحية من أجل الحق ...

---

(5) مفتاح السعادة ومصباح السيادة، لطاش كبرى زاد ج 2 ص 306.

(6) نفس المصدر.

# ( سري السقطي )

( . . .   246 هـ )
( . . .   860 هـ )

هو أبو الحسن سري بن المغلس السقطي من أكابر المتصوفة وأرباب الحقيقة، ولد ببغداد وتوفي فيها وهو أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية.

قال عنه ابن خلكان : (كان أوحد زمانه في الورع وعلوم التوحيد، وهو خال أبو القاسم الجنيد وأستاذه وكان تلميذ معروف الكرخي ...

قال عنه الجنيد : مارأيت أعبد من السري أتت عليه ثمان وتسعون سنة ماروئي مضطجعا إلا في علة الموت ...

ومن كلامه : ( من عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز ) وكان كثيرا ماينشد :

إذا شكوت الحب قالت كذبتني   فمالي أرى الأعضاء منك كواسيا
فلا حل حب حتى يلصق الجلد بالحشا   وتذهل حتى ماتجيب المناديا

وقال : صليت وردى ليلة ومددت رجلي في المحراب فنوديت : ياسريى، كذا تجالس الملوك ؟، فضممت رجلي وقلت : وعزتك مامددت رجلي أبدا.

وقال : التصوف لثلاثة معان وهو الذي لايطفئ نور معرفته نور ورعه، ولايتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب، ولاتحمله الكرامات على هتك محارم الله تعالى.

وذكر شهاب الدين الإبشيهي في كتابه ( المستطرف في كل فن مستظرف ) حكاية عجيبة خلاصتها أنه أرق ليلة فلما طلع الفجر أدى الصلاة ثم دخل ( المارتسان ) فإذا هو بجارية مقيدة مغلولة وهي تقول :

تغـــل يـــدي الى عنقي وماخـانت وماسرقت
وبين جـوانحي كبـد أحـس بهـا قـد احتـرقت

فسأل القيم عن هذه الجارية، فقال له إنها مختلة العقل، فلما سمعت كلام القيم تبسمت وقالت :

معشر النـاس مـاجننت ولكن أنـا سكـرانـة وقلبي صـاحي
لم غللتم يـدي ولم أتذنبـا غير هتكي في حبه وافتضاحي ؟!
أنـا مفتـونـة بحب حبيب لست أبغى عن بـابـه من بـراح

فلما سمع السري كلامها بكى : فقالت : ياسري هذا بكاؤك من الصفة فكيف لو عرفته ؟.

فبينما هي تكلمه إذ جاء سيدها فما كاد يراه حتى خف إليه محييا في احترام وتقدير، فقال له السري : والله لهي أحق مني بالتقدير والتعظيم فلم فعلت بها هذا ؟

قال سيدها لتقصيرها في الخدمة وكثرة بكائها وشدة حنينها وأنينها كالثكلى لاتنام وقد اشتريتها بعشرين ألف درهم لصناعتها فإنها مطربة.

فسأله السري عن بداية أمرها فقال :

كان العود في حجرها يوما فجعلت تقول :

وحقك لانقضت الدهر عهـدا ولاكـدرت بعـد الصفـو ودا
مـلأت جـوانحي والقلب وجـدا فكيف أقـر يـاسكني وأهـدا
فيـا من ليـس لي مـولى سـواه تـراك رضيتني بـالبـاب عبـدا

فقال لسيدها : أطلقها وعليّ ثمنها ...

فصاح : وافقراه .. من أين لك عشرون ألف ياسري ؟.

فوعده السري بالثمن وهو لا يملك درهما واحدا. فانصرف وعينه دامعة، وقلبه حزين، فبات ليلته يتضرع إلى اللـه فإذا بطارق يطرق الباب ومعه خمس بدر أرسلها إليه أحمد بن المثنى، فسجد للـه شاكرا و قضى بقية ليله راكعا ساجدا، فلما صلى الصبح اتجه إلى الجارية وما إن اقترب منها حتى أنشأت تقول :

قـــد تصبـــرت إلى أن عيـــل من حبك صبـــري
ضـــاق من غلي وقيـــدي وامتهـــاني منك صـــدري
ليـــس يخفى عنك أمـــري يامن قلبي يا من قلبي وذخري
أنت قـــد تعتق رقي وتفك اليـــوم أسري

فأقسم يمينا مغلظة أن لا يأخذ عنها حطام الدنيا مهما غلا وعظم وأعلن أنها حرة لوجه اللـه تعالى، وأشهد الناس أنه قد خرج من جميع ماله صدقة في سبيل اللـه و إنه فار إلى اللـه، وطلب من السري أن يصحبه فقبل صحبته وقال للجارية :

ما أعظم بركتك ... ثم نزع الغل من عنقها والقيد من رجليها وأخرجاها من ( المارستان ) ثم توجه السري ومولى الجارية إلى مكة؛ فبينما هما يطوفان إذ سمعا صوتا فتتبعاه فإذا امرأة كالخيال فلما رأت السري سلمت عليه، فسألها : من أنت فقالت : لاإله إلا اللـه وقع الشك بعد المعرفة ؟

فتأملها فإذا هي الجارية. فقال لها : ماالذي أفادك الحق، بعد انفرادك عن الخلق ؟.

فقالت : أنسي به ووحشتي من غيره ...

ثم توجهت إلى البيت وقالت :

إلهي كم تخلفني في دار لاأرى فيها أنيسا، قد طال شوقي إليك فعجل قدومي عليك، ثم شهقت شهقة وخرت ميتة ...

حكى هذه الحادثة السري السقطي نفسه رحمه اللـه ورحم الجارية ...

وندع القصة جانبا ونلاحظ أن ماتسمت به حياة المتصوفة من الإعراض عن الدنيا، وتهوين أمرها، والإسراف في ذمها لايتفق وطبيعة الإسلام وحقيقته ...

فالإسلام دين ودنيا ...

هذه حقيقة لانزاع فيها ... فالإسلام لم يقل إن الإنسان روح فقط ولم يقل إنه جسم فقط بل قال إنه جسم وروح ...

والإنسان للدنيا والآخرة معا ولابد للوصول إلى الآخرة من المرور بالدنيا، ولهذا المرور مطالبه ومقتضياته وضروراته ...

والإسلام لم يقل إن الطريق إلى الآخرة جوع وعطش وعزلة ورهبنة وإعراض عن طيبات الحياة ومتعها، بل قال : إن الطريق إلى الآخرة إيمان صحيح، وتأمل هادف، وعمل صالح، وسعي نظيف، وتعاون صادق، وعفة وقناعة، وحب الخير للناس جميعا ...

فإنسان الإسلام هو الذي يسلك إلى الآخرة هذا الطريق ...

وفي نفس الوقت يتمتع بطيبات الحياة المختلفة ...

وكم يستبد بنا العجب حينما نقف على سلوكات المتصوفين فنرى أن منهم من ( لم ير مضطجعا طوال ثمان وتسعين سنة ) ... ما هذا ؟.

إن الإفراط في جانب الروح قد أنكره الرسول صلى اللـه عليه وسلم على أنفار جاءوه إلى بيته يسألون عن عبادته صلى اللـه عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا : وأين نحن من النبي صلى اللـه عليه وسلم ؟ وقد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ...

قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبدا.

وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ...

فجاء رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم فقال :

( أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟

( أما واللـه إني لأخشاكم للـه وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلى وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني ).

هذا التوازن في إقامة العدل والاعتدال في حياة الإنسان هو الإسلام الصحيح، **وهو الطريق إلى الجنة.**

# ( سـيف الـدولة الحـمداني )

( 303 هـ  356 هـ )

هو أبو الحسن علي بن عبد اللـه بن حمدان، ملك حلب سنة 333 هـ إنتزعها من يد أحمد بن سعيد الكلبي صاحب الإخشيد ...

قال أبو منصور الثعالبي في كتاب ( يتيمة الدهر ) :

( كان بنو حمدان ملوكا أوجههم للصباحة، وألسنتهم للفصاحة، وأيديهم للسماحة، وعقولهم للرجاحة، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم، وواسطة قلادتهم. وحضرته مقصد الوفود، ومطلع الجود، وقبلة الآمال، ومحط الرحال، وموسم الأدباء، وحلبة الشعراء )[1].

ويقال : ( أنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء مااجتمع ببابه من شيوخ الشعر، ونجوم الدهر وإنما السلطان سوق يجلب إليها ماينفق لديها ...)[2]

ويشدنا إلى سيف الدولة الحمداني ونحن نتابع حياته ونقف عند مناقبه ومآثره، وخصائصه ومميزاته ... أمران : شاعريته، وشجاعته ...

فقد كان شاعرا محبا لجيد الشعر، شديد الاهتزاز له، كما كان بطلا شجاعا

(1) اليتيمة ج 1 ص37

(2) وفيات الاعياد لابن خلكان ج 3 ص401

يقتحم المهالك والمخاطر بنفس لاتعرف الخوف والتردد ...

فحينما تقرأ خوالد شعره في الغزل ـ مثلا ـ لاتتصور أن يكون صاحب هذا القلب الرقيق، وهذه الروح الخفيفة، في معركة شرسة ضارية يصول ويجول وبيده سيفه البتار يحصد الرؤوس، على اليمين واليسار.

فمن محاسن شعره قوله في وصف ( قوس قزح ) وهو وصف بديع رائع لانعرف أحدا أتى بمثله :

وساقٍ صبيحٍ للصبوحِ دعوتُه ... فقام وفي أجفانه سِنَةُ الغمض

يطوف بكاسات العقار كأنجم ... فمن بين منقضّ علينا ومنفضّ

وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفا ... على الجو دكنا والحواشي على الأرض

يطرزها قوس السحاب بأصفرٍ ... على أحمرٍ في أخضرٍ تحت مبيضّ

كأذيال خود أقبلت في غلائلٍ ... مُصبَّغةٍ، والبعض أقصر من بعض(3)

وكانت له جارية من بنات الملوك الروم في غاية الجمال، فحسدها بقية الحظايا لقربها منه ومحلها من قلبه وعزمن على إيقاع مكروه بها من سم أو غيره فبلغه الخبر وخاف عليها فنقلها إلى بعض الحصون احتياطا وقال :

راقبتني العيون فيك فأشفقت ... ولم أخل قط من إشفاق

ورأيت العدو يحسدني فيك ... مجدا بأنفس الأعلاق

فتمنيت أن تكوني بعيدا ... والذي بيننا من الود باق

رب هجر يكون من خوف هجر ... وفراق يكون خوف فراق

وقد خاض سيف الدولة وقائع مشهورة سجلها أبو الطيب المتنبي في شعره وشنف بها الأسماع في إعجاب وفخار وكان سيف الدولة يحرص في كل موقعة يخوضها على أن يجمع ما يتراكم عليه من غبار المعركة ثم يوصي بحفظه، وظل هذا دأبه ... حتى استقر به الأمر فعمد إلى الغبار المتجمع من وقائع الحرب فصنع منه لبنة وهي القطعة التي تضرب من الطين للبناء ...

وأوصى بأن تحمل هذه اللبنة معه إلى مقره الأخير حين يقضي نحبه لكي توضع تحت رأسه ...

(3) قيل : أنها لأبي الصقر القبيصي.

وهكذا اتخذ سيف الدولة وسادته في قبره من غبار حربه وكأنها كنز مجده وكأنما تشهد له ذراتها ببلائه الحسن في ميدان الكفاح ...

ولعل هذا هو الذي أوحى إلى الإمام أبي الفرج بن الجوزي فيما بعد أن يجمع براية أقلامه التي كتب بها الحديث النبوي حتى حصل منها شيء كثير فأوصى بأن يسخن بها الماء الذي يغسل به جسده عند موته لكي يكون له طهورا يفيض عليه الرحمة والرضوان ...

فما أعظم سيف الدولة بطلا يتملك بمواقفه التاريخية الخالدة مشاعر المتنبي ويفتك إعجابه وتقديره ...

وما أشده حرصا على جمع ما يتراكم عليه من غبار المعركة لأنه يعلم ( أنه كنز مجده ) لاما اقتنت خزائنه من ذهب وفضة ...

وأي مجد أعظم وأثمن من هذه الوثيقة التي احتسب فيها جهاده وكفاحه عند اللــه ليوفيه أجره ( يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى اللــه بقلب سليم )

وستظل ( وسادة ) سيف الدولة روحا مضطرمة في شعر المتنبي تنفث في القلوب قوة وحماسة وعزما، وتشع في النفوس االإقدام والإيثار والتفدية ...

وستبقى على الدوام توحي بأن ( غبار الحرب ) في سبيل اللــه وفي سبيل الحق والمجد والمثل العليا كان ولايزال مبدد الظلام، وباعث الأنس، وصانع الحياة، وباني الخلود، وحامي الذمار.

# ( القـاض أبـو بـكر البـاقـلانـي )

**( 338 هـ 403 هـ )**
**( 950 م 1013 م )**

هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم ... المعروف بالباقلاني ...

ولد بالبصرة وسكن بغداد وتوفي فيها ...

كان الباقلاني جيد الاستنباط، سريع الجواب، بعيد النظر، عميق التفكير، واسع الأفق، كثير التصانيف المفيدة، يقال إنه كان لاينام كل ليلة حتى يكتب عشرين ورقة من مدة طويلة من عمره، وإليه انتهت الرئاسة في مذهب الأشاعرة ...

ومن كتبه ( إعجاز القرآن ) و( التبصرة ) و( دقائق الحقائق ) و( التمهيد في أصول الفقه ) و( شرح الإبانة ) و( الإنصاف ) و( مناقب الأئمة ) و( الملل والنحل ) و( هداية المرشدين ).

ومن أحسنها كتاب في الرد على الباطنية الذي سماه ( كشف الأسرار وهتك الأستار ).

وكان الباقلاني كثير التطويل في المناظرة مشهورا بذلك عند الجماعة، وجرى يوما بينه وبين أبي سعيد الهاروني مناظرة فأكثر الباقلاني الكلام ووسع العبارة،

وزاد في الإسهاب، ثم التفت إلى الحاضرين وقال :

أشهدوا على أنه إن أعاد ما قلت لاغير لم أطالبه بالجواب، فقال الهاروني : أشهدوا علي أنه إن أعاد كلام نفسه سلمت له ماقال :

وكان مثار إعجاب الناس بذكائه الخارق، وفطنته القوية، وحجته الدامغة :

ذكر الخطيب وغيره عنه أن عضد الدولة بعثه في رسالة إلى مالك الروم، فلما انتهى إذا هو لايدخل عليه أحد إلا من باب قصير كهيئة الراكع ففهم الباقلاني أن مراده أن ينحني الداخل عليه له كهيئة الراكع للـه عز وجل، فأدار ظهره إلى الملك ودخل الباب مدبرا لا مقبلا، فلما وصل إليه انفتل فسلم عليه فعرف الملك ذكاءه ومكانته في العلم والفهم والذكاء فعظمه وقدره ...

ويقال إن الملك أحضر بين يديه آلة الطرب المسماة بالأرغل ( 1 ) ليستفز عقله بها، فلما سمعها الباقلاني خاف على نفسه أن يظهر منه حركة ناقصة بحضرة الملك فجرح رجله حتى خرج منها الدم الكثير فاشتغل بالألم عن الطرب ولم يظهر عليه شيء من النقص والخفة، فلما اكتشف الملك الأمر تعجب وتحقق من وفور همته، ورجاحة عقله، وعلو مكانته فزاده تقديرا وإكبارا ...

وفي حضرة الملك سأله بعض الأساقفة هذا السؤال الذي يقطر خبثا ومكرا :

مافعلت زوجة نبيكم وماكان من أمرها بما رميت به من الإفك ؟.

فقال الباقلاني على البديهة :

هما امرأتان ذكرتا بسوء : مريم وعائشة : فبرأهما اللـه عز وجل، وكانت عائشة ذات زوج ولم تأت بولد وأتت مريم بولد ولم يكن لها زوج - يعني أن عائشة أولى بالبراءة من مريم - وكلاهما بريئة مما قيل فيها فإن تطرق في الذهن الفاسد احتمال ريبة إلى هذه فهو إلى تلك أسرع وهما بحمد اللـه منزهتان مبرآتان من السماء بوحي اللـه عز وجل ...

فبهت الأسقف، واحتبس اللفظ في حلقه ولم يحر جوابا ...

وهكذا ينبغي أن يكون العالم، حاضر البديهة، قوي الحجة، عارفا بحيل المبطلين، وشبه الزائغين حتى يكون قادرا على كم الأفواه وقطع الألسن التي همها التجريح والتحريف وطمس معالم الحق ...

وتوفي القاضي أبو بكر الباقلاني يوم السبت ودفن يوم الأحد لسبع بقين

من ذي القعدة ببغداد ورثاه أحد الشعراء بقوله :

أنظر إلى جبل تمشي الرجال به وانظر إلى القبر ما يوحي من الصلف
وانظر إلى صارم الإسلام مغتمدا وانظر إلى درة الإسلام في الصدف

# ( الإمام الثائر ابن حزم الأندلسي )

( 384 هـ 456 هـ )
( 994 م 1064 م )

هو الإمام الحافظ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الضاهري، علم من أعلام الفكر الإسلامي وإمام قلما عرف التاريخ مثله، قوة عقل، وذكاء فؤاد، وبعد نظر، واستبحارا في مختلف العلوم العقلية والنقلية.

ولد بقرطبة صبيحة يوم الأربعاء آخر يوم من شهر رمضان المعظم ... فأقبل على العلم منذ صغره ينهل من موارده برغبة ونهم، وشعاره ( هل من مزيد ؟ ).

قال ابن خلكان : كان حافظا عالما بعلوم الحديث والفقه، مستبطلا للأحكام من الكتاب والسنة ... وكان متفننا في علوم جمة عاملا بعلمه زاهدا في الدنيا بعد الرئاسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدبير الملك.

وقال ابن بشكوال : كان أبو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علوم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار ...

وقال الحافظ أبو عبد اللـه محمد بن فتوح الحميدي : مارأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين وما رأيت من يقول الشعر

على البديهة أسرع منه ...

وكانت أغلى أمانيه من غرة شبابه أن يسهر على الدعوة إلى الطريق الحق، ورفع راية الدين في ظلال القرآن الكريم وكان يقول :

مناي من الدنيا علوم أبثها وأنشرها في كل باد وحاضر
دعاء إلى القرآن والسنة التي تناسى رجال ذكرها في المحاضر

واشتغل بالتأليف في الفقه والمنطق والتاريخ واللغة والأدب حتى قيل إنه صنف أربعمائة مجلد في ثمانين ألف ورقة، من أشهرها :

( الفصل في الملل والأهواء والنحل )
( المحلى )
( جمهرة الأنساب )
( الناسخ والمنسوخ )
( الإحكام في أصول الأحكام )
( إبطال القياس والرأي )
( المفاضلة بين الصحابة )
( طوق الحمامة )
وكتاب صغير سماه ( نقط العروس )

ومن شعره قوله :

وذي عدل فيمن سابني حسنه يطيل ملامي في الهوى ويقول
لفي حسن وجه لاح لم تر غيره ولم تدر كيف الجسم أنت قتيل
فقلت له أسرفت في اللوم ظالما وعندي رد لو أردت طويل
ألم ترني ظاهري وأنني على مابدا حتى يقوم دليل

وكان ابن حزم ثائرا متحررا يأبي أن يخضع العقل للأوهام والأباطيل والخرافات، ورفض أن يدين لغير العقل في فهم عقيدته، وأن يتشيع لأحد في مذهبه الاعلى ضوء الإدراك السليم، وجودة الفهم، فأورثه ذلك كله حقدا في قلوب أهل زمانه، ومازالوا به حتى بغضوه إلى ملوكهم فطردوه عن بلاده، وأصدر صاحب أشبيلية المعتضد أمره بإحراق بعض كتبه، وفي ذلك يقول ابن حزم :

فإن تحرقوا القرطاس لاتحرقوا الذي تضمنه القرطاس بل هو في صدري

بسبــــــر معي حيث استقلت ركــــائبي ويــنــزل إن أنـــزل، ويـــدفن في قبـــري
دعــــوني من إحـــراق رق وكــــاغــــد وقـولـوا بعلم، كي يـرى النــاس من يـدري
وإلا، فعـــودوا في المكـــاتب بـــــدأة فكم دون مـا تبغـون للــــــــه من ستـــر

ولكن ابن حزم - بالرغم من إحراق كتبه، ومن تألب العلماء والملوك لمحاربته - بقي قمة شامخة في تاريخ الفكر الإسلامي، وذهب الذين نصبوه العدا واسدل عليهم ستار النسيان فلم يعودوا يذكرون إلا على سبيل التبعية والإضافة ...

بقي ابن حزم في كتبه الخالدة، يفصل بين الحق والباطل ... بقي في أرائه الحرة ومواقفه الشجاعة يمثل العلم في قوته وحرارته، في نوره ورفعته، في خططه وأهدافه ...

# ( عمـــر الخيـام )

( . . . ، 515 هـ )
( . . . 1121 م )

هو عمر ابن إبراهيم الخيامي النيسابوري، عالم وشاعر فارسي مستعرب من أهل نيسابور كان متضلعا في الرياضيات والفلك واللغة والفقه والتاريخ، وله شعر عربي وتصانيف عربية ...

ذكر خير الدين الزركلي في ( الأعلام ) أنه مما بقي من كتبه رسائل منها ( شرح مايشكل من مصادرات أقليدس ) و ( الإحتيال لمعرفة مقداري الذهب والفضة في جسم مركب منها ) وبعث به إلى القاضي أبى نصر النسوي ...

وذكر مدير جريدة ( جهره نما ) الفارسية في مقال نشره بمجلة ( الهلال ) أبريل 1914 كتبا للخيام منها :

( ميزان الحكم ) و( لوازم الأمكنة ) في الفصول الأربعة و( كتاب الوجود ) و( كتاب الكون والتكليف )، وذكر أن هذه الكتب كلها توجد بمكاتب لندن وباريس، وبرلين وسائر عواصم أوروبا ...

واشتهر عمر الخيام بمقطعاته الشعرية ( الرباعيات ) نظمها شعرا بالفارسية وترجمت إلى العربية، واللاتينية، والفرنسية، والإنجليزية، والألمانية، والإيطالية،

والدنمركية، وغيرها، وأول من نقل ( الرباعيات ) إلى الإنجليزية الشاعر الذائع الصيت ( إدوارد فتزجرالد ) ترجمها سنة 1959 وشهرة عمر الخيام في إنجلترا أكثر من شهرته في وطنه ( إيران ) لاسيما بعد أن تشكلت في لندن جمعية ( نادي عمر الخيام ) سنة 1892 م وإثر تأسيسها ذهب وفد من أعضائها الى ضريح الشاعر الإنجليزي ( فتزجراله )، ووضعوا عليه إكليلين من حديقة الورد الأحمر، ونصبوا فوقه لوحا كتبت عليه هذه العبارة :

إن ورد هذين الإكليلين من حديقة ( كيبو )، وأما بذره فقد أحضره ( وليم سيمس ) من المقبرة المدفون فيها عمر الخيام، في نيسابور ...

وأقدم من ذكر الخيام من العرب الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي المتوفي سنة ( 646 هـ 1248م ) وذلك بعد زمن الخيام بنحو قرن ونصف فترجم له في كتابه ( تاريخ الحكماء ) المطبوع في مصر سنة ( 1326 هـ 1908م ) فقال عنه :

( إمام خراسان، وعلامة الزمان، يعلم علم يونان، وبحث على طلب الواحد الديان، بتطهير الحركات البدنية لتنزيه النفس الإنسانية، ويأمر بالتزام السياسة المدنية، حسب القواعد اليونانية، وقد وقف متأخروا الصوفية على شيء من ظواهر شعره فنقلوها إلى طريقهم، وتحاضروا بها في مجالساتهم وخلواتهم، وبواطنها حيات للشريعة لواسع، و مجامع للأغلال جوامع، ولما قدح أهل زمانه في دينه، وأظهروا ماأسروا من مكنونه خشي على دمه، وأمسك من عنان لسانه وقلمه، وحج متاقاة لاتقية، وأبدى أسرارا من سرار غير نقية، ولما حصل ببغداد سعى إليه أهل طريقته في العلم القديم فسد دونهم الباب سد النادم لاسد النديم، ورجع من حجه إلى بلده يروح إلى محل العبادة، ويغدو ويكتم أسراره ولابد أن تبدو، وكان عديم القرين في علم النجوم والحكمة، وبه يضرب المثل في هذه الأنواع لورزق العصمة ...)[1]

وروي بهاء الدين العاملي في كتابه ( الكشكول ) مايلي :

( كان عمر الخيام مع تبحره في علوم الحكمة سيء الخلق له ضنة بالتعليم والإفادة وربما طول الكلام في ما يسأل عنه بذكر المقدمات البعيدة وإيراد لايتوقف المطلوب على إيراده ضنة منه بالإسراع إلى الجواب ...

---

(1) الهلال مارس 1910

دخل عليه حجة الإسلام الغزالي يوما وسأله عن المرجح لتعيين جزء من أجزاء الفلك للقطبة دون غيره مع أنه متشابه الأجزاء فطول الخيام الكلام وابتدأ بأن الحركة من أي مقولة وطول بالخوض في محل النزاع كما هو دأبه وامتد كلامه إلى أذان الظهر فقال الغزالي : ( جاء الحق وزهق الباطل) وقام وخرج.[2]

والذي نستخلصه من هذين النصين هو أن العرب كانوا يرمون الخيام بالزندقة والكفر كما رموا أبا العلاء المعري، وأنه كان متضلعا في علوم الحكمة ولكنه كان سيء الخلق، كثير المقدمات التي لاتمت إلى لب الموضوع بصلة وإنما الهدف منها التهويل والتهريج والالتواء ...

والمتتبع لشعره لايرتاح في اطمئنان إلى أنه مؤمن أو زنديق فبينما تكاد تجزم بأنه مؤمن مسلم تقف على أبيات تجعلك تعدل عن حكمك وتركن إلى نقيضه ...

والذي لايختلف فيه الباحثون هو أن الخيام كان متفوقا في العلوم الطبيعية والرياضية، وكان شاعرا فيلسوفا واسع الخيال، متوقد الذهن، نحافي شعره منحى أبي العلاء المعري ...

ومما يذكر عنه أنه كان أيام الطلب والتحصيل يدرس مع نظام الملك وحسن بن الصباح وتوثقت بينهم عرى المودة والإخاء فكانوا لايفترقون داخل المدرسة وخارجها يتذاكرون سويا، ويترافقون في النزهة والرياضة، وكان كل واحد منهم يكاشف الآخر بما يختلج في صدره، أو يأمله في حياته ...

فبينما كانوا ذات يوم يتحدثون عن المستقبل تعاهدوا أنه إذا تولى أحدهم الوزارة العظمى سعى في تقريب رفيقيه من السلطان والعمل على أن يتبوآ منصبين رفيعين في الدولة ...

دار الفلك دورته وتحقق الحلم الذي رأوه في اليقظة منذ سنين، فتولى نظام الملك الوزارة الكبرى للسلطان ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقي. فجاءه عمر الخيام لتهنئته بمنصب الوزارة فسر به جد سرور، و قابله بالحفاوة البالغة والإكرام العظيم، وبينما كانا على مائدة الطعام يتجاذبان أطراف الحديث إذا بنظام الملك يذكر صديقه بالعهد الذي أبرموه في عهد الدراسة والتحصيل ويقول له :

أنسيت عهدنا ؟ مالك لاتطالبني بالوفاء به ؟

---

(2) نفس المصدر

فقال له عمر الخيام : بارك اللـه يا أخي فيما أعطيت. وهنئت بوزارتك ... أنت تعلم أني لست من محبي الرئاسة أو الذين يتشوقون إلى السياسات، وإنما جل ماأبغي من دنياي مايكفيني مؤونة السعي والكسب.

فعين له ستمائة دينار يقبضها من بيت المال في كل شهر[3].

وعاد إلى بلده ليعكف على درس العلوم والفلسفة ونظم الشعر حتى توفي رحمه اللـه.

ومن شعره قوله يخاطب ربه جل علاه :

أنا ذاك العبد العصي فاين الصفح؟ وقلبي الـراجي فـاين الضيـاء؟
إن تهبنا بالطاعة الخلد كالبيع فـأين النـدى وأين العـطاء؟

ورغم ماقيل في الخيام ... أو ظن فيه من زندقة. أوسفه سوء أخلاق ... فإنه قد بقي تسعة قرون وسيبقى إلى ماشاء اللـه ذائع الصيت. موفور القدر. يجذب إليه القلوب والعقول ...

وكلما زدناه بحثا ودرسا زادت مكانته سموا وقدرا ...

وستظل كتبه و ( رباعياته ) ... وإيثاره البحث والدرس والتأليف على المنصب السامي، والجاه العريض ... أوسمة الفخر على صدر التاريخ.

---

(3) نفس المصدر

## « مفخرة إفريقيا : الإمام المازري »

( . . .    536 هـ )

هو أبو عبد اللـه محمد بن عمر بن محمد التميمي المازري، الفقيه المالكي، وأحد الأعلام المشاهير الذين كانوا مضارب الأمثال في حفظ الحديث، والقمم الشامخة التي يتطلع إلى مستواها الجادون في تحصيل العلم.

قال ابن الأهدل : المازري نسبة إلى مازر أو مازرة بفتح الزين وكسرها، بلدة بجزيرة صقلية ...

وصقلية ـ معروفة ـ جزيرة رابضة في البحر الأبيض المتوسط تقع في جنوب إيطاليا من الغرب، وهي على شكل مثلث تتساوى أضلاعه؛ وقد وصلت الحضارة الإسلامية إليها منذ أمد طويل وظل الحكم العربي فيها من عام 217 هـ إلى عام 450 هـ أي نحو 233 عاما ...

ولد العلامة المازري في المهدية إحدى ربوع إفريقيا.

قال الحموي في ( معجم البلدان ) المهدية ( بالفتح ثم السكون ) وبينها وبين القيروان مرحلتان ...

وهذه المدينة تعودت على إنجاب فطاحل العلماء، وأعلام الفكر، أمثال أبي الحسن علي بن محمد بن ثابت الخولاني المعروف بالحداد المهدوي الذي يقول :

قـــالت وأبـــدت صفحــــة كــالشمــع من تحت القنــاع :
بعت الـــــدفـــاتـــــر وهي آ خـــر مـــايبـــاع من المتـــاع
فـــــأجبتهـــــا ويدي على كبـــدي وهمت بـــانصــــداع
لاتعجبي، فيمـــــــــا رأيت فنحن في زمن الضيــــــــاع

نشأ المازري بالمهدية وشب وترعرع بعدما طوحت بأبيه الأقدار حين هاجر إليها من صقلية، وذلك عند اختلال الأحوال وتنكر الزمان.

نمت مواهب المازري، واتسعت مداركه، وتفتح قلبه في شغف لاكتساب العلم والمعرفة فتلقى بالمهدية فنونا مختلفة على علامة المغرب ومفخرته بلانزاع أبي الحسن اللخمي رئيس فقهاء القيروان في عصره وعلى الإمام العلامة عبد الحميد الصائغ وهو أيضا من علماء القيروان ...

وكان المازري آية في الفطنة والذكاء مما جعله يتبوأ مكانة بارزة في العلم والمعرفة، ويبرز بين أقرانه المجدين الذين كانوا يتنافسون في الميدان، فأسند إليه التدريس بالجامع الكبير، جامع عبد اللـه المهدي، والتدريس في هذا المسجد يعد في ذلك العهد عنوانا بارزا على القيمة العلمية التي يتمتع بها الأستاذ المدرس ...

فوقف المازري جهده على نشر العلوم الدينية واللسانية وخدمة الفكر الإسلامي، فذاع صيته في الآفاق وصار حديث الناس في مختلف الأماكن. وأصبح قبلة الأنظار، وكعبة طلاب العلم والمعرفة من كل جهة ...

وليس في الإمكان حصر الإفريقيين الذين قطفوا من ثماره، وكرعوا من منهله، واستضاءوا بنوره ...

أما الوافدون عليه من غير إفريقيا الذين لهم شهرة علمية واسعة، فهم كثير. من أبرزهم محمد بن تومرت، والإمام النابغة الشيخ أبو بكر بن العربي، وعلي بن صاعد أستاذ علم الاجتماع والفلسفة والآداب ...

ويذكر الأستاذ محمد سيد جاد الحق :

( أن كثيرا من جلة علماء الآفاق المعاصرين للإمام المازري رغبوا في الأخذ عنه بطريق المراسلة فكاتبوه يرجون ذلك منه، ومن عيونهم فيلسوف الإسلام الحفيد الكبير العلامة بن رشد، والقاضي عياض السبتي، وابن أبي جمرة.

وامتدت شهرة المازري واخترقت تخوم إفريقيا والمغرب وطبقت بلاد الأندلس من ناحية الشمال، وبلغت أقصى البلاد العربية من ناحية المشرق وكان لايعرف إلا بلقب الإمام بحيث إذا أطلق فلا ينصرف إلا إليه.

وللعلماء أراء فيه و أقوال كثيرة لا يتسع المجال لعرضها. و هي كلها تتسم بالإعجاب والتقدير، فحسبنا أن نعرض بعضها. قال القاضي عياض في التعريف به :

( هو إمام بلاد إفريقيا وما وراءها من بلاد المغرب، وآخر المشتغلين من شيوخ أفرقية بتحقيق الفقه، حتى بلغ فيه رتبة الإجتهاد ودقة النظر، ولم يكن في عصره للمالكية في أقطار الأرض أفقه منه ولاأقوى لمذهبهم. سمع الحديث وطالع معانيه، واطلع على علوم كثيرة من الطب والحساب والآداب، فكان أحد رجال الكمال في العلم في وقته، حتى جمع بين تفرده بالعلم، وتجمله بحسن الخلق، فقد كان مليح المجلس أنيسه. وكان قلمه في العلم أبلغ من لسانه ).

وإذا كان للمازري تآليف قيمة كثيرة فإن كتابه ( الكشف والأنباء على المترجم بالأحياء ) له أهميته البالغة ومكانته الخاصة لما يعكس من رجاحة العقل، وسداد الفهم، وعمق الأدراك، وسعة العلم، إلى مايصور من شجاعة.

وهذا الكتاب نقد لكتاب الإحياء للإمام الغزالي ...

ومعلوم أن الإمام الغزالي مع علو قدره، وسمو مقامه، وغزارة علمه. وتضلعه في علوم الشريعة وتفرده بالآراء السديدة في فلسفة الإسم والأخلاق - فإنه لم يكن متحريا غاية التحري في الأحاديث التي أوردها في الكتاب ...

ومن هنا وضع الإمام المازري هذا الكتاب القيم لإصلاح تلك الأحاديث الموضوعة، وهو المتضلع في علم الحديث المتمكن من فنه، والبصير بأساليبه. والحجة في الرواية والدراية ...

وتجدر الإشارة إلى أن مادعا المازري إلى نقد ( الأحياء ) ليس تحاملا على الغزالي أو رغبة في الحط من شأنه وهو من هو علما وعدلا وشهرة و مروءة لاسيما وقد قال في حقه :

( وأبو حامد الغزالي لايشق أحد غباره في العلم والمعرفة ).

وإنما دعاه إلى ذلك حرصه على أن يكون هذا الكتاب الذي يتنافس في اقتنائه والتزود منه المعلمون خاليا من كل ما يشوه جماله، أو ينزل به عن مستواه

العلمي.

وللمازري كتب أخرى ثمينة منها شرح صحيح مسلم الذي سماه ( كتاب المعلم بفوائد كتاب مسلم ) وعليه بنى القاضي عياض كتاب ( الإكمال ) وهو تكملة لهذا الكتاب. وكتاب ( إيضاح المحصول في برهان الأصول )، وله في الأدب كتب متعددة نفيسة ...

وتوفي الإمام المازري بالمهدية التي اتخذها مقرا وسكنا يوم السبت 8 ربيع الأول عام 536 هـ وعمره ثلاثة وثمانون سنة فكان لموته أثر بالغ في النفوس ...

وفي الغد نقل جثمانه من المهدية إلى المنستير، في زورق على طريق البحر حيث دفن في مقبرة العلماء والصالحين بعد الظهر في مشهد رهيب قلما عرف مثله لأحد في عصره.

وشيد على قبره ضريح ظل مزار الناس على اختلاف طبقاتهم إلى هذا اليوم لايقف عليه عالم بتاريخ حياته إلا وأنشد قول الشاعر :

بكى على شمس الإسلام إذ أفلت ... بأدمع قال في تشبيهها المطر
لئن طوته المنايا تحت أخمصها ... فعلمه الجم في الآفاق منتشر

# ( المــظفر قــطز )

( . . . 658 هـ )
( . . . 1260 م )

قطز بن عبد اللـه المعزي سيف الدين ثالث ملوك الترك المماليك بمصر والشام ...

كان مملوكا للمعز ( أيبك ) التركماني وترقى إلى أن كان في دولة المنصور ابن المعز ( أتابك ) العساكر ثم خلع المنصور وتسلطن مكانه سنة 657 هـ.

وأبرز مميزاته الشجاعة والبطولة. والغيرة على الدين والوطن ... وحين بلغه النبأ بأن التتار قد وصلوا إلى أطراف البلاد الشامية يومئذ لم يفزعه الخبر بل ثبت كالطود الشامخ يدبر للأمر. ويخط للحرب ...

وحدث أن الملك ( هولاكو ) وجه تهديدا إلى مصر بالتسليم له. وكان الموقف جد حرج فهلاكوا ملك سفاح مشهور بقوته وعتاده. وطغيانه وجبروته. وحقده على الإسلام والمسلمين ...

فمواجهته ليست بالأمر الهين بل هي في منتهى الخطورة. ولكن العبرة ليست في القوة المادية وحدها ولكنها قبل كل شيء في الإيمان باللـه. والثقة في النفس. والرغبة في النصر والاستشهاد. وهي عوامل إذا توفرت في الجنود صنعت

العجاب ...

رفض الملك العظيم ( قطز ) إنذار ( هولاكو ) في إباء وشمم وكشف له في استعلاء بالله عن قوة المؤمن ورغبته في الحياة الكريمة أوشرف الإستشهاد ...

فجمع الأمراء والعلماء فحثهم على القتال في ثبات وصمود، وذكرهم بما أعد الله للمؤمنين الصامدين من نصر وثواب ...

وخرج الملك بجيوشه في أواخر شهر شعبان سنة 658 هـ 1260 م فجد في السير يحفزه الإيمان، ويدفعه الشوق إلى لقاء سفاحي الدماء ليبرد غليله منهم. وهم الذين ضجت منهم الأرض التي تقلهم.

التقى الجمعان في ( عين جالوت ) بكنعان في فلسطين ودارت المعركة رهيبة ضارية بين جند الله، وجند الشيطان أنصار الباطل، والمتعطشين إلى إراقة الدماء، فأبلي المسلمون في هذه المعركة بلاء حسنا وضربوا أروع الأمثال في الشجاعة والبطولة، وانتصروا على العدو انتصارا باهرا. وانهزم ( هولاكو ) وتفرقت جيوشه في مختلف النواحي والأقطار ...

ومما رواه المؤرخون أن الملك ( سيف الدين قطز ) قتل جواده في هذه المعركة فترجل وبقي واقفا على الأرض ثابتا والقتال على أشده فلما رآه بعض الأمراء ترجل عن فرسه وحلف على السلطان ليركبنها فامتنع وقال له :

ماكنت لأحرم المسلمين نفعك ...

ولم يزل كذلك حتى جيئ له بالخيل فركب. فلامه بعض الأمراء وقال :

لم لاركبت فرس فلان ؟ فلو أن بعض الأعداء رآك لقتلك وهلك الإسلام بسببك ...

فقال أما أنا فكنت أروح إلى الجنة. وأما الإسلام فله رب لايضيعه، قد قتل فلان وفلان ـ حتى عد جماعة من الملوك ـ فأقام للإسلام من يحفظه غيرهم ولم يضيع الإسلام ...

عاد قطز من المعركة مظفرا، فدبر له الأمير ( بيبرس ) مؤامرة لإغتياله وكان ( بيبرس ) في طليعة الأمراء الذين أبلوا البلاء الحسن في القتال تحت إمرة ( قطز ) فاغتاله سنة 1260 م ودفن بالقصير ثم نقل جثمانه إلى القاهرة ... وقفز إلى العرش بعده الأمير ( بيبرس ).

# ( أســامة بـن مــنقـذ )

( 488 هـ 584 هـ )
( 1095 م 1188 م )

شخصية عربية جمع بين البطولة والأدب والتقوى ...

وأول مايلفت أنظارنا فيه أنه عاش في فترة معتمة لم تكن فيها الأمور تجري في مجراها الطبيعي ...

فالموازين في بغداد لم تكن تميل في صالح الأمة العربية. والفاطميون تشغلهم المكائد والدسائس والفتن. والصليبيون يسددون خناجرهم إلى الشام ...

في هذا الوقت بالذات ظهر فارس بطل. وشاعر ملهم. وأديب كبير. وفي هذا يقول الأستاذ العقاد ( ظاهرة عجيبة في الزمان الأهوج الذي لم يشتهر بشيء كما اشتهر بالقلاقل والمفاجآت ولكنها مع ذلك هي الظاهرة المنتظرة من زمن لم توجد فيه قوة واحدة بغير مناقض لها ومتربص بها. وعدو يصدها عن سبيلها ).

ولد أسامة في يوم 27 من جمادى الثانية سنة 488 هـ الموافق لشهر يوليو سنة 1095م من أب اشتهر بالفروسية والتقوى. يكشف عن ذلك قول أسامة ( ... وكنا إذا وصلنا موضع الصيد ينزل عن الفرس ويجلس على صخرة ويقرأ القرآن ونحن نتصيد حوله ) ومن أم شجاعة بطلة شاركت في الحرب وكانت لها مواقف

خالدة.

ومما يرويه المؤرخون ( أنها أخذت بنتها - حين حوصرت القلعة — إلى مكان مرتفع ثم طلبت من أسامة إذا تقدم الأعداء أن يدفعها إلى الوادي حتى تراها قد ماتت ولاتراها مأسورة ).

ونشأ أسامة نشأة قوية شجاعة بعيدة كل البعد عن الطراوة والرخاوة. فقد روى عن نفسه أنه كان يوما مع والده وإذا حية عظيمة قد أخرجت رأسها فأخذ سكينا وأسرع إلى الحية وأجهز عليها يحز رأسها حتى قطعه ووالده ينظر نظرة مشجع له ومعجب به.

كما ذكر أنه خرج مع والده ذات يوم فحمل عليهما أسد فاستقبله أسامة بطعنة قاتلة من سيفه فما تحرك من مكانه.

وعاش أسامة حياة طويلة حافلة بالبطولات. واتصل بنور الدين وصلاح الدين وكانت له مواقف تاريخية خالدة في محاربة الصليبيين ومقاومة الحشاشين حين حاصروا القلعة. ولنصغ إلى أسامة نفسه وهو يحدثنا عن هذه الحياة الثورية الملتهبة التي لم يعرف فيها راحة وهدوءا حتى وهن عظمه وخارت قوته. ويقول ( حضرت من المصافات والموقعات مهول أخطارها. واصطليت من مغير نارها. وباشرت الحروب. وأنا إبن خمس عشرة سنة إلى أن بلغت التسعين. وصرت من الخوالف. خدين المنزل. وعن الحروب بمعزل. لاأعد لمهم. ولاأدعي لدفع ملم. بعد ما كنت أول من تثنى عليه الخواصر ).

وبعد هذه الحياة الطويلة الحافلة بالوقائع والأحداث. والمواقف والبطولات أكرمه صلاح الدين الأيوبي ومنحه دارا. وأقطعه أرضا. فانقطع لتدوين ذكرياته في سكون الشيخوخة وهدوء الطبيعة. وتم له كتابه المعروف بكتاب ( الاعتبار ) الذي كتب في صدره هذه الأبيات.

إذا كتبت فخطي جد مضطرب كخط مرتعش الكفين مرتعد
فاعجب لضعف يد عن حملها قلما من بعد حطم القنا في لبة الأسد
إذا مشيت وفي كفي العصا ثقلت رجلي كأني أخوض الوحل في الجلد
فقل لمن يتمنى طول مدته هذه عواقب طول العمر والمدد

و توفي أسامة في 23 من رمضان عام 584 هـ.

# ( مـفخرة الـطب الـعربي )
# إبـن الـنفـيـس

( 607 هـ 687 م )

إسمه الكامل علاء الدين علي بن أبي الحزم ... واشتهر بابن النفيس الدمشقي الشافعي. شيخ الطب بالديار المصرية. وصاحب التصانيف المتعددة المفيدة. والذي ضرب به المثل في الذكاء المفرط. والذهن الخارق. والنظر البعيد. والكفاءة الواسعة في الفقه والأصول والحديث والمنطق وعلوم اللسان ...

ولد ابن النفيس عام 607 هـ الموافق لسنة 1210 م في دمشق حيث ازدهر فيها الطب. واشتهرت طائفة ممن نبغوا فيه أمثال ابن النقاش. وابن المطران. ورضى الدين الحرجي ...

درس ابن النفيس عن أئمة الطب في عصره. ثم انتقل الى القاهرة للعمل في دبيماريستان. المذحور قلاوين .. فارتفع نجمه. وذاع صيته. وشيّد دارا فاخرة بالقاهرة جعلها منتدى العلماء والأطباء والمفكرين يجتمعون فيها للبحث والمناقشة. والتخطيطات العلمية.

وعني ابن النفيس بالدراسة والبحث والتأليف وشاع عنه أنه قال : ( لو لم أعلم أن تصانيفي لمدة عشر آلاف سنة ماوضعتها ).

وقد يتبادر إلى ذهن من لم يعرف إبن النفيس ولم يقف على أعماله الفكرية مبالغة في هذا القول أو اعتدادا زائدا بالنفيس، ولكن من يعرفه يعلم أنه صادق في قوله، ويعلم أيضا أنه لايكتب لوقت محدود، بل يكتب للخلود.

وأشهر كتبه :

( شرح تشريح القانون ) الذي قال عنه الدكتور ( بول غليونجي ) إنه مفخرة الطب.

وتتجلى أهمية هذا الكتاب العظيم في أنه ( في وصفه للرئة سبق غيره إلى اكتشاف الدورة الدموية ووصفها وصفا علميا دقيقا صحيحا فسبق بذلك ( مايكل سرفتر ) الذي يعزو الأروبيون إليه هذا الاكتشاف ...

ولإبن النفيس كتب أخرى قيمة في الطب منها كتاب ( الشامل في الطب ) وهو موسوعة كبيرة قال عنه العلامة المؤرخ عبد الحي بن العماد في كتابه ( شذرات الذهب في أخبار من ذهب ).

( كتاب الشامل ... كتاب عظيم تدل فهرسته على أنه يكون ثلاثمائة مجلدة بيض منها ثمانون مجلدة ...).

وقيل عن ابن النفيس أنه لم يكن على وجه الأرض مثله في الطب. قيل ولاجاء بعد ابن سينا مثله قالوا وكان في العلاج أعظم من ابن سينا ...

وتعاليقه على كتاب ( الأوبئة ) لابقراط تشهد له بالنبوغ والعبقرية النادرة في الطب بالخصوص ومما أثبته المؤرخون للطبيب ابن النفيس :

( أنه دخل مرة إلى الحمام الذي كان في باب ( الزهوية ) في القاهرة. فلما كان في بعض تغسيله خرج إلى مسلخ الحمام وطلب دواة وقلما وورقا وأخذ في تصنيف رسالة في النبض إلى أن انتهى منها ثم عاد ودخل الحمام ).

ولم يقتصر تأليف ابن النفيس على ميدان الطب، بل ألف أيضا في علوم أخرى، قال العلامة الأسنوي :

ابن النفيس إمام وقته في فنه شرقا وغربا بلا مدافعة. أعجوبة دهره. صنف في الفقه وأصوله وفي العربية والجدل والبيان وانتشرت عنه التلاميذ ...

وتوفي ابن النفيس يوم الجمعة 21 من ذي القعدة عام 687 هـ بالقاهرة ولم يكن متزوجا ووقف أملاكه ومكتبته النفسية على ( بماريستان ) وهي مؤسسة طبية مشهورة شيدها السلطان المنصور قلاوون.

وهكذا انتهت حياة النطاسي الكبير ابن النفيس الذي ملأ الدنيا علما، ونشاطا، وآثارا، وتلامذة، وضاقت بمواهبه الدنيا حيا كما ضاق بطن اللحد به ميتا ...

# « القاضي عز الدين بن عبد السلام »

( 577 هـ 660 هـ )

من أعلام الإسلام الذين تحررت ضمائرهم من العبودية لغير الله. وارتفعت بهم المناصب ولم يرتفعوا هم بالمناصب، عز الدين بن عبد السلام. يكنى أبا محمد ويلقب ( بسلطان العلماء )[1].

ولد سنة 577 هـ بدمشق. ويذكر الإمام السبكي في طبقاته الكبرى، أن والده أخبره بأن الشيخ عز الدين كان في أول أمره فقيرا جدا، ولم يشتغل بالعلم إلا على كبر، وأنه كان يبيت في ( مأوى الفقراء ) من جامع دمشق ...

تفقه العز على الإمام فخر الدين بن عساكر شيخ الشافعية بالشام. وأخذ أصول الفقه عن سيف الدين الآمدي، وسمع الحديث عن الحافظ الكبير أبي القاسم بن عساكر، وشيخ الشيوخ عبد اللطيف إسماعيل إبن أسعد البغدادي، وأخذ عن أعلام الفكر في عصره مختلف الفنون ونبغ - كما يقول ابن العماد الحنبليي - في الفقه والأصول والعربية ...

عاش القاضي عز الدين حياة كلها جهاد في سبيل العلم ونشر الثقافة،

---

(1) سماه (سلطان العلماء) تلميذه تقي الدين بن دقيق العيد القشيري لعلمه الغزير. واطلاعه الواسع، وحجته البالغة. وانتصاره للحق...

ومناصرة الحق وأهله، ومحاربة الباطل وأنصاره، ومجاهدة بالكلمة الصريحة الشجاعة يقولها غير مكترث بما تجر له من تعب أو عقاب ...

ومواقفه الشجاعة التي تثير الفخر والاعتزاز تكاد لاتحصر فمنها أن السلطان الأشرف بن عبد الملك العادل كان يقرب مبتدعة الحنابلة ويرى رأيهم في أن مايوجد في القرآن الكريم هو كلام اللـه ذاته، وبهذا يكون كلام اللـه تعالى حرفا وصوتا، وأراد بعض الحنابلة أن يوقعوا بين الشيخ وبين السلطان الذي يتعصب لرأيهم، فطلبوا منه الإفتاء في القضية فما كاد الخبر يبلغه حتى قال :

( هذه الفتيا كتبت إمتحانا لي واللـه لاأكتب فيها إلا ماهو الحق ).

فكان جواب العز : أنه تعالى متكلم بكلام قديم أزلي ليس بحرف ولاصوت ولايتصور في كلامه ( أن ينقلب مدادا في الألواح والأوراق ).

فغضب السلطان لهذا الجواب وجمع العلماء وأيدوه على رأيه خوفا منه وأرسل إلى الشيخ من يبلغه أمر عزله ومنعه من الفتيا وعندما تلقى الخبر من رسول السلطان قال له : ( لو كانت عندي خلعة تصلح لك على هذه الرسالة المتضمنة لهذه البشارة لخلعت عليك، خذ هذه السجادة وصل عليها ).

ولما علم السلطان بهذا قال : ( ماذا أفعل ؟ هذا رجل يرى العقوبة نعمة ...)

وقد تدخل بين العز والسلطان بشأن هذا الخلاف شيخ الحنفية العلامة جمال الدين الخضيري فقال السلطان : ( إن من يقول بإثبات الحرف والصوت فهو حمار ).

ورغم أن السلطان عرف أنه يقصده بكلمة ( حمار ) فقد رجع إلى الحق، وطلب الشيخ ليسترضيه تكفيرا عما اقترف وهذا لاشك من الدلائل الواضحة على مكانة الشيخ العلمية، وشخصيته القوية ...

ووقف الشيخ عز الدين ضد حاكم دمشق ( الصالح إسماعيل ) عندما تحالف مع الصليبيين ضد ابن أخيه ( نجم الدين أيوب ) ومكنهم الصالح إسماعيل من مدينة صيدا وقلعة الثقيف، وحاول الصليبيون شراء السلاح من تجار السلاح بدمشق ففزع هؤلاء إلى الشيخ عز الدين يسألونه الفتوى فأجابهم بالتحريم، ولم يقف عند هذا الحد بل صعد المنبر في يوم مشهود وأعلن في لهجة المؤمن القوي أن الحاكم قد خان اللـه ورسوله وثقة المسلمين وأن الخائن لاولاية له ... وذم

موالاة الأعداء، وقبح الخيانة ...

وماكان من الحاكم إلا أن أصدر الأمر بعزله من الخطابة وحبسه، وقد فكر آنذاك في الهجرة إلى مصر وتهيأت له الظروف بذلك ولكن رسولا من السلطان أدركه واقترح عليه أن يرجع ويتودد إلى السلطان بتقبيل يده ليسامحه ويعيد إليه منصبه ولكن الشيخ انتفض في إباء وعزة وقال للرسول :

( والله يامسكين ما أرضاه أن يقبل يدي فضلا من أن أقبل يده، ياقوم : أنتم في واد وأنا في واد ! ! ! والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم ).

وكان يسير يوم عيد فرأى سلطان مصر وقد أسرف في الزينة والأبهة، ويسير مختالا في أثواب من التعاظم والتباهي على خلق الله والناس من حوله بين خائف وخانع يقبلون يده ويخلون له الطريق، فما كان من العز إلا أن ضرب المثل على شجاعة الحق، وقوة المستمسك به، فنادى الحاكم باسمه مجردا من الألقاب بأعلى صوته : ياأيوب، ماحجتك عند الله إذا قال لك : ألم أبوئك ملك مصر. لم تبيح الخمور؟ فقال له السلطان :

هل جرى هذا ؟ فقال العز : نعم، الحانة الفلانية تباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة، فرد عليه السلطان : أنا ماعلمته، هذا من زمان أبي ... فقال له العز مستنكرا : أأنت من الذين يقولون : ( إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ؟ )

وما كان من السلطان إلا أن أصدر قرارا بإبطال تلك الحانة ...

وسأله أحد تلامذته : لم فعلت هذا مع السلطان ؟ فقال :

رأيته يابني في تلك العظمة فأردت أن أهينه كيلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه ...

وبلغت بالشيخ شجاعته أبعد الحدود فأفتى بأن أمراء المماليك مازال ينسحب عليهم حكم الرق والأرقاء لأنهم بيعوا بالمال فواجب أن يباعوا ثانيا وأن تضاف أثمانهم إلى بيت من مال المسلمين ...

وأفتى بأن تصرفاتهم من بيع وشراء وعقود نكاح وغير ذلك لاتنعقد، فأفسدت هذه الفتوى على الأمراء حياتهم، فقد توقف الناس عن التعامل معهم فتعطلت مصالحهم، وكان من بينهم نائب السلطنة فاشتد غضبه وكاد ينفجر حنقا، وعجب من جرأة الشيخ على الحكام، وأقسم لينتقمن منه شر انتقام وقال :

( كيف ينادي علينا هذا الشيخ ويبيعنا في مزاد علني، ونحن ملوك الأرض،

والله لأضربنه بسيفي هذا ).

ثم اسرع الأمير إلى دار الشيخ ممتطيا فرسه، مشهرا سيفه، وشرر الغضب يتطاير من عينيه، ولما طرق الباب نزل الشيخ للقاء الأمير وابنه يرتعد فرقا على أبيه وأبوه يقول له :

( ياولدي أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله ...)

لقي الشيخ المؤمن هذا الأمير الهائج وهو مصمم على قتله ... ولكن وقع مالم يكن في الحسبان فقد يبست يد الأمير وسقط السيف منها وارتعدت فرائصه ... فبكى وسأل الشيخ أن يعفو عنه ويدعو له[2].

وقد قامت الدنيا وقعدت لهذه الفتوى الجريئة وسببت للشيخ عز الدين متاعب شاقة، ومحنا وشدائد، ولكنها لم تنل شيا من عزيمته وشجاعته بل ظل في طريقه مرفوع الرأس، يجاهد بالكلمة والقلم والفكر حتى التحق بربه سنة 660 هـ وقال فيه الأديب أبو الحسين بن عبد العزيز الجزار :

سار عبدُ العزيزِ في الحكم سيرا
لم يَسِرْهُ سوى ابنِ عبد العزيز
عمَّنا حكمُه بعدل وَسِيطٍ
شامل للورى ولفظٍ وجيز

(2) روى الحادثه العلامة السبكى في طبقاته وسواء اكانت يد الامير قد يبست رهبة وهيبة من الشيخ ام كان ذلك كرامة اجراها الله للشيخ فالمهم ان الامير قد تخاذل وجبن امام الشيخ القوي بالله.

# الإمــام تـقي الديـن السـبكي

( 683 هـ 756 هـ )

هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي، المؤلف الشهير في الفقه وفروعه ...

كان آية في اللغة، والنحو، والبيان، والفقه والتفسير والأصول، وكان محققا مدققا ناظرا، له في الفقه وغيره الاستنباطات الجليلة والقواعد المحررة، التي لم يسبق إليها.

قيل ألف السبكي نحو مائة وخمسين كتابا مطولا ...

من كتبه : ( السيف المسلول على من سب الرسول صلى اللـه عليه وسلم ) ( رفع الحجاب عن مختصر متن الحاجب ) ( كتاب التحقيق في مسألة التعليق )[1] ( الإقناع في الكلام على أن ( لو ) للإمتناع ) ( وشي الحلى في تأكيد النفي بـ ( لا ) [2] ( ضرورة التقدير في تقويم الخمر والخنزير ) ( نور الربيع في كتاب الربيع )[3].

ومن شعره ( أو نظمه ) قوله في الحكمة والدعوة إلى طلب العلم :

---

(1) رده على ابن تيمية في مسالة الطلاق

(2) رده على ابن الكتاني

(3) وضعه على كتاب الأم للشافعي

كمال الفتى بالعلم لابالمناصب ورتبة أهل العلم أسنى المراتب
هم ورثوا علم النبيين فاهتدى بهم كل سار في الظلام وسارب
ولافخر إلا إرث شرعة أحمد ولافضل إلا باكتساب المناقب
وبحث وتدقيق وإيضاح مشكل وتحرير برهان وقطع مغالب

وكتب الإمام تقي الدين السبكي كتابا إلى الحافظ الذهبي يعتذر فيه عما قاله في حق ابن تيمية جوابا على كتاب الحافظ الذهبي إليه الذي يعتب عليه فيه ماصدر منه قال :

( وأما قول سيدي في الشيخ (4) فالمملوك يتحقق كبر قدره، وزخارة بحره، وتوسعه في العلوم الشرعية والعقلية، وفرط ذكائه واجتهاده، وبلوغه في كل ذلك المبلغ الذي لايتجاوزه الوصف ...

والمملوك يقول ذلك دائما، وقدره في نفسي أكبر من ذلك وأجل مع ماجمعه اللـــه له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه، لالغرض سواه، وجريه على سنن السلف، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى وغرابة مثله في هذا الزمان، بل في أزمان ).

أورد هذه الشهادة الشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية وعضو جماعة كبار العلماء في مقدمته على ( الفتاوي الكبرى ) للعلامة ابن تيمية ثم قال :

( هذه شهادة الإمام تقي الدين السبكي في ابن تيمية، وناهيك به بعد ماكتب عنه ماكتب، وألف ماألف في الرد عليه وتفنيد آرائه ...

وأنها لدليل على عظم الامام السبكي وإنصافه للشيخ، ونموذج يجب أن يحتذى به العلماء في خصوماتهم العلمية واختلافاتهم النظرية ).

إنه - بحق - موقف كريم لايقفه إلا مثل السبكي فضلا وعلما، وهمة ومروءة، فقد كان يعارض الإمام ابن تيمية في كثير من آرائه العلمية واختلافه معه مشهور يعرفه العامة والخاصة ومع ذلك أبى إلا أن ينصفه ويقول فيه هذه القولة التاريخية، ويشهد له هذه الشهادة الخالدة التي ستبقى عنوانا على سلامة فطرته، وطهارة قلبه، وكبر نفسه ...

---

(4)يعني ابن تيمية.

والذي يحز في النفس، أن هذه الأخلاق العالية التي نقف عليها في سير السلف الصالح من العلماء، قلما تجد لها أثرا عند علماء اليوم، فقد ينصف بعضهم بعضا في وجهه : يطريه ويثني عليه الثناء الجم حتى ( يغلطه ) في نفسه ولكن إذا غاب عنه هبطت الحرارة أو بردت تماما ...

أما أن ينصف العالم خصمه، ويعترف له بقدره مع اختلافه معه في الرأي والنظر فهذا لاوجود له فيما نعلم ...

ورجاؤنا أن يوفق علماء هذا الزمان للتأسي بهذا الإمام وأمثاله في الانتصاف لأهل الفضل مهما يكن بينهم من الاختلاف والاختصام ...

وظل الإمام السبكي يجاهد بالفكر والقلم حتى توفي سنة 756 هـ في مصر، فدفن في حفل أجمع مشاهدوه على أنه لم ير أكثر جمعا منه ... وقيل أنه لما مات نادت المنادية :

( مات آخر المجاهدين، مات حجة اللـه في الأرض، مات عالم الزمان )

ثم حمل العلماء نعشه، وازدحم الخلق بحيث كان أولهم على باب منزله، وآخرهم في باب النصر، ورثاه كثير من أهل العلم والأدب منهم الأديب ابن نباتة، وصلاح الدين الصفدي وكانا صديقين له[5]

---

(5) أنظر ( عصر سلاطين المماليك ) للأستاذ رزق سليم م 3 .

# ( الشيـخ عـبد الـرحمن الـيلولي )

## ( 1030هـ 1105 هـ )

هو التقي الصالح، والعالم القرآني، أبو زيد عبد الرحمن بن يسعد المصباحي الخردوشي اليلولي الزواوي مؤسس الزاوية المشهورة باسمه بجبل ( يلولة ) دائرة عزازقة ولاية تزي وزو ...

وكان يعرف بين قومه بهذا اللقب أو بهذا الوصف : ( أزقاغ أبالن ) أي أحمر العينين ...

وما يزال الناس في المنطقة يحلفون به ويقولون : ( أحق أزقاغ أبالن ) أي وحق أحمر العينين.

وهذه الحمرة ـ كما قال لي الشيخ عبد الرحمن الجيلالي ـ لاندري إذا كانت طبيعة فيه أم هي ظاهرة تعتريه في بعض الحالات ...

ولد الشيخ عبد الرحمن في حدود ( 1030هـ ) الموافق لسنة ( 1601م ) في قرية تدعى ( إخردوشن ) وهي قبيلة صغيرة في سفح جبل إيلولة بالقرب من زاويته ...

وبالرغم من بحثنا الطويل عن مراحل حياته وتتبعنا للمصادر التي يظن أن تترجم له فإننا لم نعثر على شيء من ذلك، وغاية مانعلم عنه أنه كان آية زمانه

في علم القراءات، ولاسيما الروايات المشهورة ... كالسبع والعشر ...

أخذ عن العلامة الشيخ محمد السعدي البهلولي دفين زاويته الشهيرة في غابة مزرانة بناحية دلس على شاطىء البحر، وقد اشتهرت هذه الغابة وتصدر اسمها في كثير من الصحف الفرنسية في عهد الثورة التحريرية للمعارك الضارية التي دارت فيها وكان للمجاهدين فيها تاريخ لاينسى ...

وتوفي الشيخ عبد الرحمن اليلولي عن غير عقب سنة ( 1105هـ ) الموافق لسنة ( 1676م ) ودفن قرب زاويته وبنيت عليه قبة وظل ضريحه مزارا يقصد من كل ناحية ...

ودفن بجوار الشيخ في القبة عالمان جليلان كانا توليا التدريس بالزاوية في وقتين مختلفين، هما الشيخ ( عنطر ) البتروني الحرزوني الذي كان بارعا في الخط ونسخ ( 99 ) مصحفا وتوفي قبل أن يتم المائة وقد تجاوز النصف منه.

ولمصحف الشيخ (عنطر) قيمته الكبيرة، وشأنه العظيم، وحسبك أن العائلات الشريفة يتنافس في اقتنائه.

أما الشيخ الثاني الذي دفن بجوار الشيخ عبد الرحمن اليلولي فهو الشيخ الصادق بن زكري شقيق الشيخ محمد سعيد بن زكري مفتي مدينة الجزائر في بداية هذا القرن، ومؤلف كتاب : ( أوضح الدلائل في الدعوة إلى إصلاح الزوايا ببلاد القبائل ) ...

وللحقيقة والتاريخ نسوق هنا ماشاع بين الناس وأصبح يقينا حتى عند بعض المتعلمين الذين يكتفون بقشور العلم ولايكلفون أنفسهم البحث والنفوذ إلى أعماقه - من أن الشيخ عبد الرحمن اليلولي والشيخ أحمد الإدريسي كبير علماء بجاية تخاصما يوما خصاما شديدا فدعا كل على الآخر دعاء سيئا فاستجاب اللـه لهما :

فالإدريسي دعا على الشيخ عبد الرحمن بالعقم فمات عن غير عقب ( كما قدمنا ) والشيخ عبد الرحمن دعا على الإدريسي بأن تظل زاويته - وهي على مقربة من زاوية الشيخ عبد الرحمن - خافتة الصيت، ضيقة المحيط، قليلة المردود ...

فكانت زاوية الشيخ الإدريسي مقصورة على قراءة القرآن الكريم وتعلم مبادىء الفقه واللغة بينما كانت زاوية الشيخ عبد الرحمن عامرة مزدهرة تُدَرّس فيها علوم مختلفة ويتولى التدريس فيها علماء أجلاء ...

والقصة من نسج الخيال وجدت أدمغة فارغة عند العامة فتمكنت وتأصلت ... وأول مايفندها ويدحضها هو الفارق الزمني البعيد بين الشيخين، فالشيخ أحمد الإدريسي البجائي توفي سنة ( 760 هـ ) وهو من أساتذة ابن خلدون مؤسس علم الإجتماع ...

والشيخ عبد الرحمن اليلولي توفي سنة ( 1105 هـ ).

ومن آثار الشيخ عبد الرحمن اليلولي التي تذكر له بالتقدير والإجلال الزاوية المشهورة التي أسسها على جبل من جبال جرجرة الشامخة سنة ( 1635 هـ ) والتي ظلت منذ هذا التاريخ قلعة إسلامية يؤمها طلبة العلم من مختلف أنحاء القطر الجزائري، ويتعاقب عليها علماء تخلوا عن الدنيا وزخارفها ومغرياتها ليتفرغوا لعبادة اللـه تعالى بالطاعة والتقوى وخدمة الإسلام والمسلمين بدراسة الكتاب والسنة والعلوم والأخلاق ...

وتتجلى حكمة الشيخ عبد الرحمن ودهاؤه وبعد نظره، في تأسيس الزاوية في هذا الموقع بالذات، الصاعد في السماء، البعيد عن العمران، المحاط بالجبال وهناك سهول واسعة فسيحة على مد البصر تحت تلك الجبال وفي أماكن من أرض المنطقة ...

ولكن الشيخ أراد أن يبعد عن زاويته كل ما يشغل الفكر عن العلم والعبادة والتقوى، ولابد لمن يريد العلم أن يتفرغ له وينقطع إليه حتى ينال منه نصيبا، وأغلب الزوايا بهذه المنطقة بالخصوص لا تجدها إلا على الجبال لأن مؤسسيها يجدون في البعد عن العمران عونا على الجهاد في العبادة والعلم، كما أنهم يجدون في العزلة راحة الفكر، ومتعة النفس، ولذة الأنس باللـه تعالى ...

ولهذه الزاوية في الليل حياة أخرى غير حياة النهار فللحياة الليلية روعتها الخاصة، وسحرها العجيب، وجمالها الفريد.

وهذه الزاوية بحكم انعزالها عن العمران ووجودها على ربوة عالية تحيط بها جبال شاهقة من أغلب الجهات، هي أحسن مكان للتفرغ للدراسة ـ والتعبد والتأمل في الطبيعة ـ كما أسلفنا ـ وإذا كان كل شيء في هذا المكان يأخذ بمجامع القلوب وخاصة في الليل، فإن أروع مايجلب الأنظار، ويستبد بالمشاعر والأحاسيس ذلك ( الميزاب ) الشهير المنحدر من أعلى الجبل الشاهق إلى الزاوية والذي يتدفق بقوة ماءا باردا عذبا وينصب في صهريج واسع أنيق، ثم يسري في جداول

بين أشجار الكروم والجوز والكرز كأنه جمان ذائب. وحيات مذعورات هائمات تنساب في المروج الخضر، وفي هدوء الليل وسكونه يرتفع دوي (الميزاب) ويتجاوب مع دويّ الطلبة قراء القرآن الكريم. فيخيل إليك أنه هو الآخر جاد في التلاوة، حريص عليها. فتستشعر من الأعماق رهبة وجلالا، ويغمرك الإحساس بعظمة اللـه تعالى، وعظمة القرآن الكريم. وعظمة من نزل عليه صلى اللـه عليه وسلم، حتى إذا آوى الجميع إلى مضاجعهم، وسكن كل شيء. فلاحركة ولاصوت، بقي (الميزاب) وحده يزأر ويزمجر، كأنه يتحدى النوم والتعب. أو يعلن أنه هناك حارس رقيب ...

وقد زار هذه الزاوية الإمام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1930 يرافقه تلميذه المرحوم الشيخ باعزيز بن عمر الصحافي المشهور بعد أن سمع عنها ماراعه وملك إعجابه من جمال الموقع. وحسن الطبيعة ومزايا وخصائص تنفرد بها عن جميع الزوايا المعروفة بالجزائر وغيرها ...

وقد ذكر لي أحد طلبة الزاوية الذين كانوا فيها يوم زارها الإمام أنه (الإمام) خرج من الحجرة التي بات فيها قبل الفجر بنحو ساعة، وكان الفصل ربيعا، والليل مقمر، والنسيم عليل، والزهر متنور، والنجم مختلج حائر.

وجلس الشيخ تحت شجرة انتصبت في الفضاء يتأمل السماء بنجومها اللامعة الساحرة التي تنطبق على أرض كأنها رقعة الفردوس، وظل الشيخ هناك في تأملاته حتى نهض الطلبة للقراءة والدراسة ثم صلاة الفجر. وكانت الكلمة التي قالها معبرا بها عن خوالجه النفسية :

اللـه أكبر، ماأعظمك، وأعظم دلائلك ...

وعاد الشيخ عبد الحميد إلى الجزائر وقلبه مشدود إلى هذا المكان. ولسانه يلهج بذكر هذه الزاوية والثناء على مؤسسها الشيخ عبد الرحمن اليلولي.

ومن أبرز مايميز هذه الزاوية عن الزوايا الأخرى. بعدُها عن البدع والخرافات، والعادات البالية التي تُعوق الفكر عن التحرر وتشده إلى المألوف. واستعدادها الطبيعي للتطور ومواكبة الحياة في نشاطها وتقدمها. ولعلها الزاوية الوحيدة في القطر الجزائري التي كان طلبتها يقرأون (الشهاب) و (البصائر) و (المنار) و (المغرب العربي) والزاوية الوحيدة التي كان من طلبتها مناضلون ومصلحون ... يوم كان النضال جريمة ...

وبعد أن اندلعت الثورة التحريرية سنة 1954 كان المجاهدون يلتجئون إليها، ويجتمعون فيها، ثم ينطلقون منها لخوض المعارك، ونصب الكمائن ... وشمن الهجومات ...

وممن كانوا يترددون عليها العقيد محمد ( إعزورن ) والشهيد العقيد سي شريف ( علي ملاح ) والعقيد أعمران والعقيد المرحوم محمد الحاج ... والعقيد محمدي السعيد ...

والتحق - إثر اندلاع الثورة - عدد كبير من طلباتها بالجبل ليطبقوا مادرسوا من أساليب ونظريات في الكفاح من أجل الوطن، واستشهد أكثرهم ...

وقد تفطن الجيش الفرنسي لدور الزاوية في الجهاد ووقف على ماضيهاالإصلاحي الذي لم يقف على مثله في غيرها فقرر هدمها وقتل من فيها من الطلبة، وكان المجاهدون قد نفذوا حكم الإعدام في ( قايد ) الناحية.

وفعلا نفذوا ماأرادوا ...

تحركت قوات عسكرية فرنسية في اتجاه المنطقة تعززها الأسلحة الثقيلة المختلفة من مدافع ودبابات وطائرات، فحاصروا المنطقة من جميع الجهات ومنعوا الدخول إليها والخروج منها، ثم أخذوا يصبون نيران أسلحتهم في طيش وجنون، ويركزون بالخصوص على الزاوية ... فدمروها وسووا جل بناياتها بالأرض ...

وظلت النيران تلتهم المكتبة طوال ثلاثة أيام أتت خلالها على كل مافيها من كتب نفيسة قيمة ووثائق ثمينة هامة ...

وشاهد الناس في هذه المنطقة أفظع المناظر وأبشعها...

وهل هناك أفظع وأبشع من استباحة حرمة العلم والمعرفة وطمس معالمهما، وهدم منابعهما ؟

وهل هناك أدل على حمق الإنسان وطيشه، وتهوره وتوحشه من الإساءة إلى من يتعلم كيف يكون إنسانا وكيف يكوِّن الإنسان ؟

لم تتوقف الدروس وتلاوة القرآن في هذه الزاوية منذ أكثر من أربعة قرن ... فتوقفت في ذلك اليوم المشئوم وتعطل كل صوت، وتوقفت كل حركة، على أيدي ( رسل الحضارة ) في القرن العشرين ...

وكان الفرنسيون عندما أقدموا على هذه العملية يعتقدون أنهم قد قضوا نهائيا على هذه الزاوية وأنها قد ضاعت إلى الأبد على هذه الخارطة، ولم يكن يخطر

على بالهم ـ إذ ذاك ـ أن للـه حكمه وتدبيره :

وهو أن لليل الجزائر المظلم المعتم غدا وضيئا مشرقا تفرح فيه الثكالى بأولادهن الشهداء، لأنهم ماتوا من أجل أن يتنفس صبح الحياة الجديدة، وأن ضوء هذا الغد سيغمر أرجاء الجزائر، وأن مغاني ومعاهد و مدارس ستشيد على الأنقاض البالية، فعندئذ يرجع النحل إلى وكره، والبلبل إلى أيكه، والماء إلى مجراه، وتنطلق الزاوية من جديد بطاقة أقوى، وعزيمة أمضى، وصورة أجمل، إلى هدف أسمى وأفضل ...

فجاء الغد الموعود، فأنشأت الدولة الجزائرية على أنقاض الزاوية معهدا ـ لتخريج الأئمة على نمط عصري، شامخ البنيان، قوي الأركان، تمتد إليه يد السماء لترفع الغشاوة عن العيون، وتنفض غبار الجهل عن الوجوه.

وتم بناؤه بالمرسوم الرئاسي الصادر في 20 من جمادى الأولى عام ( 1403هـ ) الموافق 5 مارس ( 1983م ) وبدأت الدراسة فيه يوم 15ـ 9 ـ 1984 م.

وهاهو اليوم يؤمه الطلبة من مختلف أنحاء الجزائر لطلب العلم والمعرفة؛ وهاهو الشيخ عبد الرحمن اليلولي يبعث فيه من جديد، عملاقا عظيما، كما كان وكما كانت زاويته زهاء أربعة قرون ...

## ( غـالية الـــوهابية )

( . . .    1229 هـ )
( . . .    1814 م )

غالية الوهابية امرأة من عرب ( البقوم ) من بادية مابين الحجاز ونجد، دعيت بالأميرة، واشتهرت بالبطولة وصدق البأس ...

من تتبع تاريخها ووقف على ماكتبه ذوو الأقلام النزيهة التي تتحرى الصدق والموضوعية ـ وجدها نموذجا يندر وجوده بين النساء ...

لقد سجلت الغالية اسمها في التاريخ بمواقفها البطولية الصامدة، وجعلت أيامها صفحات مشرقة حافلة بأعمال إيجابية تذكر بها على ممر العصور والأجيال ...

كانت غالية أرملة رجل من أغنياء ( البقوم ) من سكان ( تربة ) بالقرب من الطائف وورثت عنه ثروة كبيرة أنفقتها كلها في تكوين جيش وإعداده خير إعداد لمحاربة الأتراك الذين اعتزموا الاستيلاء على بلادها ...

قال محمود فهمي المهندس في كتابه ( البحر الزاخر ) يصف بطولة امرأة عربية في حرب الوهابيين سنة 1812 ماملخصه :

( لم يحصل من قبائل العرب القاطنين بقرب مكة مقاومة أشد مما أجراه

عرب ( البقوم ) [1] في تربة [2] وكان قد لجأ إليها معظم عساكر الشريف غالب. وقائد العربان في ذلك الوقت امرأة أرملة، إسمها غالية كان زوجها أشر رجال هذه الجهة وكانت هي في غاية من الغنى ففرقت جميع أموالها على فقراء العشائر الذين يرغبون في محاربة الترك ...[3]

ويقول المؤرخ ( الجبرتي ) إنها في شهر صفر 1222 هـ قادت بنفسها العرب، وانتصرت على جيش الأتراك القادم من الطائف، وهزمته وإنها قتلت بسيفها وهي فوق جوادها أكثر من مائتين من الرجال ...

وفي شهر جمادى الأولى سنة 1229 هـ زحف جيش من الهجانة على عرب ( البقوم ) فثارت غالية وهاج بركانها فجمعت الرجال وقامت فيهم خطيبة تلهب حماستهم، وتثير فيهم النخوة والغيرة والإباء ...

وما إن انتهت من خطابها البليغ المؤثر حتى كانت الصدور تحتدم حماسة وعزما وانطلقت على رأسهم إلى ملاقاة الجيش المهاجم، فدارت المعركة شديدة بين الجانبين، وظلت القائدة العربية تبرهن عن بطولتها واستبسالها وموهبتها في القيادة والتنظيم الحربي مدة ثمانية أيام، ثم انتصرت في النهاية انتصارا باهرا افتك الإعجاب وزلزل قلوب الأعداء ...

هذه هي القائدة العربية ( غالية ) التي رفعتها شجاعتها إلى مصاف العظماء في التاريخ واستفاضت شهرتها كأعظم شجاعة أنجبتها الأمة العربية. وستظل بتاريخها المشرق نجما ساطعا على طريق الكفاح والمقاومة في سبيل الحق وكرامة الإنسان ...

---

(1) علق صاحب الإعلام خير الدين الزركلي على هذه الكلمة بقوله في الاصل (ابى جوم) والصواب (البقوم) والقاف في اكثر بلاد العرب تلفظ كالجيم المصرية

(2) ضبطه ياقوت في معجمه بالضم ثم الفتح

(3) يعتقد المصريون انها ساحرة..

## ( يـوسف العــظمة )

### ( 1884 م    1920 م )

ترجم له صاحب ( الإعلام ) بقوله :

يوسف ( بك ) ابن ابراهيم بن عبد الرحمن العظمة، شهيد ( ميسلون ) ... من الوزراء ومن كبار الشهداء في سبيل استقلال سورية ...

ولد يوسف بدمشق ( 1301 هـ 1884م ) ودرس الفنون العسكرية في المدرسة الحربية باستنبول وبعد أن أنهى فيها دراسته سنة 1906 م وخرج برتبة ( يوزباشي ) أركان حرب وتنقل في الأعمال العسكرية، بين دمشق ولبنان. والإستانة، - أرسل إلى ألمانيا حيث تخرج ضابطا في هيئة أركان الحرب الجيش التركي ...

ولما نشبت الحرب العامة هرع إلى الأستان متطوعا وعين رئيسا لأركان حرب الفرقة العشرين ثم الخامسة والعشرين ... وبرهن عن شجاعته وبطولته ومقدرته الحربية في كثير من المعارك التي اشترك فيها ...

ولما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها عاد يوسف إلى وطنه الأول ( دمشق ) فاستقبلته الدولة الفيصلية بالحفاوة والترحيب وقلدته أرفع المناصب العسكرية : منصب وزير الدفاع ...

ولما احتل الفرنسيون ( سورية ) قاد المعركة الفاصلة التي دارت في ( ميسلون ) يوم السبت 24 يوليو سنة 1920 م واستشهد بعد أن وقف موقفا بطوليا رائعا أذهل القادة الفرنسيين وجعلهم يندهشون من هذا القائد الشهم الذي لم يكتف بتسيير الحرب من بعيد بل تصدى بنفسه للجيش الغاصب غير خائف أو متردد وصمد لقذائفه بصدر مكشوف، ورأس مرفوع، وهذا صديقه العالم الأديب الدكتور عبد الرحمن شهبندر يروي قصة استشهاده :

( وإن أنس لاأنسى يوم وقف أمام الحكومة وعلى رأسها الملك فيصل يودعها فقال لنا بأنفة وإباء :

إنني ذاهب إلى جبهة الحرب وليس لدي ماأتركه لكم سوى طفلتي استودعها ذمتكم، وبعد ساعات كان على طريقه إلى ( ميسلون ) على رأس حفنة من المتطوعة، وبقايا الجيش النظامي ؛ ـ لأن الجيش كان قد تسرح بحسب اتفاق غادر مع الجنرال غورو ـ وفي صباح اليوم التالي باكرا نعاه بالتليفون الدكتور أحمد بك قدري، وقد علمت أنه صمد في الصف الأول كالمنارة المزدانة فهو إذا هوى في ميدان الفخر فإنما هوى ليرفع تمثالا من الفن البديع على باب العاصمة الأموية. يفتخر بدقة صنعه وجلال نحته الأبناء والأحفاد ...

داست سنابك خيل المكتسحين أشلاء القتلى وحانت لضابط منهم التفاتة فرأى بين المضطجعين سحنة عرفها فترجل ليتحقق منها فرأى على الكتفين شارة فصاح :

( وزير الحربية السوري يموت ميتة الأشراف )[1].

وقد دفن في المكان الذي سقط فيه شهيدا، وما يزال قبره مزارا، يلهم العبرة، ويوحي بالذكريات الماجدة ويذكر بأن الوطني الصادق هو الذي لايبخل بمنصبه ودمه في سبيل وطنه ....

---

(1) الشهاب ج 9 م 11 ديسامبر 1935م.

## ( الشيـخ القـاضي الصـدوقي )

( 1241 هـ 1305 هـ )

هو العالم الجليل، والفقيه الشهير، المربي الصالح، الشيخ القاضي الصدوقي المسيسني ...

ولد عام 1241 هـ بقرية ( تقاعت ) عرش ( مسيسنة ) نواحي ( صدوق ) بلد الشيخ الحداد المجاهد الخالد الذكر، ونشأ في أسرة علمية دينية، وظهرت عليه مخائل النجابة في طفولته المبكرة، فحفظ القرآن الكريم ولما يتجاوز العاشرة من عمره، ثم أخذ ينتقل من زاوية إلى أخرى لطلب العلم والمعرفة بجد وصبر وعزيمة، وكان كل مايستبد بنفسه ويسلك عليه نهاه وهواه أن يدرس ويتعلم، ويبحث ...

ولم يزل يواصل جهاده العلمي بهمة لاتعرف الكلل، ونهم لايعرف القناعة والاكتفاء، حتى تفوق في فنون مختلفة، وخاصة الفقه والفرائض حتى لقب ( بمالك الصغير ).

وقد تولى التدريس في زوايا متعددة منها زاوية سيدي موسى ببني وغليس التي قضى فيها أربعة عشر عاما ...

وفي آخر عمره مارس التعليم بمنزله في قرية ( تقاعت ) وقد ختم الفقه

في مختصر خليل أربعين مرة ـ مع ضخامة هذا الكتاب ـ مما جعله مرجع الشيوخ والطلبة في المشاكل الفكرية والقضايا الشرعية المختلفة التي تواجه الناس في شؤون حياتهم.

وكان ـ رحمه اللـه ـ يجلس للفتوى في مكان خاص تحت زيتونة بسيدي عيش أيام السوق فيقصده الناس على اختلاف طبقاتهم من كل فج وصوب. وكانت الزيتونة تضيء بزيتها الطريق أمام االأبصار، والشيخ يضيء الطريق بعلمه أمام البصائر ...

كما يعد الشيخ القاضي وحيد عصره في علم الفرائض وله في ذلك كتاب من أنفس الكتب وأهمها في هذا الموضوع ـ كما ذكر ابنه المرحوم الشيخ محمد القاضي المتوفي سنة 1966 ـ ولولا ضياعه لسد ثغرة واسعة في هذا الفن ...

وتخرج على الشيخ عدد كبير من العلماء الذين حملوا رسالة الإسلام في تلك النواحي، أمثال العلامة الشيخ الشريف الإفليسي. والفقيه الشهير الشيخ السعيد زكري، والعالم المربي الشيخ السعيد الأمسوني.

ومما يذكر للتاريخ والاعتبار ويعد موقفا شجاعا مشرفا أن الشيخ القاضي قد عرضت عليه وظيفة القضاء ببجاية فرفض صونا لكرامته، وإيثارا لخدمة العربية والإسلام، وخوفا من اللـه لحساسية هذه الوظيفة ...

ويدرك أهمية هذا الموقف من يعلم أن الشيخ كان في أمس الحاجة إلى مثل هذا الوظيف الذي يدر مالا كثيرا، وإن هناك من يسعى وراء هذا الوظيف راغبا لاهثا، ولكن فرنسا تعرف من تسعى لكسبه ونيله ... لحاجة في نفسها. لاتخفى على اللبيب ...

ويبدو أن للشيخ القاضي كتابا عن أعوام الجوع التي عاشها الشعب الجزائري والتي تسببت في ثورة 1871 م أو كان بصدد إعداده ...

فقد عثر أحفاده ـ وهم يبحثون عن مراجع لترجمة جدهم ـــ على أوراق في هذا الموضوع بخط يده يتحدث فيها عن أنواع الأوبئة والحوادث والمنكرات الفظيعة التي عاشها االشعب الجزائري إبان الاحتلال ونحن نورد هنا فقرات منها لأهميتها الموضوعية والتاريخية أولا، ولدقتها في تصوير حالة الجزائر في ذلك الوقت ثانيا، ولأخذ الدرس والعبرة ثالثا.

قال الشيخ في غزو الجراد لأرض الجزائر :

( .... وفي أوائل شهر ذي الحجة عام 1282 هـ الموافق لأول أفريل نزل الجراد بأرضنا وعمها كلها : قبائل وأهل البداوي، فحينئذ أمر حكام الفرنسيين في عمالة الجزائر القياد والشيوخ ومن له الرأي بأن يجمع كل واحد أهل عمالته ويأمرهم بطرده من بلدهم ).

ويذكر اهتمام الناس بمقاومته واستنفاد الوسع في طرده بمختلف الوسائل ثم يضيف قائلا :

( وفي أوائل عام 1283هـ ظهر الجراد في بعض الجهات فقط واجتمع الناس على قتله بأمر من الحكام والقياد، فلما دنا وقت الحرث ارتوت الأرض بالمطر الغزير، وشرع الناس في الحرث، وأكثروا منه لظنهم صلاح العام، فمن ذلك الوقت ارتفع المطرو يبست الأرض، وصار الناس يدعون اللـه ويتضرعون إليه في إنزال الغيث ومازال الناس يخرجون للإستسقاء، ويخرجون الطعام في بعض الأوقات إلى المساجد وإلى أضرحة الأولياء حتى يبست الأرض وهلك الزرع، تطوف الأغنام في الصحراء ولاتجد ماترعى، وباع الناس مواشيهم بثمن بخس، وانقطعت ثمرة الزيتون والتين إلا قليلا، ويبس كثير من الأشجار المثمرة بسبب القحط )

ثم يتحدث عن غلاء الأسعار وظهور الوباء فيقول :

( وفي عام 1284 هـ ثار النقع والغبار في الأسواق ونزل الطاعون وانتشر في البلاد مغربا ومشرقا، فقتل من سلم من القرى والأعراش واشتد الغلاء بعد ذلك على الخلائق وانقطع الحرث في تلك السنة على كثير من الناس لعدم ( الزريعة ) ولم يوجد الزرع إلا في المراسي كعنابة، وسكيكدة، وبجاية، ودلس، والجزائر، وغير ذلك، ولولا ماتجلبه السفن إلى المحال المذكورة لهلك الناس عن آخرهم، سيما مرسى بجاية إذ هي القائمة بجل الناس، قبائل وعربا، حتى إن أهل الحضنة والمسيلة ومن كان منهم بين الجزائر وقسنطينة، لايكتالون الطعام إلا منها ).

وتعرض بعد هذا بكل تفصيل إلى الأسعار التي تباع بها الحبوب وإلى ازدحام الناس لشرائها في الطرقات، بخيولهم وبغالهم، حتى إن المرء لايجد مسلكا إلا بمشقة وصعوبة.

ثم يذكر الجرائم والمنكرات الفظيعة التي ارتكبت من جراء المجاعة التي بلغت أبعد حدودها فيقول :

( وتجد الناس هائمة في البلاد والطرق رجالا ونساء حتى إن الرجل يذهب

للطواف في جهة وزوجته في جهة أخرى، وأولاده كذلك، ولايتذكر بعضهم بعضا. وصدر إذن من عند الحكام الفرنسيين أن من أعجبته إمرأة تركها زوجها يذهب بها إلى الحاكم ويكتب له، ويتزوجها، وهي في عصمة زوجها. وبلغنا أنه في بلاد العرب، كسطيف، وقسنطينة، صارت فواحش عظيمة ممايستحي الإنسان أن يفوه به وذلك أن شياطين الناس المتمردين من طاعة اللـه يذهبون بالنساء المعجبات لهم ويطمعونهن ويزنون معهن. وسمعت من رجل ثقة أنه ذهب إلى سطيف ووجد رجلا وزوجته جالسين، قال : وإذا بعسكريين من عساكر الفرنسيين أشار إلى المرأة وذهبت إليهما وقضيا فيها حاجتهما ودفعا لها شيئا وأتت به الى زوجها. وفي فصل الربيع زادت شدة الجوع إلا أن العام استقبل بالصلاح لأنه ظهرت فيه علامة ولادة الزيتون وأخضرت الأرض وكثرت الأعشاب وخرج الناس لأكل الحشيش كأنهم غنم سائمة، فبعضهم تنتفخ وجوههم وأرجلهم وكثيرهم تفنى لحومهم ولايبقى إلا الجلد على العظم، وصورهم موحشة للناظر كأنهم لم يكونوا من الإنسان ).

ويسجل ظاهرة غريبة وهي أنه بسبب هذه المجاعة المهولة باع بعض الناس أولادهم للنصارى فيقول :

أوقد سمعت من رجل حضر في سطيف ذات يوم أن رجلا أعرابيا باع بنته بريال، وآخر باع إبنه بريال ووقع ذلك البيع كثيرا ).

ويشيد بأهل الفضل والإحسان ذوي القلوب الرحيمة والنفوس العظيمة الذين لايخلو الزمان منهم، وخاصة شيخه وقدوته السيد محمد أمزيان بن الحداد الذي يقول عنه :

( زاد على ماكان منه من الإطعام في الأعوام الماضية وقام بذلك أتم قيام جازاه اللـه بأحسن الجزاء ... وأنه في النهار يفرق الخبز على المستحقين. ولايزال الطعام قائما من بيته إلى وقت العشاء وفي الليل يخرج قصعا متعددة من الكسكسي قدر عشرين أو أكثر من ذلك. وكذا أيضا الفقيه المدقق المدرس المحقق شيخنا سيدي يحيى بن حمودي قام بأمر المحتاجين أتم قيام جازاه اللـه خيرا ).

ثم يتحدث عن انتشار الموت في كل مكان بصفة مهولة تثير الرعب والفزع فيقول :

( وكثر الموت في الخلائق في الأزقة والطرق. ومنهم من دفن ومنهم من لم يدفن وأكلته الذئاب والوحوش ... ولم تسلم قرية من القرى من خطر الموت ...

وجملة من مات في عمالة الجزائر التي استولى عليها الفرنسيون مائتا ألف وأربعون ألفا وزيادة، وقد كثر الموت حين أكل الناس الزرع الجديد، وبعضهم إذا شبع ليلا أصبح ميتا، وفي عام 1285 هـ فرج اللـه على الخلائق وخصبت الزروع في كل ناحية جبلا وساحلا، وكثرت ثمرة الزيتون والتين. وبسطت الأرزاق بفضله وإحسانه ).

وتوفي الشيخ القاضي بقرية ( تقاعت ) مسقط رأسه عام 1305 هـ وخلف طلبة أخذوا على أنفسهم عهدا أن يعيشوا للإسلام والعربية كما عاش شيخهم، يعلمون كتاب اللـه، ويحررون النفوس من الخوف والطمع والجبن. ويحولون دون الانحراف والفساد، ويهيئون للجهاد أرضية صالحة وجوا ملائما، دون أن يتطلعوا يوما إلى جزاء مادي، أو ينتظروا من أحد شكرا وثناء.

# ( جـمال الـدين الأفـغاني )

## ( 1839 م 1897 م )

اختلف الناس في أصل جمال الدين الأفغاني فبعض الإيرانيين يرون أنه إيراني ولد في أسعد أباد، بإيران، وبعض الأتراك يرون أنه تركي ولد في أذربيجان. وبعض الهنود يقولون إنه نشأ في قرية ( شيروت ) ببلاد الهند، والشرقيون ينسبونه إلى بلادهم.

وليس الأفغاني أول وآخر من تنافس الناس في أصله بل أغلب العظماء الذين عاشوا حياتهم سائحين متجولين، للدراسة ونشر العلم والإصلاح كانوا مثار التنافس.

والراجح أن جمال الدين الأفغاني ولد في قرية ( أسعد أباد ) وأبوه ( صفتر ) من سادات الأفغانيين يصل نسبه إلى الترمذي المحدث المشهور.

وأجمع المؤرخون على أن الأفغاني قد توفرت له مواهب عقلية، وصفات أخلاقية قلما توفرت في شخص واحد، فهو قوي الإيمان بالله، مستقيم الضمير، سليم القلب، شديد الاعتزاز بكرامته، جريء مقدام، أبي النفس، عالي الهمة. يضاف إلى ذلك أنه كاتب بارع، وخطيب مفوه، ومجادل مقنع، كل هذه الصفات والمواهب جعلت له شخصية قوية، تتملك القلوب والعقول، وتستبد بالإعجاب.

وقد عاش الأفغاني كل حياته ثائرا على الظلم والجور لايطمئن له بال ولايستقر له قرار، فكأنه لم يخلق إلا لمحاربة الظلمة والمستبدين في الأرض.

وقد تجول* في مختلف البلدان والأقطار وغايته دائما بذر البذور الصالحة للإنبات، واجتثاث النباتات الفاسدة فزار بلاد العرب ومصر وتركيا و أقام بالأفغان وفارس والهند والعراق وسافر إلى أكثر من عواصم أوروبا للاطلاع ومخالطة رجال العلم والأدب والسياسة.

وكان الأفغاني يفيض قوة ذاتيه، وسحرا فطريا. فكل بلد يحل فيه يبعث فيه حركة؛ ويلهب حماسا؛ ويثير في بعض الصدور سخطا وحقدا. وفي بعض الأخرى رضا ومحبة.

واستطاع الأفغاني بمواقفه البطولية وخطبه الملتهبة. وأسلوبه المنطقي النفاذ أن يوقظ النفوس النائمة. ويغزو القلوب المغلقة. ويزعزع العروش القوية.

خطب مرة في الأسكندرية قبل خلع الخديو إسماعيل فقال :

( أنت أيها الفلاح المسكين. تشق قلب الأرض. لتستنبت ماتسد به الرمق، وتقوم بأود العيال، فلماذا لاتشق قلب ظالمك لماذا لاتشق قلب الذين يأكلون ثمرة أتعابك. ).

وخطب في المصريين يستثير فيهم معالى العزة والقومية

( لوكان في عروقكم دم وفي رؤوسكم أعصاب تتأثر. فتثير النخوة والحمية. لما رضيتم بهذا الذل. ولما قعدتم على الرمضاء. وأنتم تضحكون ... تناوبتكم أيدي الغزاة من كل جنس وأنتم كتقطع الصخر الملقاة في الفلاة لاصوت لكم ولاحس ).

وخاطب الهنود في بلادهم وقال :

( يأهل الهند ... وعزة الحق. وسر العدل. لوكنتم - وأنتم تعدون بمئات الملايين - ذبابا مع حاميتكم البريطانية ومن استخدمهم من أبنائكم فحملتهم سلاحا لقتال استقلالكم واستنفاذ ثروتكم وهم ( البريطانيون ) لايتجاوزون في مجموعهم عشرات الألوف لكان طنينكم يصم آذان بريطانيا العظمى. ولو كنتم أنتم مئات الملايين من الهنود وقد مسخكم اللـه فجعل كل واحد منكم سلحفاة وخضتم البحر واحطتم بريطانيا لجررتموها إلى القعر وعدتم إلى بلادكم أحرارا ).

وعندما نفى من مصر إلى تركيا بسبب دعوته القوية المؤمنة إلى الإسلام

الصحيح استقبله السلطان عبد الحميد في قصره وقف هذا الأخير بخوف من الأفغاني وخشى أن يقول قولة حق في حكم السلطان المتداعي فقال له :

لماذا ياشيخنا ـ لاتذهب إلى اليابان مثلا لتدعو أهلها إلى الإسلام والقوم هناك يبحثون عن دين ؟ فأجابه الفيلسوف الثائر :

هل أذهب إلى اليابان أدعو أهلها إلى الإسلام كما يجب أن يكون ؟ أم أدعوهم إلى الإسلام الذي يطبق في البلاد الإسلامية ؟.

فتعجب السلطان عبد الحميد من هذا السؤال فقال :

حدثني ـ ياشيخنا ـ عن الفرق. وحدثني عن العلاقة بين هذا القول وبين دعوة أهل اليابان إلى الإسلام فأجاب الأفغاني :

لو دعوتهم إلى الإسلام كما يجب أن يكون. فسوف يقولون : ( إذهب يارجل وادع قومك إلى هذه المبادىء فإن اتبعوك. فتعال وادعنا إلى هذا الدين ...

وإذا أنا دعوتهم إلى الإسلام المطبق في بلادنا فلسوف يقولون إنهم في غير حاجة إلى هذا الدين. وخير لهم أن يبقوا كما هم ... بغير دين ...

فبهت السلطان وحول مجرى الحديث ...

وهكذا عاش الأفغاني حياته ثائرا على الأوضاع الفاسدة. داعيا إلى الإصلاح متحديا أهل الظلم والتعسف والاستبداد. مجاهدا في سبيل حرية الإنسان وكرامته. غير مبال بما يلاقيه من ضروب البلاء والأذى حتى توفي منفيا في استنبول في 9 مارس 1897 فرحمه الله.

# ( الشـــيخ مـحمد عــبده )

## ( 1849 م 1905 م )

هو محمد عبده بن حسن خير اللـه، علم من أعلام النهضة الإسلامية، وقائد من قادة الفكر العربي، ووطني مخلص أعطى الوطنية حقها ...

ولد بـ ( محلة نصر ) مركز شبراخيت، مديرية البحرية سنة 1849 م وبها نشأ وترعرع، وقد ظهرت في طفولته مخائل النباهة والنجابة، ودلائل العبقرية والنبوغ، وبرع بين أقرانه الصبيان في السباحة والفروسية ولعب السلاح، واستبد بمشاعره جمال الطبيعة في الريف فكان يحن إليه حتى شيخوخته ...

تعلم القراءة والكتابة في بيت والده ثم انتقل إلى المسجد الأحمدي بطنطا في الثالثة عشرة من عمره، وبعد عامين قضاهما في الدرس أخذ في تفهم أسرار اللغة العربية وقواعدها ...

بيد أن النجاح لم يصادفه في محاولته الأولى وقد قال في ترجمته عن نفسه :

( وقد وقع لي سنة ونصف لاأفهم شيئًا لرداءة طريقة التعليم، فإن

المدرسين كانوا يبادئوننا باصطلاحات فقهية أو نحوية لانفهمها ولاعناية لهم بتفهيم معانيها لمن لم يعرفها )[1].

وطريقة التعليم التي يشير إليها جامدة عقيمة تعتمد أساسا على حشو الفكر بأنماط مشوشة من المعلومات النحوية والتدقيقات اللفظية، والخلافات المذهبية، التي ترهق العقل وتعوقه عن النمو والتفتح، ولذا ضاق الإمام بها، ورغب عنها، ولم ير أية فائدة من ممارستها ...

وإذا كان والده قد أكرهه على الرجوع إلى هذا المعهد بدافع من عاطفة الأبوية فإنه فر في الطريق ... واختفى عند بعض أقاربه في ( كنيسة أورين ).

وفي القرية هيأ اللــه له رجلا مسلما متصوفا إسمه ( الشيخ ) فاستمال قلب ( محمد ) إليه وقرأ له نصيبا بأسلوب سهل، وعبارة مشرقة، وطريقة جذابة، وأفهمه شيئا من القرآن الكريم.

ركن إلى الشيخ ركونا عجيبا وانشرح له صدره، إلى حد أن ملله من الدروس صار نشاطا، ويأسه من العلم أصبح رغبة فيه، واقبالا عليه. وفراره منه تحول إلى شوق إليه وحرص عليه.

استأنف ( محمد ) طلبه للعلم بهذا المعهد ولكن بعزم قوي، وروح جديدة، ونفس متفتحة متطلعة، وقد حدث ( محمد ) عن هذا الشيخ وقال :

( ولم أجد إماما يرشدني إلى ماوجهت إليه نفسي إلا ذلك الشيخ الذي أخرجني في بضعة أيام من سجن الجهل إلى فضاء المعرفة، ومن قيود التقييد إلى إطلاق التوحيد )[2].

وهيأ اللــه له نخبة من الأساتذة إستطاعوا أن يضاعفوا رغبته العلمية. ويعينوه على مواصلة المسيرة كان في طليعتهم الشيخ حسن الطويل الذي اشتهر بحب الفلسفة والحكمة. والأديب الأستاذ محمد البسيوني الذي اشتهر بالفصاحة والذوق الرفيع ...

وفي الأزهر استلفت أنظار الطلبة والأساتذة بذكائه الفطري. ونشاطه المرموق، وقريحته الفياضة وعبقريته الملهمة. وطبعه المرن الذي يطلب التجديد.

---

(1) المنار 8 ص 381

(2) الإسلام والتجديد ص 25

ويأنف التخلف ...

وفي سنة 1871 م وفد إلى مصر فيلسوف الإسلام وإمام النهضة وبطلها ( جمال الدين الأفغاني ) وكان ( محمد عبده ) قد ناهز الثلاثين وتولى ( جمال الدين ) تدريس المنطق والفلسفة بالأزهر، فكان بين التلاميذ النجباء الأفذاذ، يرتوي من علمه، ويستضيء بنور حكمته، وما هي إلا فترة وجيزة حتى كان المتفوق بين الأقران علما وعزما وشخصية ... وحسبه كلمة أستاذه ( جمال الدين الأفغاني ) يوم توديعه لمصر :

( لقد تركت لكم الشيخ محمد عبده وكفى به لمصر عالما )[3].

وكان صوت الإمام الجهوري الجريء أول صوت ارتفع في مصر يدعو في غير تردد أو خوف إلى نشر العدالة الاجتماعية بين مختلف الطبقات الإنسانية ...

وكان للإمام شخصية خاصة يمتاز بها عن العلماء الأزهريين :

يعرف اللغة الفرنسية، ويسيح في البلاد الأفرنجية، ويراسل أعلام الفكر الغربي في عصره ويشترك في الجمعيات الخيرية، ويجمع المال للفقراء والمساكين، ويفسر القرآن الكريم بطريقة عصرية جديدة ويدافع عن الإسلام بحجة العقل والمنطق، ويحارب المتعصبين المتنطعين بأسلوب قوي قاهر، ويتابع باهتمام ماتنتجه قرائح المفكرين الغربيين.

أما مواقفه القوية التي تصور شجاعته، وعمق إيمانه، ورسوخ عقيدته، وغيرته على الحق والدين فمشهورة ذائعة يرويها التاريخ في زهو وكبرياء :

يخاصم خديو مصر خصاما عنيفا حتى إن الخديوي كان يقول عنه :

( إن هذا الرجل إذا دخل علي فكأنما هو فرعون ).

حدث مرة أن أصدر الخديو عباس الثاني شفويا إلى الشيخ الأزهر بأن يوجه كسوة تشريف من الدرجة الأولى إلى شيخ لم يكن من كبار العلماء، وإنما كان الإمام الخاص للخديو، فلم ينفذ هذا الأمر لمخالفته لقرار مجلس إدارة الأزهر، مما أدى إلى استياء الخديو.

فلما جاء موعد ( التشريفة الخديوية ) انتهزها الخديو فرصة فقال لشيخ الأزهر بلهجة التأنيب :

---

(3) الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة للدكتور محمد الفقي ص271.

ألم آمرك بتوجيه كسوة إلى فلان ؟

فتلعثم شيخ الأزهر. ولم يدر بماذا يجيب. فما كان من محمد، إلا أن تطوع بالجواب، فقال مخاطبا الخديو بصوت الشجاع الذي لايهاب الحق : ( إن القرار الذي اتخذه مجلس إدارة الأزهر في هذا الموضوع هو التنفيذ لأمر الخديو، لأنه مقتضى مانص عليه القانون المتوج باسمه. فإذا شاء أفندينا أن يكون منح كساوي التشريف العلمية بمقتضى إرادته، فليصدر بذلك قانونا جديدا ينسخ القانون القائم ).

فاحمر وجه الخديو غضبا عندما سمع هذه الإجابة، ووقف إيذانا للحاضرين بالانصراف[4].

وهكذا عاش محمد عبده خادما للإسلام، رافعا للواء القيم الروحية، ناصرا للحق أمام بطش القوة الغاشمة، مقاوما للبدع المذمومة، حتى توفي رحمه اللـه عام 1905م.

(4)عن دراسة للدكتور عثمان امين، دائرة معارف الشعب 1959

## ( الشـــريف الإفـــليسي )

**( 1256 هـ  1335هـ )**

هو العالم السلفي، التقي الصالح، الورع الزاهد خادم القرآن الكريم، الشيخ شريف الإفليس ( البحري ) شقيق المجاهد الشيخ الطيب الافليس الذي مات بسجن الحراش في الحرب السبعينية، ودفن بمقبرة تدعى بإسمه ( مقبرة الشيخ الطيب ) وجد الشيخ طاهر الذي استشهد سنة 1957 م، وسمي بإسمه المسجد بمدينة ( تغزيرت ) البحرية ...

ولد عام 1256 هـ بقرية تدعى ( تسليلين ) على بعد 27 كم من مدينة تيغزيرت، وكانت كبرى أمنيات والده أن ينشأ نشأة إسلامية عالية تعده خير إعداد لخدمة الإسلام والمسلمين فتحقق له ماتمنى.

نشأ في أسرته الشهيرة بالتدين والثقافة الإسلامية وحب الوطن والجهاد في سبيله والاعتزاز بأمجاده التاريخية - نشأة صالحة تعد كل من عرفه بمستقبل له شأنه ...

حفظ في البيت نصيبا من القرآن الكريم مع إلمام بمبادىء العربية، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ منصور ببني جناد قرب عزازقة ( بلدية الأحد الآن ) فأتم حفظ القرآن الكريم وأتقنه رسما وتجويدا على الشيخ محمد السعيد الداوي وهو

من الفقهاء المشاهير ...

ثم انتقل إلى زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي التي أصبحت الآن معهدا لتخريج الأئمة. وكانت أرقى الزوايا بالجزائر ماديا و أدبيا اشتهرت باستقلال طلبتها في شؤونهم المختلفة. وحرصهم على اختيار الشيوخ الأجلاء للتربية والتعليم بها. فأقام بها مدة قضاها في دراسة العلوم الدينية واللسانية على العالم الفقيه. الشيخ السعيد الزلالي ...

كما درس الشيخ الأفليسي على العلامة الفقيه الفرضي الشيخ القاضي الصدوقي بقرية ( إمحفوظن ) وختم عليه الفقه بمختصر الشيخ خليل ثلاث مرات فأذن له بالتدريس بإشعار من الشيخ الحداد المجاهد البطل صاحب الزاوية المشهورة باسمه في صدوق.

وانتصب الشيخ الإفليسي للتربية والتعليم والتوجيه الديني والفتوى في زوايا مختلفة كان فيها جميعها مضرب المثل في الجهاد العلمي والتربوي. والاعتزاز باللغة العربية، والتفاني في حب الخير ونشره بين الناس. والدعوة إلى الإسلام الصحيح ونبذ ماألصق به من بدع وخرافات كل ذلك بالحكمة وفي تواضع العلماء العارفين.

وقد تولى التدريس بالزوايا التالية :

زاوية الشيخ أحمد زروق في بني وغليس ( 3 ) سنوات.

زاوية بوخالفة بناحية تيزي وزو ( 4 ) سنوات.

زاوية الشيخ عمرو الشريف بناحية دلس ( 12 ) سنة.

زاوية الشيخ على موسى ( 4 ) سنوات.

زاوية الشيخ أبو بكر بناحية تغزيرت ( 5 ) سنوات.

زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي ( 13 ) سنة.

وقد نفع الناس بعلمه وتربيته وسلوكه، وتخرج عليه شيوخ أجلاء، ومريدون أتقياء، انتشروا عبر المنطقة يجاهدون في سبيل اللـه، بتحفيظ كتابه، وتعليم شريعته، ونشر هدايته، والإصلاح بين عباده. والحرص الدائم على أن يكونوا قدوة طيبة يقتدي بهم غيرهم، ويعلموا الناس بسلوكهم أكثر مما يعلمونهم بدروسهم كما كان يوصيهم شيخهم.

وللشيخ الشريف الإفليسي مع مااشتهر به من العلم والتقوى والصلاح شجاعة أدبية، ووطنية صادقة، وغيرة دينية. وهي العوامل الأساسية التي تجعل

الإنسان يكره الظلم ويمقت أهله. ويبغض الضيم ولايحتمله لنفسه. ولايطيق أن يرى ظلما دون أن يثور ويصرخ ويحاول مااستطاع أن ينكره ... ويقاومه.

وهكذا كان الإفليسي وكان مع ( قائد ) الدوار ( سعيد آيت عبد الله ) الذي كان لفرنسا عبدا مملوكا ينفذ أوامرها. ويلبي رغباتها. ولو كان فيها مايسخط ربه، ويضاعف آلام الناس وأسقامهم ...

وكان ظالما مستبدا فظا غليظا، راحته في رضا أسياده وغايته أن يكون خادما مطيعا، ويظل على الدوام يأمر وينهي، يتعود ويتهدد. ويبني حياته على عرق الناس وكفاحهم من أجل العيش ...

وكان الشيخ الإفليسي ينعى على القائد هذا الطغيان ويندد بهذا السلوك الذي لاينم إلا عن قلب مريض ونفس مغرورة وهمة سافلة.

وكان الشيخ يقول في جموع ممن يفدون عليه في بيته. يزورونه ويكشفون له عن تذمرهم واستيائهم إن ( القائد ) يسيء إلى نفسه بإعلانه الحرب على اللـه تعالى أكثر مما يسيء إلى الناس

وكان ( القائد ) لايخاف من أحد خوفه من الشيخ. لأنه الوحيد الذي يواجهه بنقد لاذع، ويصارحه بمهمته الحقيقية عند فرنسا. ويبصره، بما ينتظره في الآخرة من العقاب لو كان الأعمى يبصر ...

واشتد النزاع بينهما يوما في ملإ من الناس وقال له الشيخ :

إن أيامك المعدودة التي تشبه في حلكتها وقصرها أيام الخريف تنحدر بك إلى القبر، وسوء عملك جعلك تعيش غريبا عن مجتمعك وأنت بين أفراده. وعدوا له وأنت أحد أبنائه ...

يخيل إليك من فرط الصلف، وغرور النفس. أنك عظيم لأنك تملك منزلا فخما، وحصانا مطهما، ومرتبا ضخما. ولك المقعد المرفوع، والصوت المسموع. والكلمة النافذة، ولو سألت أبناء دوارك بل أبناء قريتك عن مكانتك ، وقيمتك وصدقوك القول لأجابوك بلهجة المحنق الموتور بأن مكانتك مكانة من ظن أن اللـه رفعه عن مستوى البشر وهو في الواقع دونهم. وقيمتك قيمة من لم تبق فيه إلا الغرائز السافلة تتخبط به في الوحل يستخدم السلطان لقهر الأبرياء العاجزين ...

فاستطير ( القائد ) غضبا وصار كالحيوان المسعور مما سمعت أذناه وقال : لقد تجاوزت الحد أيها الشيخ، أغرك مني حلمي وتجاوزي عن مواقفك

المتهورة وتصرفاتك الفوضوية ؟ واللـه لأسودن أيامك وأجعلك تتمنى الموت ولاتجده وتسعى - لاهثا - ورائي لتنال رضاي فلا تجد أمامك إلا طريقا مسدودا، وبابا مغلقا.

فقال له الشيخ في لهجة المؤمن الواثق بربه :

إن من باع نفسه للشيطان والاستعمار يفعل ذلك وأكثر ولكن ثق أن اللـه تعالى ( يدافع عن الذين آمنوا وأرجو أن أكون منهم، أما سعيي وراءك لاهثا فأنت تعلم أنه لن يكون إلا إذا مسخت فصرت من ( فصيلتك ).

ومنذ ذلك الحين وقائد الدوار يعاكس الشيخ ويضايقه ويشي به مما سبب له متاعب عند السلطة الفرنسية، ولكن الشيخ ظل أقوى من أن يذل، وأكبر من أن يخضع، يواصل رسالته مهما يلاقي من مضايقات وينكر المنكر، ويهاجم الظالمين المستبدين، ويحارب البدع و المبتدعين، وينفر من معرة الركون إلى المستعمرين وأعوانهم حتى توفي بزاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي سنة 1335 هـ ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه ( تمليلين ) حيث ضريحه ...

أما قائد الدوار ( سعيد آيت عبد اللـه ) فلم يمت حتى رأى في نفسه مالم ير في غيره :

يشتهي الطعام فلا يستطيع تناوله، يرغب في النوم فلا يقدر أن يضع جنبه على الفراش آلام حادة تفري نياط قلبه، ورعب من الموت يزلزل كيانه، وأهله من حوله ينتظرون ساعة موته للتخلص من عويله وصياحه وخدماته المملة.

ومات بعد أن أصبح الموت أمنيته الوحيدة وغيبته حفرة بمقبرة القرية فلم يعد أحد يذكره إلا بسوء أعماله أما الشيخ الإفليسي فلم تستطع الحفرة التي وضع فيها أن تغيب إلا جسمه أما مواقفه وجهاده واستعصاؤه على الخضوع والإنحناء فإن ذلك سيظل ترده الألسن وتخفق به القلوب ويعمل عمله في مجاريى الدماء من أهل المنطقة ...

# ( سعـــدون الســـويحلي )

## ( 1924 1893 )

هو سعدون بن الشتيوي بن أحمد السويحلي أحد أبطال ليبيا المغاوير، وعنوان بارز في سجل النضال العربي والإسلامي، ولبنة قوية في صرح الجهاد من أجل الحرية والاستقلال.

ولد سعدون بمنطقة ( أم البخور ) بمدينة مصراتة، سنة 1893 وكان والده مضرب المثل في الشجاعة والفروسية ودرج سعدون في بيت عمدته الفارس الشجاع، والكريم المقدام، فنشأ شجاعا محبا للفروسية، وظهرت عليه مخائل النجابة والعناد والإصرار منذ صباه.

وانخرط في سلك التعليم بزاوية الجغبوب فدرس المبادىء العربية والدينية ولكن سعدون لم ترقه حياة الدراسة الرتيبة، ولم يوافق مزاجه جو الزاوية الذي لايليق إلا بالعباد والمعتكفين، وهو شاب يتوثب فتوة وحيوية ونشاطا، فغادر الزاوية وراح يمارس أنواعا من الرياضة، كركوب الخيل، والرماية، والسباحة، ولعب الكرة ...

ولم تمض إلا مدة قصيرة حتى اشتهر بالفروسية، وصار مضرب المثل ومفخرة الأقران في الرماية وركوب الخيل وقد بدأ حياته النضالية في شهر مارس سنة 1915 عندما ألقي عليه القبض من طرف السلطات الإيطالية وسيق إلى مدينة

طرابلس مكبلا بالحديد تسيره فرقة من البوليس بأعقاب البنادق، وفي حملة وقحة من السخرية والسباب وظل سعدون في الزنزانة بسجون طرابلس وإيطاليا ثلاث سنوات من 1915 إلى 1918 عندما وقعت اتفاقية الصلح بين حكومة المقاومين وإيطاليا.

وبعد مدة من الكفاح البطولي المرير الذي يخوضه الشعب الليبي برز سعدون بطلا مغوارا يخوض المعارك بعزم فولاذي لايعرف اللين، وإيمان قوي لايعرف التردد، وبجرأة نادرة لايساورها فتور ولايخامرها ضعف ... والتف حوله كل القطاعات المناضلة بعد أن استشهد القائد البطل رمضان السويحلي، وتولى قيادة المعركة فكان لشخصيته القوية، وإرادته الحازمة، وموهبته العجيبة في التخطيط الحربي وقع رهيب في نفوس الأعداء، جعلهم يتخيلون شبحه في كل مكان، ويرتاعون من اسمه لمجرد ذكره ... وظل يخوض المعارك ببطولة نادرة وعقيدته هي عقيدة أسلافه المجاهدين الأبطال الذين يكتبون التاريخ بدمائهم، ( الموت في سبيل اللـه أعلى درجات الشرف، والحياة تحت ربقة الغاصب المحتل لؤم وذل وعار ).

و أتعب سعدون القوات الإيطالية بمدافعها وذخائرها وطائراتها. وجرب رجالها كل الوسائل التي يقدرون عليها ويظنون أنها تخلصهم من شبح ( سعدون ) الرهيب ... جربوا الخديعة والمخاتلة وجربوا الجواسيس ... وجربوا الذهب ... جربوا كل سلاح، وكل أسلوب، وكل وسيلة ... فلم يفلحوا ... تمنوا أن يظفروا بالبطل ( سعدون ) ليضعوا حدا لهذه الأسطورة العجيبة المقلقة التي أصبحت حديث المجالس، ولكن أنى لهم ذلك ؟ ومعارك ( سعدون ) تزداد ضراوة وشدة، وضرباته القاصمة الماحقة تلاحقهم في كل مكان ؟ والمجاهدون الليبيون لايزدادون إلا طاعة لسعدون واحتراما له وإعجابا به.

وفي 4 ماي سنة 1923 وقعت المعركة التاريخية الكبرى ( معركة المشرك ) التي سجل فيها المجاهدون الليبيون وعلى رأسهم ( سعدون ) أروع صفحة في تاريخ البطولة والفداء، ولقنوا الأعداء أقسى درس في المواجهة الصامدة، واسترخاص النفس في سبيل الحق.

زحفت قوات إيطالية بقيادة الجنرال ( مازتي ) وهدفها القضاء على سعدون وبالتالي على المقاومة الليبية ... وكانت هذه القوات كثيرة ومتشعبة حتى

( أنه يتجاوز طول الطوابير وعرضها أربع كيلومترات كما وصفها الذين شاهدوها وخاضوا هذه المعركة، أما القوة الوطنية فكان عدد أفرادها نحو ( 1400 ) مجاهدا».

وفي وادي المشرق دق الطبل، وصهلت الخيول، واندفع المجاهدون إلى ساحة النضال والتحم الفريقان في شدة وضراوة وكان البطل سعدون في المقدمة يلهب الصدور بتكبيراته، ويغلي الدماء بوثباته، وينادي بأعلى صوته ( وهو يوجه ضرباته القاضية إلى الأعداء : مزقوهم، مزقوهم. )

وتواصلت المعركة شديدة رهيبة من الصباح حتى ارتفاع صوت المؤذن بصلاة العصر، وسجل المجاهدون أروع آيات البطولة والاستبسال، وقتل عدد كبير من الإيطاليين واستشهد معظم الأبطال الليبيين في مقدمتهم القائد سعدون، وتخضبت الأرض بدمائهم الطاهرة، لتنبت غراسا طيبا زكيا.

# ( سـعد زغلـول )

( 1274 هـ 1346 هـ )
( 1857 م 1927 م )

سعد بن إبراهيم زغلول زعيم نهضة مصر السياسية وخطيبها المصقع.

ولد في قرية من قرى مديرية الغربية تدعى ( أبيانة ) وكان أبوه إبراهيم زغلول عميد بلدته ومن سراتها ... ووالدته ( مريم ) بنت الشيخ عبده بركات انحدرت من أسرة عريقة في مصر...

وأرخ لولادته صاحب ( الأعلام ) خير الدين الزركلي بـ 273 هـ وذكر الدكتور محمد كامل الفقي في كتابه ( الأزهر وأثره في النهضة العربية الحديثة ) ص 191 أن سجلات المواليد ليس فيها تاريخ لميلاد سعد، ولكنه ـــ أي سعدا ـــ ذكر لسائل له عن ميلاده أنه ولد في ذي الحجة سنة 1274 هـ ...

توفي أبوه وهو في الخامسة من عمره فتعلم في كتاب القرية حيث أتم حفظ القرآن الكريم ...

وامتاز ( سعد ) في صغره بين أقرانه بخلتين لزمتاه طول عمره وهما الفهم والعزم، فكان يصحح مايكتبه بعد قراءة واحدة، ويفرض على نفسه واجبا دون مايفرض المعلم ...

ودخل الأزهر سنة 1290 هـ فمكث به نحو أربع سنين واتصل بالسيد جمال الدين الأفغاني فلازمه ونهل من علمه وتأثر به تأثرا كبيرا ...

ويروى أن ( جمال الدين ) استكتب تلاميذه موضوعا في الحرية فتفوق سعد في تحريره وأعجب به جمال أيما إعجاب حتى قال :

( من علامة نشاة الحرية في هذه الأمة الا يجيد الكتابة فيها إلا ناشئي كهذا الفتى ...)

واشتغل بالتحرير في جريدة ( الوقائع المصرية ) مع الإمام محمد عبده 1298 هـ ونشبت الثورة العرابية سنة 1298 هـ فكان ممن اشعلوا نارها. وخاضوا غمارها.

وبهذه الثورة بدأ سعد جهادا يترجم إلى عمله عقيدته ووطنيته الصادقة وأمله الكبير في تحرير بلده.

وألقي عليه القبض عام 1299 هـ بتهمة الاشتراك في جمعية سرية قيل أنها تسعى لقلب نظام الحكومة فسجن شهورا ...

وحصل على إجازة الحقوق فاشتغل بالمحاماة سنة 1301 هـ ثم اختير قاضيا، فمستشارا، ووزيرا للمعارف فوزيرا للحقانية. فوكالة رئاسة الجمعية التشريعية، وانتخب رئيسا للوفد المصري للمطالبة بالإستقلال سنة 1337 فنفاه الإنجليز إلى مالطة في 8 مارس سنة 1919م فأصبح اسمه رمزا للنهضة القومية. وعاد من المنفى.

ثم نفي إلى جزائر ( سيشل ) 1922 م وتولى رئاسة مجلس الوزراء 1924 م ورئاسة مجلس النواب سنتي 1925 م - 1926 م وتوفي بالقاهرة سنة 1927 م.

ولكن ( سعدا ) - شأن عظماء التاريخ، وزعماء الأمم المخلصين - لم يمت بانقضاء أجله، وتغيبه في قبره بل ظل وسيظل حيا بجلائل أعماله وعظائم مواقفه، وخوالد خطبه، ومشعلا ينير الطريق، ورمزا للوطنية والغيرة على العروبة والإسلام، يحرك العواطف، ويوقظ القلوب، ويستنهض الهمم، ويطلق الألسن والأقلام ...

قال المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيات حينما نقل رفات ( سعد ) إلى الضريح الرسمي سنة 1936م :

( وسر الجلالة العظمى في ( سعد ) أنه كان وهو حي يمثل كبرياء الشعب. ثم أصبح وهو ميت يمثل سلطان الأمة كان يمثل كبرياء الشعب لأنه خرج منه ونبغ فيه فكان حجة له على كبرائه، الذين كانوا يتأبهون عنه، ويلمزونه بالضعة وينبزونه بالفلاحة، ثم عاد يمثل سلطان الأمة لأن جهاده الباسل بها ولها جعل اسمه رمزا للإستقلال، وعلما على الدستور، و عنوانا على الديمقراطية، فمظاهر الفرح المستطير، أو الحزن المرمض أو العزة المستطيلة، التي أعلنها الشعب يوم خرج من معتقله، أو رجع من منفاه، ويوم الإحتفال بوفاته أو بنقل رفاته، كانت مظاهر صادقة لعواطفه المتحدة، صدرت عنه بدافع من نفسه، وباعث من شعوره، لأن ( سعدا ) لم يعد رجلا محدود الوجود بذاته ومميزاته ورغائبه، وإنما أصبح معنى مقدسا من معاني الشمول يختصر في نفسه خصائص جنسه ويجمع في قلبه أماني شعبه، فهو عمل يخفق بالأمل. ومناعة تشع بالهداية، ورسول من رسل القيادة الذين يبعثهم اللـه إلى الناس في متاهة السبل، وضلالة النفوس، فيكونون رمزا لرجاء الإنسان في اللـه، ومثالا لرحمة اللـه بالإنسان )[1].

وإذا كانت مواقف ( سعد ) البطولية، وأعماله الكفاحية التي لم يفتأ يسجلها التاريخ في صفحاته البيضاء منذ أن بدأ صوته الحر يدافع عن الحرية - إذا كانت كثيرة لاتعد فحسبنا منها موقفه من الجنرال ( كلايتون ) مستشار الداخلية، ذلك الموقف التاريخي الذي لاتمحوه الأحداث وتعاقب السنين، وخلاصته أن ( سعدا ) أتعب الإنجليز بخطبه الثائرة، وصيحاته المدوية، ومواقفه المزلزلة، فأرسل إليه الجنرال المذكور هذا الخطاب :

إلى صاحب المعالي سعد زغلول باشا القاهرة :

أتشرف بأن أبلغكم أني تلقيت من ( الفيلد مارشال ) : القائد العام ... تعليمات : بأن أبلغ معاليكم الأمر التالي :

يحظر على سعد زغلول باشا بموجب الحكم العرفي، أن يخطب في الناس ... أو أن يشهد اجتماعا عموميا ... أو أن يستقبل الوفود ... أو أن يكتب إلى الصحف ... أو يقوم بعمل من الأعمال السياسية ...

وعليه ... أن يغادر القاهرة بغير إبطاء، ويقيم في منزله في الريف، تحت

(1) الرسالة يونيو سنة 1936 ع 156.

مراقبة المدير !!! وأتشرف أن أكون خادمكم المطيع !!!

ولكي تتصور - قارىء الكريم - خطورة هذا الخطاب، ومايجر من سوء العواقب لسعد إذا لم يطع الأمر ينبغي أن تتصور جبروت الطغاة السحتلين في ذلك العهد ...

ولكن ( سعدا ) البطل أراد أن يسجل للحركة الوطنية وللزعماء الأحرار صفحة مشرقة في تاريخ مصر وأن يدفع بالعجلة إلى الأمام وإن كلفه ذلك ماكلفه: فرد الجواب إلى المستشار الإنجليزي :

جناب الجنرال ( كلايتون ) مستشار وزارة الداخلية :

أتشرف بإخباركم ... أني استلمت خطابكم بتاريخ اليوم الذي تبلغونني فيه أمر جناب ( الفيلد مارشال اللنبي ) بمنعي من الاشتغال بالسياسة. وإلزامي بالسفر إلى منزلي بالريف بلا تأخير للإقامة هناك تحت مراقبة المدير، وهو أمر ظالم احتج عليه بكل قوتي ... إذ ليس هناك مايبرره !!!

وبما أني موكل من قبل الأمة للسعي في استقلالها، فليس لغيرها سلطة تخليني من القيام بهذا الواجب المقدس !!!

ولهذا سأبقي في مركزي مخلصا لواجبي، وللقوة الغاشمة الظالمة أن تفعل بنا ماتشاء : أفرادا و جماعات !!! فإنا جميعا مستعدون للقاء ماتأتي به !!! بجنان ثابت .. وضمير هادىء ... علما : بأن كل عنف تستعمله ضد مساعينا المشهورة، إنما يساعد البلاد على تحقيق أمانيها في الاستقلال التام ( سعد زغلول رئيس الوفد المصري ).

هكذا كان الزعيم البطل ابن الفلاح قوي الإيمان بالله، لاتزعزعه العواصف العاتية، والأعاصير المزمجرة ... وذلك هو ( سعد ) العظيم الذي كان من الشعب وظل طوال عمره مع الشعب، وسيظل مع الشعب :

موضع قداسته، ومثار إعجابه، وتقديره، ومثالا يقتدى به وتترسم خطاه ...

# ( عــبد الــعزيز جــاويش )

( 1293 هـ　　1347 هـ )
( 1876 م　　1929 م )

في منتصف القرن الماضي مر بالإسكندرية رجل مغربي ( تونسي ) قاصدا أداء فريضة الحج، وعند عودته نزل بنفس المدينة؛ وكانت بها جالية مغربية كثيرة نجح كثير من أفرادها في التجارة؛ فرحبت به وأكرمته وقضى بينهم أياما طابت فيها نفسه، واطمأن قلبه.

ثم رأى أن يستقر في هذا البلد العربي بين إخوانه المغاربة الذين حببوا إليه الإقامة، فافتتح متجرا في سوق المغاربة بالمدينة قدر له فيه النجاح والتوفيق ...

ثم تزوج امرأة أنجب معها ولدا وبنتا ثم توفيت، وتزوج بثانية فأنجبت له خمسة بنين، وبنتين كان أوسطهم ( عبد العزيز ) العالم المصلح، والمفكر الإسلامي الكبير، و ذلك في 31 أكتوبر سنة 1876 م.

نشأ عبد العزيز نشأة جمعت بين تحصيل العلم والتدرب على العمل في متجر والده فحفظ القرآن الكريم وجوده في مكتب بالقرب من المتجر، ثم تلقى بعض العلوم الشرعية واللغوية في جامع ( نير ).

وعندما احتل الإنجليز مدينة الإسكندرية في 14 سبتمبر سنة 1882 وهاجر

سكانها فرارا من بلاء المحتلين، استقرت أسرة، ( عبد العزيز ) في ( مريوط ) وهناك كان يقضي جل وقته في إشباع نهمه في العلم والمعرفة بالدرس والمطالعة ...

ولما عادت أسرته إلى الإسكندرية بعد انتهاء الثورة العرابية استأنف دراسته على نخبة من رجال العلم الذين أولوه رعاية زائدة لما لمسوه فيه من ذكاء ونباهة، وجد في تحصيل العلم مع مالاحظوه فيه من كرم الأخلاق، ونبل النفس، والتمسك بالدين ...

ثم سافر إلى القاهرة والتحق باالأزهر حيث أقبل على الدرس والبحث والمذاكرة بنفس لاتعرف الملل فكان يقضي وقته - منذ الفجر إلى العشاء - في الدرس والمطالعة قانعا من الطعام بأيسره، ومن النوم بالقليل.

ثم انتظم في سلك دار العلوم فقضى فيها أربع سنوات كان من خلالها مضرب المثل في الاجتهاد واستقامة السلوك ...

ثم سافر في بعثة إلى جامعة ( برورود ) في انجلترا فدرس عادات الإنجليز وتقاليدهم وأخلاقهم وأجاد لغتهم، وأدرك اتجاهاتهم السياسية الخارجية في مصر خاصة والشرق الأوسط عامة، وعرف عنه أنه احتفظ بزيه في هذا البلد مع الإعتزاز به، وكان يحرص على أداء الفرائض الدينية، ويدعو زملاءه وأصدقاءه المسلمين إلى التمسك بالإسلام والاحتفاظ بالأخلاق ...

وعاد ( عبد العزيز جاويش ) من إنجلترا إلى مصر سنة 1901 وقد تزود من علوم الغرب الحديثة واكتسب شخصية قوية، وتجارب خصبه، وعين أثر عودته مفتشا في وزارة المعارف، ثم معلما لأدب اللغة العربية وعلوم الدين ...

وبما أنه كان رجل الوطنية الصادق، ورجل الدين الواعي الجرىء الذي لايرضى بالدون والهوان، ولايقبل الخضوع والانحناء أبعدته السياسة الإنجليزية عن مصر وآثرت أن يرسل إلى جامعة ( أكسفورد ) بإنجلترا عله هناك يعدل عن طريق المقاومة الوطنية ...

ولبث في هذا المنصب الجديد ثلاث سنوات قضاها بين الإفادة والاستفادة لنفسه ووطنه، وقوي إتصاله بالزعيم الوطني ( مصطفى كامل ) وكان يرسل إليه من إنجلترا مقالات وبحوثا لينشرها في جريدته ( اللواء ).

وعندما توفي الزعيم ( مصطفى كامل ) حزن عليه حزنا شديدا ورثاه في جموع الشباب بقوله :

( إنكم جميعا - أيها الشباب - نسخ كثيرة عديدة للفقيد الراحل، فأنتم عزاء الوطن في فقد من فقد، ومن رآكم لم يخب أمله في مستقبل الأمة ).

وفي 2 مارس 1908 تولى الشيخ عبد العزيز تحرير ( اللواء ) وكتب كلمته الأولى يقول فيها :

( بعونك اللهم قد استدبرت حياة، زادها الجبن وخور العزيمة، ومطيتها الدهان والتلبيس، في أسواقها النافقة تشتري نفيات النفوس، بزيوف الفلوس، وتباع الذمم والسرائر بالإبتسام وهز الرؤوس، وبيمنك اللهم استقبل فاتحة الحياة الجديدة. حياة الصراحة في القول، حياة الجهر بالرأي، حياة الإرشاد إلى حياة الإستماتة في سبيل الدفاع عن البلاد العزيزة ...

استقبل هذه الحياة، بعد أن قضيت في سابقتها ثماني حجج. بلغت فيها ذلك المنصب الذي كنت فيه مابين محسود عليه ومرجو فيه، استقبل هذه الحياة المحفوفة بالمخاطر، منبريا في ميدانها، فإما إلى الصدر وإما إلى القبر )

وبدأ الشيخ جهاده الجديد بهمة عالية، ونفس كبيرة، وأمل واسع، وثقة في اللـه لاحد لها فكان يقاوم ضد الأوضاع الفاسدة: السياسية منها والثقافية والدينية والإخلاقية، وكان في كل ذلك متحرر الفكر، جريء الرأي، قوي الحجة. متفانيا في حب الوطن والمصلحة العامة لايخاف إلا اللـه، ولايسعى إلا في رضاه ...

وحمل ( جاويش ) حملات شعواء على الاحتلال والمحتلين وعملائهم فسيق إلى المحاكمة مرات. وسجن ستة أشهر لمقال كتبه عن حادثة ( دنشواي ) وثلاثة أشهر لكلمة قدم بها ديوان ( وطنيتي ) من نظم ( على الغاياتي ).

وهكذا ظلت حياة جاويش مقاومة للفساد، ومناصرة للحق، ومناهضة للباطل، ونشدانا لحياة أفضل، ورفضا للذل والاستخذاء حتى توفاه اللـه في شهر فبراير سنة 1929 م فخسر العالم الإسلامي رجلا قلما يجود بمثله الزمان ورثاه أمير الشعراء أحمد شوقي بقصيد رائع قال في مطلعه :

أصاب المجاهد عقبي الشهيد ... وألقى عصاه المضاف الشديد
وأمسى جمادا عدو الجمود ... وبات على القيد خصم القيود

ثم وصف جهاده وماحمله من أعباء وجهود في شبابه وكهولته، في وطنه

وخارج بلاده وقال :

طريد السياسة منذ الشباب ... لقد آن أن يستريح الطريد
لقيت الدواهي من كيدها ... وما كالسياسة داء بكيد
حملت على النفس ما لايطاق ... وجاوزت المستطاع الجهود
وقلبت في النار مثل النضار ... وغربت مثل الجمان الفريد

وجميل أن نختم كلمتنا عن هذا الرجل العظيم الذي خدم دينه وبلاده أجل الخدمات بصيحته الجريئة الخالدة في وجه الحكومة إثر الثورة العرابية إذ يقول مخاطبا ( القلم ) :

( أيها القلم، لو كنت سيفا لأغمدتك في صدور من يحاربونك؛ أوسهما لأنفذتك إلى أعماق قلوبهم، ولو كنت جوادا لوجدت لك في ميادين النزال مجالا للكر والفر، ولكنك ذلك العود الذي أيسر ماينال من عدوه أن يعالجه بالمبرأة فيشقه، وبالأصابع فيكسره، فليكن أيها القلم ماشاءوا لك :

إما نائما إلى حين؛ أو ميتا أبد الأبدين؛ فقد تركت عيونا لايغزوها النوم، وقلوبا لايملكها اليأس، وأيديا لاتخاف السلاسل والأغلال، وأرواحا تفدي الإستقلال ...).

# يـــوسف بـــورحيل

( 1932 . . . )

من تتبع معارك التحرير في العالم العربي ووقف على صفحاتها المشرقة في التاريخ وجد روادها وأبطالها ممن تأصلت فيهم روح الدين الإسلامي بمفاهيمها الأصيلة الصادقة، وأبعادها العميقة.

ومن ذا الذي ينكر أن ثورات المغرب العربي مثلا انبثقت كلها عن الروح العقائدية المتأصلة في نفوس قادتها وأبطالها ؟

تلك الروح التي صنعها الإسلام وغذتها الجامعة الزيتونية بتونس وجامع الأزهر بمصر وجامعة القرويين بالمغرب والزوايا المتعددة المنتشرة في مختلف هذه البلدان إلى حد أنه لاتخلو منها ناحية.

وبهذه الروح يستطيع المسلمون أن ينتصروا في كل واجهة يواجهونها لأنها القوة التي لايملكها العدو.. فقوة المسلمين في عقيدتهم وإيمانهم واستهانتهم بالحياة وحرصهم على الشهادة. وهذه القوى قد أفلست منها اوروبا فإذا أفلس منها المسلمون فلا جرم أن اوربا بقوتها المادية أحق بالنصر والسيادة منهم.

مرت بفكري هذه الخاطرة وأنا ممسك بالقلم لكتابة هذه الكلمة عن البطل الليبي الشهيد يوسف بورحيل ... ومن هو هذا البطل الذي لم يتخرج من مدرسة

أوكلية حربية ؟ غاية مانعرف عنه أنه من ( برقة ) ومن تلامذة الزواية ( سنوسية بجغبوب وكان من الأبطال المغاوير الذين قادوا معارك الجهاد ضد الإيطاليين بليبيا.

وعندما نفذ حكم الإعدام في البطل الخالد عمر المختار يوم 9 سبتمبر سنة 1931 م اجتمع المجاهدون للنظر فيمن يخلفه في القيادة فاتفقوا على أن يكون يوسف بورحيل الذي كان مستشارا للمختار.

وبالرغم من ثقل المسؤلية، وخطورة المهمة الملقاة على كاهله فإنه قد قبلها بكل عزم وحزم ..

وصار يوسف بورحيل يضرب أروع الأمثال في البطولة والتنظيم العسكري وكان يقف أمام الجموع الحاشدة من المجاهدين ويناشدهم الاستبسال حتى الموت في سبيل الله وفي سبيل الوطن ويخاطبهم في أسلوب قوي اللهجة عميق التأثير ينبع من قلب مؤمن يلتهب حماسا وحزما ويقول.

( لم يعد لكم إلا القتال والاستبسال، أما غذاؤكم فهذا النبات من الأرض وأما خبزكم الذي استحوذ عليه العدو فاغنموه. وأما سلاحكم فلابد من استعماله حتى ولو بقي بلا ذخيرة، سوف نضرب به كالعصى حتى نلقى الله. وما يخيفنا يأصحابي من الموت ؟ لقد مضى شيخنا عمر المختار ومضى سيدي الفضيل بوعمر وقبلهم وبعدهم ذهب الكثيرون من رفقائنا في لقاء سعيد بحثا عن الحرية ودفاعا عن الوطن.[1]

ومن مواقفه البطولية الرائعة أنه لما ضرب الحصار على المجاهدين وفقدوا كل عون وحيل بينهم وبين المواطنين واشتد بهم الحال حتى كان الرجل يتهاوى على الأرض من الضعف والجوع وقف بين كبار المجاهدين وقال لهم. ( لقد هاجر أحباب لنا من قبل، وإنهم لموزعون في السودان وفي مصر والشام والعراق والهند. ولقد قمنا بما يحتمه الجهاد المقدس وواجب الوطن العزيز، لم يبق اليوم جهد لنضال .. إن إيطاليا تسقط منشوراتها تدعونا للاستسلام. وإن إلقاء سلاحنا معناه الذل الأبدي ... أما الهجرة فهي إعلان عن استمرار صراعنا مع العدو ولعلها استعداد لمعركة قادمة).[2]

أما البطل يوسف بورحيل فإنه آثر الشهادة على الهجرة والحق بالمهاجرين

---

(1) مجلة (العربي) عدد ممتاز 74 يناير سنة 1965.

(2) نفس المرجع

إلى مصر رسالة يقول لهم فيها ( .. أما أنتم ياإخواني فشباب لكم في مصر أسر، ولكم في العمر براح، أما أنا فقد جاوزت الخامسة والستين ولا أرى أن هناك مدفنا يليق بي خارج هذا الوطن وفي غير هذا الميدان ..).[3]

وفي الأيام الأولى من شهر فبراير سنة 1932 صدر بلاغ ايطالي يقول :

(عندما انتهى إطلاق النار مع مجموعة من الثوار، تقدم نحوها السلازم ( بريندزي ) فوجد أربع جثث لم تزل بنادقهم حامية في قبضة أيديهم، وكان أحدهم يوسف بورحيل، وقد أظهر مع رفاقه الثلاثة بسالة حتى آخر دقيقة من حياتهم).[4]

وهكذا وضع البطل المسلم الفصل الختامي لحياته النضالية الماجدة الإستشهاد في سبيل الله وفي سبيل الوطن.

---

(3) نفس المرجع

(4) نفس المرجع

# الأمير خالد

**( 1875 1936 )**

هو خالد بن الهاشمي بن الحاج عبد الكبير حفيد الأمير عبد القادر الجزائري .. والزعيم السياسي الشهير .. ولد بدمشق الشام سنة 1875 وعنى والده بتربيته وتثقيفه، وإعداده خير إعداد لحياة الشهامة والبطولة.

فكان أنبغ أحفاد الأمير عبد القادر وأبرزهم.

وفي سنة 1892 عاد الأمير الهاشمي إلى الجزائر بنية الاستقرار واصطحب معه عائلته وأميره الصغير .. ومن الجزائر أرسل إلى باريز للدراسة بثانوية ( لويس لوغران ) ثم في كلية ( سان سير ) الحربية على نفقة الحكومة الفرنسية.

وفي سنة 1895 رجع الأمير خالد إلى الجزائر قبل اتمام دراسته، وكانت الدواوين السرية الفرنسية إذ ذاك قد لاحظت أنه سيىء الطوية والنوايا تجاه فرنسا مما جعل الإدارة الفرنسية تفرض عليه الإقامة الجبرية ببوسعادة.

ولكن الأمير تمكن من الالتحاق مرة أخرى ( بسان سير ) في باريس فأظهر تفوقا كبيرا في الفنون العسكرية وتخرج منها برتبة ضابط وخاض بهذه الرتبة معارك الحروب الفرنسية فكان فيها مثالا للشجاعة والإقدام، وارتقى إلى رتبة ( قبطان ) في عام 1908.

وإذا كانت قيادة الناس أصعب الفنون وأدقها وأشدها حاجة إلى المزايا والخصائص التي لاتتوفر إلا في القليل من الناس، فإن الأمير خالد كان ذا مميزات

شخصية هائلة فهو حفيد البطل الأمير عبد القادر، يجري في جسمه دم جده الثائر. ومؤمن صادق الإيمان، شجاع مقدام، شهم كريم، صريح إلى أقصى درجات الصراحة مما قد يثير انتقاده، خطيب مفوه باللغتين العربية والفرنسية له مقدرة عجيبة على الاقناع.

وبهذه الشخصية القوية برز الأمير خالد كأعظم شخصية في الحركة الوطنية الجزائرية خلال ( 1913 ـ 1919 ).

وبالرغم من الجو الجهنمي الذي تعيشه الجزائر اذ ذاك ـ فالحقوق معدومة، والمظالم مرهقة، والضرائب فادحة، والأحكام الزجرية قاسية قاهرة. وكلمة ( حقي ) تبوئي صاحبها في الزنزانة أو تقدمه طعاما إلى المقصلة ـ فقد كان الأمير شجاعا في مواقفه الوطنية لايخشى لومة لائم ولايقرأ أي حساب لما ينجر له من وراء موقفه من سجن أو عذاب أو موت.

فكان يطلق صيحاته المدوية مهددا منذرا، ولا ناصر له سوى ايمانه بحق وطنه، وشرعية نضاله، وأمله في الفجر الباسم الوضيء ان عاجلا أو آجلا.

ومن صيحات الأمير التاريخية التي أطلقها في وجه الاستعمار الفرنسي، قوله في جريدة ( الإقدام ) بتاريخ 23 مارس سنة 1923.

(إن الفرنسيين القاطنين بالجزائر ينتظرون بمرارة اليوم الذي سيرغمون فيه على شد أمتعتهم وحقائبهم للعودة إلى الوطن الأم .. فمستقبلهم غامض مجهول والأفق أمامهم ملبد بالغيوم والسحب والعاصفة على وشك الرعد والقصف على رؤوسهم وهم منذ الآن يتألمون ويتحسرون عليه، وقد حق لهم أن يتحسروا ويتالموا .. فأي شيء أعز عليهم وأي ألم أشد من مغادرة بلد كانوا يعيشون فيه عيشة الأمراء والأسياد في ثراء واسع بلا كد أو تعب تخدمهم أقوام وأمم من العبيد دون أمل في الرجوع يوما إلى ذلك الفردوس ؟).

وأمام هذه القنابل التي يفجرها الأمير على رؤوس المستعمرين لم يسع السلطات الفرنسية إلا أن تضيق عليه الخناق، وتعامله هو وأنصاره معاملة قاسية. فرأى أن بقاءه في الجزائر قد أصبح عديم الجدوى وأنه ربما استطاع أن يخدم وطنه بعيدا عنه فسافر إلى الشام وهناك ظل على اهتمامه بقضية وطنه حتى توفي في فيفري سنة 1936.

# محمد اقبال

## ( 1938 1877 )

هو الشاعر الكبير، الفيلسوف الإسلامي العظيم، محمد اقبال الذي وقف حياته لخدمة الفكر الإسلامي على هدى القرآن الكريم.

ولد في عام 1877، من أسرة برهمية الأصل اسلمت منذ قرنين وهاجرت من كشمير إلى البنجاب واستقرت بها.

وكان والده أنور محمد مشهورا بالصلاح والتقوى، ويذكر المؤرخون الذين اهتموا بحياة اقبال أن والده رأى في المنام طائرا يحلق في الفضاء على مقربة منه والناس يتدافعون إلى اقتناصه وما لبث الطائر أن هبط على صدر ( أنور محمد ) وبعد أيام ولد اقبال.

وكان اقبال منذ الطفولة الأولى صورة للذكاء والحيوية والنشاط، تلقى تعليمه الأول بمدرسة القرية وكان فيها مثالا للجد ..

ثم التحق بمدارس أخرى لمواصلة الدراسة .. وكان الأستاذ ( مير حسن ) صديقا لأبيه، وكان أديبا متضلعا في الآداب الفارسية والعربية .. توسم فيه دلائل النجابة والذكاء فشجعه على الدراسة وأوعز إليه يتوقع له من مستقبل علمي باهر، فسافر إلى ( لاهور ) ولحق بكلية الحكومة واجتاز امتحانا في الفلسفة وغيرها ..

وقد اتقن اقبال في دراسته اللغتين العربية والانجليزية ونال وسامين مع شهادة في الآداب ..

وممن تتلمذ عليهم اقبال المستشرق الكبير الأستاذ ( سيوتوماس رانولد ) أستاذ الكلية الإسلامية في ( عليكرة )، قد تفطن لاقبال وأدرك مواهبه هو الآخر فوجهه توجيها صالحا واستحث همته وشجعه على نظم الشعر ..

وقد كان يعتزم هجره والبعد عنه .. وظهرت أولى قصائده بالفرنسية في وصف ( جبال هملايا ) .. ثم نظم بعدها قصائد متعددة نالت الإعجاب والتقدير ..

وسافر اقبال إلى ( لندن ) 1905 ولحق بجامعة ( كمبردج ) وهناك تجلت مقدرته العلمية، ونبوغه الواسع فيما القى من محاضرات إسلامية اكتسب بها شهرة فائقة.

ثم سافر إلى المانيا ونال شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة ( ميونيخ ) وعاد إلى لندن وأتم دراسة الحقوق والاقتصاد والسياسة.

وعاد إلى الهند مزودا بثروة علمية وافرة، ورصيد ضخم من التجارب، وكان الشعر منبر تعبيره، وميدان صولاته وجولاته ..

واشتغل اقبال بالمحاماة زمنا ثم صار نائبا في البرلمان المحلي في ( البنجاب ) وشغل مناصب مختلفة في الرابطة الإسلامية والمؤتمرات ..

ومن مواقفه التاريخية الخالدة مناداته بضرورة انفصال المسلمين عن الهندوس وبوجوب تكوين دولة خاصة بهم يستطيعون فيها أن يظهروا روعة الإسلام وأن يحيوا الحياة التي تتمشى مع الدين الحنيف ..

ومنذ أن أعلن ( اقبال ) هذه الفكرة في عام 1930 أصبحت الهدف الرئيسي الذي جاهد مسلمو شبه القارة لتحقيقه إلى أن تم لهم ذلك في أغسطس سنة 1947 بعد نضال مرير متواصل اشترك فيه جميع المسلمين تحت قيادة الزعيم العظيم محمد على جناح.[1]

ومما سجله التاريخ لمحمد اقبال أيضا ويعد وسام الشرف له هو أنه لم يكن شاعر مجون أو شاعر أشخاص وإنما عاش بشعره للاسلام يظهر مزاياه، ويكشف عن محاسنه وخصائصه، ويستنهض أمته ويدعوها إلى تفهم الإسلام والتسلح بقيمه وأخلاقه حتى يتسنى لها أن تقاوم الاستعمار وتقضي على الجهل،

والتخلف، وتكون لها العزة التي كتبها الله للمؤمنين ..

وتوفي محمد اقبال الفيلسوف والمصلح الإسلامي في 1 أفريل سنة 1938 وكان لنبإ وفاته أعمق الأثر في كامل أرجاء الهند وقال جواهر نهرو عند سماع النبإ :

( لقد أدهشني وفاة اقبال بصدمة هائلة. لقد فقدت الهند بفقد ـ اقبال ـ كوكبا مضيئا، لكن شعره سيخلد في قلوب الأجيال الآتية وذكراه العظيمة لن تموت).[2]

# الإمام المصلح عبد الحميد بن باديس

## ( 1889 م 1940 م )

هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس رائد النهضة الجزائرية، وعلم من اعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ..

ولد بقسنطينة في شهر ديسمبر سنة 1889 م وحفظ القرآن الكريم في الثالثة عشرة من عمره، ورحل إلى تونس سنة 1908 م للدراسة في جامع الزيتونة. وتخرج منه سنة 1912 م وتولى التدريس بجامع الزيتونة عاما، ثم عاد إلى الجزائر، ولكنه لم يلبث أن سافر إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج. وفي عودته تجول في بعض البلاد الإسلامية حيث اتصل بنخبة من رجال الفكر والإصلاح ..

ولم يكد يعود إلى أرض الوطن حتى شمر على ساعد الجد وفتح باب الجهاد على مصراعيه وأخذ يناضل بالعقل والقلم واللسان في ميادين مختلفة، لايصمد في بعضها إلا القوي العظيم الذي من طبعه الثبات والصلابة والإصرار.

وقد رأى عبد الحميد أن الخطوة الأولى في هذا الجهاد هي تنبيه الوجدان، وايقاظ الضمير، وارساء العقيدة الصحيحة، وإثارة روح النقد .. ومن أجل ذلك وقف حياته الإصلاحية على مهاجمة ( التقليد ) وعلى التعبئة الروحية، في جميع أقواله ومحاضراته ودروسه، وفي كل الميادين التي جاهد فيها طوال حياته.

وكانت حياته سلسلة من المواقف الكريمة الشجاعة موصولة الحلقات من يوم أن عاد إلى أرض الوطن إلى أن توفي يوم 16 أبريل سنة 1940 فما من جبهة فتحها أو ميدان خاضه ونازل فيه إلا كان النصر حليفه.

ففي ميدان العقل دعا عبد الحميد بإلحاح إلى الإيمان الصحيح ونبذ التقليد الأعمى، وأهاب بالعقل أن يهتدي بالعلم والمعرفة ودلائل الحوادث لأنه لم يخلق ليقاد كما تقاد البهيمة ..

وحارب رواسب عصور الانحطاط، وحاربه في هذا الميدان الجامدون والمتحجرون ولكن عبد الحميد لم تلن له قناة، ولم تضعف له عزيمة ..

وفي ميدان الدين نعى عبد الحميد على المسلمين تزييفهم للتعاليم الإسلامية السمحة، وعاب على العلماء إسرافهم في ملاحظة أدق تفاصيل العبادات، وافتراضاتهم الوهمية التي يضيع العمر في تحديدها وتحليلها حتى أدى ذلك إلى النفور أحيانا واستثارة السخرية من أعداء الإسلام أحيانا أخرى.

وفي ميدان الأخلاق هب عبد الحميد لإحياء القيم الأخلاقية المرتبطة بتقوى الله تعالى ونفع الإنسانية، ورسم خطة قويمة للأمة تسير عليها في حياتها، لتعود إليها شخصيتها المتميزة المتأهلة لحمل رسالة الحياة ..

بالإضافة إلى أن عبد الحميد كان مدرسة أخلاقية بما طبع عليه، من تواضع، ونبل، وترفع، وشهامة، وعزة نفس، ووطنية صادقة متأججة. فتخرج من هذه المدرسة جيل كبير كان له أثره البعيد في سلوك الشعب الجزائري.

وفي ميدان الثقافة صاح عبد الحميد في قومه : إن الأمة الجزائرية لم تزل حية وستبقى حية بالرغم من استعمارها( .. وبالرغم مما تكالب عليها من شرور، وما ألح عليها من عوامل الفسخ والمسخ .. والفناء .. ـ ستبقى حية مادامت تحافظ على لغتها العربية، فمن أجل ذلك أنشأ ـ مع رجال جمعية العلماء ـ المدارس الحرة والنوادي والمنظمات الثقافية، وظل عمره يلقي الخطب والمحاضرات، وينشر البحوث والمقالات، ويلقي الدروس في مختلف العلوم الدينية واللسانية والعقلية، كل ذلك للتوعية والتهذيب، وإعداد الإنسان الجزائري خير إعداد يتفق والمستقبل الذي ينتظره ..

وفي ميدان السياسة حارب عبد الحميد الاستعمار الفرنسي وعملاءه، وشخص فداحة خطره على الأمة الجزائرية، وراح يجسم آفات الاستعمار المهلكة:

ويوقد نار الوطنية في الصدور بخطبه الملتهبة، ومقالاته السياسية الهادفة التي كان ينشرها في ( الشهاب ) و( المنتقد ) وغيرهما ..

فبالرغم من مقاومة الاستعمار للشيخ عبد الحميد وتضييق الخناق عليه كان يواصل كفاحه في حماسة وقوة ونشاط لايمل ولايفشل، ولايفت من عزمه ماكان يلاقي في طريقه من عراقيل ومضايقات ..

واشتهر عبد الحميد بقوة الإيمان، ورسوخ العقيدة، وشجاعة القلب، وفصاحة اللسان، وكان إذا تكلم تدفق كالسيل الجارف من قريحة قوية، لايعرف التردد ولاالخوف، فيدهش السامع، ويبكم المعترض، فإذا واجه إنسانا ما ـ مهما كانت شجاعة هذا الإنسان ـ يصيبه العي، وينتابه الخوف، أمام مهابته ..

وكم وقف أمام جبابرة الإدارة الفرنسية عندما يساق إليهم متهما بعداء الإستعمار الفرنسي، فيسكتهم بحجته ويخرسهم بمنطقه، ويسمعهم مالا يرضون سماعه.

وقد أعلن على الملافي صيحة مدوية :

( إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست فرنسا، ولاتريد أن تصير فرنسا، ولاتستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد، في لغتها، وفي أخلاقها، وعنصرها، ودينها، لاتريد أن تندمج، ولها وطن معين هو الوطن الجزائري ).

بهذه الصراحة وهذه الجرأة كان يعلن عبد الحميد لجبابرة فرنسا يوم كان ذكر ( الوطن ) بالاستقلال عن فرنسا جواز دخول إلى السجن ..

وكان عبد الحميد يقف أمام جبابرة فرنسا فيواجههم بالحقيقة، ويعرب لهم عن آرائه الحرة، وخلجاته النفسية في لهجة المؤمن القوي، والوطني الصادق، الذي يرى أن العذاب في سبيل الله والوطن راحة، وأن الموت في سبيلهما شهادة.

ومواقفه التي تعكس اعتزازه بنفسه ووطنه ودينه كثيرة قد أفردناها بالتأليف[1] وحسبنا أن نورد هنا بعضها بايجاز :

سافر عبد الحميد مع لجنة وطنية إلى باريس سنة 1936 ليطلب من حكومة ( دلاديه ) تنفيذ مرسوم 27 سبتمبر سنة 1907 القاضي بفصل الدين عن

---

(1) إبن باديس : ( من آرائه ومواقفه ) طبع بالبعث سنة 1989.

الدولة الذي طبق على الأديان الأخرى ما عدا الدين الإسلامي، وجرت مناقشات في هذا الغرض هدد خلالها ( دلاديه ) الشيخ عبد الحميد بقوله :

( لدى فرنسا مدافع طويلة ).

ولكن عبد الحميد لم يسكت أمام هذا التهديد لأنه في قلب فرنسا، وفي مجلس رئيس حكومتها، بل رد عليه في شجاعة وقوة قال له :

( توجد عندنا مدافع أطول ... ).

ولما تساءل رئيس الحكومة الفرنسية عن هذه المدافع الطويلة التي يمتلكها الجزائريون، أجابه ابن باديس :( إنها مدافع الله ).

وموقفه مع ( ميرانت ) مدير الشؤون الأهلية بالولاية العامة عندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 يثير النخوة والاعتزاز، ويبعث على الإعجاب بشخصية ابن باديس :

لم تكد أخبار تأسيس جمعية العلماء في 5 ماي سنة 1931 تنتشر في أرجاء الوطن، حتى فكرت فرنسا في الطريقة التي تقضي بها على هذه الجمعية في مهدها، ورأت أن ذلك قد يتم على طريق إغراء الشيخ عبد الحميد حتى يتخلى عن رئاستها، وبذلك يبقى أعضاؤها جسما بلارأس ...

فدعا ( ميرانت ) إلى مكتبه الشيخ عبد الحميد ووالده فعرض عليه أن يختار لنفسه أي منصب يريد، ( مفتي أكبر، وقاضي القضاة ... ) مع هبة مالية تمنحها الحكومة الفرنسية لوالده لتحسين أوضاعه الفلاحية والاقتصادية، على شرط واحد وهو أن يتخلى عن رئاسة جمعية العلماء ..

إنه لعرض مغر يسيل اللعاب، ويفتح الشهية للحياة ..

فماذا كان موقف الشيخ أمام هذا العرض السخي الذي تمتحن بمثله القلوب والنفوس ..؟؟.

لقد طلب مهلة للتفكير في الموضوع وما كان الشيخ - في الواقع - في حاجة إلى التفكير، وإنما طلب المهلة تأدبا وكياسة ..

وكان جواب الشيخ كتابة بالرفض البات حفاظا على كرامته وكرامة وطنه وقد سجل شاعر هذا الموقف إذ يقول :

عفت الـــوظيف فمـــا خلقت لذلـــة كـــان الـــوظيف على الأبي عصيـــل

وبقيت مـــــوفـــور الكـــــرامـــــة لم تصب
خبـــــز الـــــدخيـــــل ولم تـــــرده نصيبـــــا

وقد روى لي هذا الموقف الأستاذ الراحل على مرحوم نقلا عن أقرب الناس إلى الشيخ وألزمهم له.

وعندما وقعت الحوادث الدموية بين المسلمين واليهود بقسنطينة سنة 1934 والتي قتل فيها اثنان وعشرون من اليهود واثنان من المسلمين، تأزم الوضع وكاد يتحول إلى حرب بين الطرفين، فخرج الشيخ عبد الحميد بنفسه يجوب الشوارع مع بعض النواب المسلمين داعيا إلى التهدئة، مبصرا بعواقب العنف، وبقي كذلك حتى منتصف الليل بعد أن اطمأن إلى استتباب الأمن بين الطرفين، دون أن يخشى رصاص اليهود ..

ولما حلت الذكرى المقيتة، ذكرى مرور قرن على احتلال مدينة قسنطينة في شهر سبتمبر سنة 1937 واعتزم المستعمرون أن يقيموا الحفلات الصاخبة بهذه المناسبة غير مبالين بعواطف المسلمين جمع الشيخ عبد الحميد أربع عشرة جمعية ومنظمة اسلامية في المدينة، طلب منهم أن يوافقوا على مقاطعة الحفلات الإستعمارية وحصلت الموافقة الاجتماعية فأصدر الشيخ منشورا مؤرخا ب 28 ـ 9 ـ 1937 يدعو فيه السكان المسلمين جميعا إلى المقاطعة التامة مستخفا ـ كعادته ـ بأي خطر ينجر له من وراء هذا التحدي الماحق لطغاة الاستعمار ..

بهذه الحياة الحافلة بالجهاد والمواقف الكريمة الشجاعة يبقى الشيخ عبد الحميد بن باديس :

قوة تحرك، ورابطة تجمع، ونورا يهدي، وإسوة يقتدى، وعطرا ينعش، وبرهانا قويا على أن الإيمان والشجاعة يصنعان التاريخ.

# ( أبــو الفــضل الــوليد )

## ( 1889    1941 )

من أبرز الشعراء الثوريين في النهضة الحديثة الذين جاهدوا بالفكر والقلم في سبيل العروبة والإسلام حتى النفس الأخير من حياتهم ( إلياس طعمة ) الذي عرف بعد إسلامه بأبي الفضل الوليد.

وقد انحدر من بيت أصيل اشتهر عبر تاريخ طويل بالجاه والغنى والكرم ...

وولد في اغسطس سنة 1889 في ( قرية الحمراء ) بلبنان، وفي عام 1908 هاجر إلى البرازيل ولم يكن ذلك لطلب الكسب والغنى وإنما كان استجابة لنفسه الرغيبة الطموح التي تهيب به إلى الهجرة، وفي الهجرة لمع نجمه، وذاع صيته، واحتل مكانة مرموقة لم يحتلها مهاجر مثله وكانت النوادي والمحافل تفاخر به كخطيب مفوه، وشاعر ملهم.

وفي سنة 1916 أعلن إسلامه واتخذ ( أبا الفضل الوليد ) إسما له بدل ( الياس ) وسجله في الحكومة البرازيلية وبقي على إسلامه إلى أن توفى في يوم 29 أبريل سنة 1941.

ويعد أبو الفضل الوليد شاعر التعبئة العسكرية في الإسلام، وملهب الحماس في قلوب الثائرين ..

وإذاتتبعنا قصائده الوطنية وقفنا على حقيقة هذا الرجل المؤمن، وعرفنا من هو عروبة وإسلاما ..

فقد واكب أبو الفضل كل النكبات التي منيت بها الأمة العربية منذ الحرب العالمية الأولى إلى أن رحل عن هذا الوجود .. واكبها بقلبه النابض، وفكره المتقد، وضميره اليقظ، وغيرته المتأججة على العروبة والإسلام.

وإذا تتبعنا بطولاته الدينية أدركنا عمق إيمانه، ورسوخ عقيدته، ومدى تحمسه لدينه ..

لقد رسم لنفسه خطة فالتزمها ولم يحد عنها ولم يفرط يوما في جنبها، والخطة صعبة شاقة لايلتزمها إلا كبير النفس، قوي الإرادة، فهاهي الخطة كما أعلن عنها.

( حرا كنت وحرا أظل أمام الله والبشر لاالو في الجهاد حتى تبلغ النفس عذرها أو تكشف عسرها كتب الجهاد علي فالحمد لله الذي جعل لي نصيبا وإن نفوس الشرفاء وأموالهم مبذولة في سبيل الله والأمة والوطن فمنهم مجاهدون بالسيف، ومنهم مجاهدون بالقلم، وقد تساوى الجميع أجرا وصنيعا، إلى الله أسلم وجهي ومن الحق استمد القوة ولو بلغت روحي الترقوة نصرنا الله لنصون ديننا ودنيانا وأنعم علينا بأن نعيش أحرارا وأن نموت عربا مسلمين ).

وظل أبو الفضل يصوغ الحان البطولة على وقع خطوات المجاهدين، ويغري باقتحام لهيب المعركة في سبيل الله وفي سبيل الحرية والكرامة، ويهز المشاعر والأحاسيس بنبضات قلبه عن أمجاد الإسلام وأمجاد العروبة فكان في كل ذلك مؤمنا صادقا، ومجاهدا بطلا، وينبوعا فياضا من ينابيع القوة والنصر ...

وصدق أبو الفضل ـ بعمله البناء، وفعله الصادق، وإخلاصه للعروبة والإسلام ـ قوله :

أقسمت أن أقضي الحياة مجاهدا ... والحق لي ولتابعي شعار
حتى نفوز به ونرفع راية ... من حولها تستشهد الأنصار
الموت فخر في الدفاع عن الحمى ... والعيش في دار المذلة عار

# الشيخ مصطفى المراغي

( 1880 1945 )

اشتهر العلامة الشيخ المراغي بالذكاء، وحدة الذهن، ويقظة القلب، ورجاحة العقل، وقوة الحجة، ورحب الأفق في العلوم الدينية .. إلى الخطابة التي يعد من فرسانها المشاهير ..

أما مفتاح شخصيته فالاعتزاز بالنفس، وتقدير العلم الذي وهبه الله له ..

ولد في 9 مارس سنة 1880م في قرية تدعى ( المراغة ) بصعيد مصر، فنشأ كما ينشأ لداته، فحفظ القرآن الكريم بمكتب القرية، ثم تفرغ لدراسة العلم على والده الذي كان على حظ من علوم الأزهر، ولما تهيأت مداركه الفكرية للدراسة في الأزهر الحقه به. فهناك وجد مرتعا خصبا، ومنهلا عذبا، فأخذ يرتع وينهل في تلهف، فكان ممن انتفع بعلمهم، وتأثر بثقافتهم، وانطبع بروحهم، الأستاذ الشيخ محمد عبده، ورغم اقباله على مختلف الدروس بالأزهر فإن إقباله على دروس تفسير الإمام كان منقطع النظير، لما تمتاز به من فكر واسع، وتوجيه سديد، ونفوذ إلى الأعماق، وطراوة ونداوة، وفصاحة تشد مشاعر الإنسان وتملك عليه أحاسيسه ..

ويدل على إعجابه به والوفاء له قوله في الخطاب التاريخي الذي ألقاه

بمناسبة توليته مشيخة الأزهر :

( ومن الحق أيها السادة علينا ألا ننسى في هذه المناسبة ـ والحديث عن الأزهر والأزهريين ـ ذلك الكوكب الذي انبثق منه النور الذي نهتدي به في حياة الأزهر العامة ويهتدي به علماء الأزهر الإسلامية في فهم روح الإسلام وتعاليمه، ذلك الرجل الذي نشر الحياة العلمية والنشاط الفكري، ووضع المنهج الواضح لتفسير القرآن الكريم، وعبد الطريق لتذوق أسرار العربية وجمالها، وصاح بالناس يذكرهم بأن العظمة والمجد لا يبنيان إلا على العلم والتقوى ومكارم الأخلاق، ذلك هو الأستاذ الإمام ( محمد عبده ) قدس الله روحه وطيب ثراه).[1]

ويذكر من عرف المراغي أنه لم يكن يكتفي بالكتب التي يدرسها كما هو شأن الكثير من الطلبة بل كان يعتمد كتبا أخرى ليوسع بها أفقه، ويجلو الرأي المنشود.

وظل المراغي في الأزهر يواصل جهاده العلمي بهمة عالية، ورغبة ملحاحة، ونفس لاتعرف الفتور حتى نال شهادة ( العالمية ) عام 1322 هـ 1904 م وكان عمره اذ ذاك الرابعة والعشرين، وقل من نال هذه الشهادة في هذا العمر..

ولما كان حنفي المذهب مع حصوله على الدرجة الثانية وكل إليه التدريس بالأزهر فجلس في حلقة تسابق إليها الطلبة الأزهريون لما عرف به من علم واسع، وفكر ثاقب، وبحث عميق، وعبارة فصيحة، ولكنه لم يلبث أن عين قاضيا لمديرية ( دنقلا ) في السودان ثم قاضيا لمدينة ( الخرطوم ).

وعلى إثر نشوب خلاف حاد بينه وبين قاضي القضاة في اختيار المفتشين بالمحاكم الشرعية في السودان قدم استقالته ورجع إلى مصر حيث اختير مفتشا للدروس الدينية بديوان الأوقاف بمصر، وكان إلى جانب هذه الوظيفة يلقي دروسا بالأزهر ...

وبين سنتي ( 1919 ـ 1923 ) تنقل المراغي في هذه المناصب على التوالي، رئيسا للمفتشين بمحاكم مصر الشرعية، رئيسا لمحكمة مصر الكلية، عضوا في المحكمة الشرعية، رئيسا للمحكمة العليا ..

وفي 22 من شهر مايو 1928 عين شيخا للجامع الأزهر فبذل في اصلاحه

(1) الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة للدكتور محمد كامل الفقي ص 225.

جهودا جبارة كان لها أثرها الكبير الفعال في نهوض الأزهر وازدهاره، وفي عهده وفدت بعثات من طلبة الأزهر النابهين النابغين إلى اروبا للدراسات الأدبية والفلسفية والعلمية ..

وللشيخ المراغي بحوث فقهية قيمة في الزواج والطلاق وهي مطبوعة، وبحث في جواز ترجمة القرآن .. ومذكرات مفيدة في إصلاح المحاكم الشرعية والأزهر، وبحث بعنوان ( رسالة الأولياء والمحجوبين ) نال به عضوية جماعة كبار العلماء ..

أما دروسه الدينية المطبوعة، ومقالاته التي نشرت في مختلف الصحف العربية والإفرنجية فأكثر من أن تحصى أو تستقصى ...

والشيخ المراغي مع هذا كله عزيز النفس، عالي الهمة، قوي الشخصية، يحترم علمه ودينه ويجاهد الزعازع ويصارع الانواء في سبيلهما، وحياته كلها صورة لهذه المميزات والخصائص ..

وتخللت حياته أحداث صعبة كان فيها الرجل الأبي الذي يمتحن في كرامته وكرامة دينه فيخرج من الامتحان مرفوع الرأس، موفور الكرامة ...

عندما شبت الثورة الوطنية في مصر سنة 1919 عبّر السودانيون عن تعاطفهم مع إخوانهم المصريين وموقفهم من الأحداث، فكان الشيخ المراغي في مقدمة من جاهدوا بالرأي الوطني في حرارة وحماسة غير مكترث بما سينجر له وراء ذلك من العواقب، فضاق به الانجليز ذرعا ولم يحتملوا بقاءه في السودان فعاد إلى مصر كريما مبجلا ...

( وحاول السكريتير القضائي لحكومة السودان تغيير لائحة المحاكم الشرعية فرفض قاضي القضاة - اذ ذاك - وأصرّ على رأيه ولم يجد السكريتير بدا من أن ينزل عن رأيه إزاء إصرار المراغي ).(2)

وعندما مر الملك جورج الخامس ملك انجليز بالسودان في طريقه إلى الهند أعلن أن العلماء والعظماء سيستقبلونه وقوفا حول الباخرة على أن لا يصعد إلا الحاكم العام ..

فرفض المراغي أن يشترك في حفل الاستقبال إلا إذا كان من حقه أن

---

(2)إقرأ للأستاذ أنور الجندى ص129.

يصعد الباخرة في عرض البحر كالحاكم العام سواء بسواء.

وقد اضطر القائمون على تنظيم الاستقبال إلى خرق قواعد ( الديبلوماسية ) أمام إصرار المراغي، فلما صعد إلى الباخرة سلم على الملك قائما منتصبا فلما سئل : لم لم ينحن للملك ؟ قال :

ليس في ديننا سجود لغير الله ...[3]

وخطبته أثناء الحرب الأخيرة في مسجد الرفاعي التي أعلن فيها موقف مصر من الحرب وأنها لا مصلحة لها فيها - تحدد موقفه السياسي، وتجسم شجاعته، وتعبر أصدق تعبير عن شخصيته القوية..

ولقد أحدثت تلك الخطبة ضجة هائلة، وقامت لها الحكومة المصرية وقعدت، واهتزت لها بريطانيا هزا عنيفا وطلبت إلى الحكومة المصرية بيانا عن هذه الفكرة، واتصل به رئيس الوزراء وخاطبه في لهجة تفوح منها رائحة التهديد ... فثارت ثائرته وقال :

( مثلك يهدد شيخ الأزهر.. وشيخ الأزهر أقوى بمركزه ونفوذه بين المسلمين من رئيس الحكومة، ولو شئت لرقيت منبر مسجد الحسين، وأثرت عليك الرأي العام، ولو فعلت لوجدت نفسك على الفور بين عامة الشعب).[4]

هذا هو الإمام المراغي العالم الديني الذي عاش حياته كلها طاقة حية، وقوة ملهمة، وحجة دامغة، وجبلا راسيا عنيدا يهزأ بالأعاصير والزعازع ...

ما أحوج العلماء إلى شجاعته وعزة نفسه ...

وما أحوجهم إلى نفسه الكبيرة القادرة على اتخاذ المواقف البطولية المشرفة في وقت تلتبس فيه الأمور، وتضطرب فيه الأحوال، ويكاد يضيع الحق أو تنطمس معالمه.

وما أحوج الأمم والشعوب إلى أمثال المراغي ليربوها على الشجاعة، ويحفظوها من الضعف والخور والاستخذاء ..

وأخيرا اية قيمة لعلم يتوخى به صاحبه رضا الحاكم المستبد، ويأكل به دينه، ويدوس به كرامته وكرامة دينه ؟!.

---

(3) نفس المصدر.

(4) نفس المصدر.

# ( خـــليل مـــطران )

( 1288 هـ ــ 1368 هـ )
( 1871 م ــ 1949 م )

هو خليل بن عبده بن يوسف مطران ولد ببعلبك ـ بسوريا ـ وتعلم بالمدرسة البطريركية ببيروت واتصل بالأستاذ ابراهيم اليازجي فنهل من منهله العربي الفياض كما انكب على دراسة اللغة الفرنسية وآدابها على أساتذة أكفاء مما كان له أبعد الأثر في تكوينه الثقافي والأدبي ...

وبدأ ينظم شعرا وهو ما يزال يدرس في الكلية يستلفت به أنظار الطلبة، ويثير إعجابهم ..

وكان مطران يتقطع ألما لمظاهر الظلم والاستبداد ويتعشق الحرية، ويهفو إلى أهلها ومظاهرها، فلم يكد يتخرج من الكلية حتى أخذ ينظم شعرا ضد السلطنة الكبرى والاستبداد الحميدي، وكثيرا ما يذهب مع زملائه إلى أعالي الأشرفية في بيروت وينشدون في حماس نشيد (المارسيليين) الذي كان رمز الحرية وعنوان النضال وطريقة من طرائق تحدي الاستبداد في تلك الأيام السود ...

وفي مصر تولى تحرير جريدة (الأهرام) بضع سنين ثم أنشأ (المجلة المصرية) وبعدها جريدة (الجوائب المصرية) التي ناصر بها مصطفى كامل في

حركته الوطنية واستمرت أربع سنوات ...

وكان في كل أعماله الفكرية والقلمية ثائرا على الظلم والاستبداد، ناصرا للأحرار الذين ينشدون الحياة الكريمة، ناقما على الجهل الذي يطمس العقول، فمن شعره الذي يصور سخطه :

هم حكموه فاستبد تحكما وهم أرادوا أن يصول فصالا
والجهلُ داء قد تقادم عهده في العالمين ولايزال عضالا
لكن خفض الأكثرين جناحهم رفع الملوك وسود الأبطالا
واذا رأيت الموج يسفل بعضه ألفيت تاليه طغى وتعالى
نقص لفطرة كل حي لازم لايرتجي معه الحكيم كمالا

واجه مطران في سبيل مواقفه متاعب ومشاق، ولكنها لم تنل من عزيمته، ولم تحد به عن طريقه .. واتهم بأنه يعمل للثورة فقبضت عليه السلطات العثمانية، ثم أخلت سبيله، فعاد إلى نضاله من جديد فضاقت به السلطات التركية وقلقت منه فدبرت مؤامرة لقتله :

يقول ابن عمه جودت مطران : ( إن مطران عاد إلى غرفته في احدى الليالي الصائفة لعام 1890 في أخريات الليل ولم تكن غرابته شديدة عندما رأى سرير نومه مثقوبا بالرصاص .. فقد ظن جواسيس عبد الحميد أن مطران نائم في مضجعه فأرادوا أن يتخلصوا منه).

وما وسع الشاعر الثائر أمام هذه المضايقات والمطاردات إلا أن يغادر بلاده إلى باريس، ولكنه حتى هناك لم يسلم من دسائس الحكومة التركية ومطارداتها التي لم تنفك تلازمه فغادر باريس إلى مصر وظل بها يصف تجاربه في الحياة، ويعبر عن كفاح الشعوب المستعبدة في سبيل حريتها ويتغنى بأمجاد التاريخ ويدعو إلى الحرية والنضال في سبيل حياة أفضل، وينتفض انتفاضة الثائر الحر الذي يصر على الحياة الأدمية العزيزة ويرى أن الكفاح في سبيلها ضرورة حتمية مهما كانت الظروف .. ومن تهديداته التي تعكس إصراره على مواصلة الكفاح بالفكر والقلم واللسان مهما تضاعف الأذى وتوالى الابتلاء، قوله :

شردوا أخيـــارهـــا بحـــرا وبـــرا واقتلـــوا أحـــرارهـــا حـــرا فحـــر

إنمـــا الصـــالـــح يبقى صـــالحـــا آخـــر الـــدهـــر ويبقى الشر شرا

كسروا الأقـــلام هـــل تكسيـــرهـــا يمنـــع الأيـــدي أن تنقـــش صخـــرا؟

قـــطعـــوا الأيـــدي!! هـــل تقـــطيعهـــا يمنـــع الأعين أن تنـــظـــر شـــزرا؟

اطفئـــوا الأعين!! هـــل إطفـــاؤهـــا يمنـــع الأنفـــس أن تصعـــد زفـــرا؟

أخمـــدوا الأنفـــاس!! هذا جهـــدكم وبـــه منجـــاتنـــا منكم... فشكـــرا

ولخليل مطران مؤلفات مفيدة منها ( مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام ) واشترك مع شاعر النيل حافظ ابراهيم في ترجمة ( الموجز في علم الاقتصاد ) عن الفرنسية في خمسة أجزاء وترجم عدة روايات من تأليف شكسبير، وكورناي، وراسين، وهيجو، وبول بورجيه وكان يشبه بالأخطل وشبهه المنفلوطي بابن الرومي ...[1]

ولكن أبرز ما سيظل يذكر به في اعجاب وتقدير هو همته العالية، ووطنيته الصادقة، وكفاحه الدائم حتى غادر هذا الوجود ...

---

(1)لانه يقدم العناية بالمعانى على العناية بالالفاظ.

# أبـو يـعلى الـزواوي

( 1866  1952 م )

هو السعيد بن محمد الشريف بن العربي بن يحي الشهير بأبي يعلى الزواوي ...

أصله من ( أبو يعلى ) قرية بالقرب من جمعة صهريج بنواحي عزازقة، انتقل والده الشيخ محمد الشريف إلى ( اغيل زكري ) بناحية أزفون للقيام بالإمامة والتعليم حيث ولد الشيخ السعيد أبو يعلى سنة 1866 م.

وما إن بلغ السادسة من عمره حتى بدأ في حفظ القرآن الكريم على والده الذي كان مضرب المثل في حفظه والعناية به رسما وتجويدا.

ولم يتخط الخامسة عشر من عمره عندما انتهى من حفظ القرآن، وتوفر له محصول هام في مبادىء الدين واللغة أهله ـ مع ما امتاز به من مواهب فطرية مبكرة ـ للدراسة الثانوية والعالية (حسب ذلك العهد) فانتقل إلى زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي وهناك وقف جهده ونشاطه للدرس والتحصيل ..

ومن العلماء الذين أخذ عنهم في هذه الزاوية الشيخ الصادق بن زكري شقيق مفتي الجزائر اذ ذاك، الشيخ السعيد الزكري مؤلف كتاب (أوضح الدلائل) الذي دعا فيه إلى إصلاح الزوايا ببلاد القبائل ..

وحوالي سنة 1902 سافر إلى دمشق بنية الإقامة بها، واشتغل هناك في القنصلية الفرنسية كاتبا، كما كان له نشاط فكري وقلمي وافر، فكان ينشر مقالات وفصولا في صحيفتي ( المقتبس ) التي أسّسها محمد كرد على في دمشق سنة 1908 م و ( البرهان ) التي أسّسها الشيخ عبد القادر المغربي بطرابلس الشام سنة 1911 م.

( وتعرف أبو يعلى على شخصيات علمية وسياسية هاجرت من الجزائر خصوصا عائلة الأمير عبد القادر وشيوخ زواوة، وعلى بعض الرجال من المغرب العربي مثل عبد القادر المغربي، ومحمد الخضر حسين وعلى شخصيات عربية أخرى مثل شكيب ارسلان الذي تبادل معه الرسائل، ومحب الدين الخطيب، ورشيد رضا، وساهم أبويعلى كذلك في الحركة العربية ضد الاتراك.[1]

وظل الشيخ أبو يعلى إلى سنة 1924 بدمشق يبحث و يحرر و يحتك بأعلام الفكر العربي والإسلامي فاتسعت مداركه الفكرية ونبغ في فنون مختلفة، وتكونت له شخصية مرموقة شاع صيتها في الأوساط الثقافية هناك ..

وزار الشيخ أبو يعلى القاهرة عند ابتداء الحرب في سنة 1914 وتلقى درسا بالجامع الأزهر على العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي وذكر في مقال نشره بمجلة ( الإسلام ) المصرية [2] أنه وجد الشيخ بخيت يقرر أن العامي لا يلزمه التزام مذهب واحد في مسائله، إنما يلزمه أن يسأل أي عالم مسلم فيأخذ بفتواه، ولما عاد إلى الجزائر وقع بيده كتاب ( تبصرة ابن فرحون ) المطبوع بهامش فتاوي الشيخ عليش فوجد ما قاله الشيخ بخيت ..

كما ذكر الشيخ أبو يعلى في هذا المقال أن من شيوخه الأستاذ الشيخ رشيد رضا، والأستاذ الشيخ طاهر الجزائري ..

وفي سنة 1924 حن إلى الوطن، وبرحت به الذكريات وهزته الأشواق، فلم تمض إلا أيام قلائل حتى عاد وفي نفسه عزم على القيام بمهمة الدعوة إلى الإسلام الصحيح ومحاربة أهل البدع والخرافات بالجزائر ..

ولولا رغبته في نفع وطنه لبقي في سوريا وقد كان فيها معززا مكرما ولكنه

---

(1) الثقافة س 1 ع 73 ـ 74 يناير أفريل 1983

(2) س 5 ع 14 يوليو 1936.

آثر أن يعود إلى وطنه ليخدمه ويؤدي بعض ما عليه من حقوقه وهو يعلم أنه سيضحي بحريته ويلاقي من الاستعمار ضغوطا ومضايقات.

ولم تمض على عودته إلا أيام حتى عيّن إماما وخطيبا بجامع سيدي رمضان بالعاصمة ..

وفي هذا المسجد وقف الشيخ نفسه على تهذيب النفوس، وإنارة القلوب، وصقل المواهب، والدعوة إلى سبيل الله، والتعريف بأمجاد الإسلام ومفاخره في عصوره الزاهية، لوصل الحاضر بالماضي، وبعث الاعتزاز في نفوس الشباب بالخصوص حتى يترسموا خطى أسلافهم الصالحين ويسيروا على طريقهم ..

ورب كلمة تفعل فعل قنبلة، وتحمي أمة، وتبعث همما وعزائم، وتوحد صفوفا وكلمات، وأهدافا وغايات .. ولذا كان لا يفتر عن المجاهدة بالكلمة يرسلها من الأعماق في حلقة الدرس، أو من على المنبر، أو فوق منصة بنادي الترقي ..

وأبرز ما كان يمتاز به أبو يعلى في دروسه ومحاضراته وخطبه الجمعية شجاعته الأدبية، وصوته القوي الواضح النبرات، فكان يهاجم الاستعمار وعملاءه بشجاعة وقوة ويندد بأهل البدع والمنكرات، والعقائد الزائغة، والأهواء المضلة والعادات المرذولة التي لا تنتشر إلا في بلد حرم من نور العلم، وحيل بينه وبين الحياة الكريمة التي من شأنها أن تسمو بالإنسان عن الرذيلة ومواطن السوء ..

وكانت الموضوعات التي يطرقها باستمرار ويركز عليها متعددة متنوعة، منها، وجوب التعاون بين أفراد الأمة على ما فيه خيرهم وفيما يحقق لهم الحرية والعزة، ومنها محاولة السمو بالنفس ونوازعها إلى رتبة الكمال الإنساني الذي تتحقق به وحدة التفاضل بين الناس، وتتحدد بمقتضاه درجاتهم عند الله.

وكان كثيرا ما يتحدث عن تربية البنت وتعليمها وتمكينها من حقوقها واحترام إرادتها، وعن الشخصية الوطنية التي تميزنا عن غيرنا والتمسك بالقرآن الكريم لأن فيه هداية الأمة وشفاءها من عللها وأمراضها، فالمثقف يجد فيه ما ينير به الطريق لغيره من الناس، والزعيم يجد فيه كيف يقود الأمة ويسوسها، والقاضي يجد فيه الأحكام والفتاوي.

وكان يدعو إلى التمسك بعاداتنا الصالحة لأنها جزء من شخصيتنا الوطنية المميزة، ويرى أن الاستعمار هو علة العلل ورأس البلايا كلها في بلادنا فزوال عللنا مرهون بزوال الإستعمار، وجهل الناس بالإسلام وسوء فهمهم لمبادئه وأهدافه من

العوامل الفعالة في سوء الأوضاع بالبلاد الإسلامية؛ ولذا فتحسن أوضاعهم مرهون بفهم الإسلام فهما صحيحا الخ ...

وتعددت ميادين (أبي يعلى) في الجهاد بالفكر واللسان والقلم فكان من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومن بناة نهضتها، ومن أقطابها العاملين بجد ونشاط وتفان حتى دعاه الشيخ عبد الحميد بن باديس ( شاب الشيوخ ).

وله في ميدان التأليف مجموعة من الكتب طبع بعضها وما يزال بعضها الآخر مخطوطا ..

ومن مطبوعاته ( الإسلام الصحيح ) و ( جماعة المسلمين ) رايته قبل طبعه بتونس عند الأخ اسماعيل الزكري وأنا ما أزال طالبا بجامع الزيتونة جاء به لطبعه و ( الخطب ) وهو مجموع خطب منبرية قصيرة ..

أما الكتب المخطوطة فهي ( تعدد الزوجات في الإسلام ) و ( الأمم الغربية ) و ( المرأة المسلمة ) و ( تاريخ زواوة ) عدا مقالات في مختلف الصحف وخاصة ( الشهاب ) و( البصائر ) و( الإصلاح ) وهي كثيرة لو جمعت وصنفت لكان منها كتب ضخام.

وللشيخ أبي يعلى مراسلات مع علماء أجلاء منهم أمير البيان شكيب ارسلان ـ كما ذكرنا ـ ، والإمام المصلح الأستاذ رشيد رضا، والصحافي القدير محي الدين الخطيب صاحب الفتح، والعلامة الأستاذ محمد الرزقي الشرفاوي عندما كان هذا الأخير مدرسا بالأزهر وتوثقت عروة الصداقة والمحبة بينهما بعد عودتهما إلى الجزائر وظلا على اتصال حتى توفى الشرفاوي في سنة 1945 أما الشيخ أبو يعلى فقد توفى في أول يونيو سنة 1952.

## سعيـــد الجنـادي ..

( ... 1960 م )

كان سعيد يعمل فدائيا بقريته في نواحي أزفون بولاية تزيوزو ...

وكان لنشاطه الثوري أثر ملحوظ في تلك النواحي مما جعل الخونة يكتشفون سره، وبالتالي يتذمرون من تفاقم خطورته عليهم فوشوا به إلى السلطات العسكرية الفرنسية المتمركزة بالناحية ..

ففي صبيحة يوم من أيام أبريل سنة 1957 جاء ضابط فرنسي يصحبه رجل أغواه الشيطان، وزين له سوء عمله فكان ممن تجندوا في صفوف العدو ضد ثورتنا فانقضا عليه انقضاض الوحوش الضارية على الفريسة الضعيفة فأخرجاه من بيته في تبجح وتوقح وطغيان وزوجته وأولاده يبكون ويصرخون وذهبا به إلى ساحة بقلب القرية حيث كانا قد حشدا فيها جمعا غفيرا من النساء والشيوخ والأطفال لترويعهم وترهيبهم ...

وهناك في الساحة أوقفا الضابط سعيدا ووجه إليه رشاشته وقال له بصوت مرتفع حتى يسمعه كل من في الساحة.

ها أنت الآن قد وقعت بين أيدينا وها أنت تموت تاركا وراءك زوجة وأولادا صغارا سيعيشون في الذل والمرض والحرمان فلا جبهة التحرير تنفعك، ولا جيش

التحرير ينقذك، ولا أحد يقدر الآن على أن ينجيك من الموت بل استغث بمحمد الذي تؤمن به وترفرف روحه على رأسك الآن وأنت على عتبة القبر...

ولم يكد الضابط الفرنسي يذكر محمدا بهذا الأسلوب الساخر اللاذع حتى غلى دم الخائن الذي وقف بجنب الضابط ممسكا برشاشته، وأحس ببركان ينفجر في أعماقه وصاح بأعلى صوته في وجه الضابط ( أنا محمد .. ).

قال ذلك وهو يفرغ رشاشته في صدر الضابط الفرنسي ...

فسقط الوقح على الأرض يتمرغ في الدم، ويرتطم في الوحل ... وانطلقت حناجر الحشود الحاضرة بالتكبير والتهليل وتعالت هتافاتهم إلى عنان السماء بحياة الإسلام وحياة الجزائر المسلمة ...

أما صاحبنا الذي انفلت من الشيطان، وانقشعت الغشاوة عن بصيرته فناول سعيدا رشاشة الضابط ووضع يده على كتفه وقال له هيا بنا الآن للجهاد في سبيل محمد ...

وذهبا تتابعهما الأعين، وتشيعهما القلوب حتى اختفيا وراء هـ : ة قرب القرية ثم غابا بين الأشجار في سفح الجبل ...

ولله هذه اللحظة السعيدة التي تدرك فيها الإنسان عناية الله، وتهب فيها نسمات من السماء فتفعل في التفكير وفي الوجدان وفي العمل ما يحير العقل ..

وما أروع الإيمان، وما أوضح الطريق أمام الإنسان عندما يلغي أطماعه، ويحكم عقله.

منذ وقت قصير كان الرجل خائنا للوطن، عميلا للعدو، حربا على الحرية وأنصار الحرية، باع نفسه بثمن بخس للعدو الغادر يسيره حيث شاء، ويوجهه كيفما أراد دون أن يخجل من فعله أو يشعر بخبث صنيعه، وجاء مع العدو ليقتلا أخاه في الدين واللغة والوطنية والتاريخ لا لشيء سوى أنه كان يجاهد في سبيل أن يتحرر الوطن، ويتطهر من رجس المستعمر القذر فيسعد كل فرد من أبناء الشعب الجزائري وما إن أهين ( محمد ) حتى ثارت حميته، وهاج بركانه، وتحول جذريا، وانقلب كليا، وصار خلقا آخر ..

صار وطنيا بعد أن كان خائنا، وإيجابيا بعد أن كان سلبيا، وذهب ليقتل عدوه بعد أن جاء ليقتل أخاه، وباع نفسه للرحمان، بعد أن باعها للشيطان، وفي ذلك عبرة للمعتبر، ودرس للمستبصر.

# الشيخ الطيب العقبي

( 1307 هـ 1960 م )

هو الطيب بن محمد بن ابراهيم بن الحاج صالح العقبي .. من العلماء البارزين، والدعاة المصلحين الذين رسموا الطريق الفكري للنهضة في الجزائر.

ولد سنة 1307هـ ببلدية سيدي عقبة احدى قرى الزاب الشرقي التي تبعد عن مدينة بسكرة إلى الشرق بنحو ( 18 ) ميلا. وانتقل مع عائلته - وهو صبي - إلى الحجاز سنة 1313 هـ واستقر بالمدينة المنورة حيث درس مختلف مراحل التعليم وصار مضرب المثل في العلوم النقلية والعقلية، وكان يمد مختلف الصحف السياسية هناك بعطاء وافر قيم يلفت الأنظار إلى مقدرته العلمية والأدبية والسياسية.

وفي يوم 4 مارس سنة 1920 عاد الأستاذ العقبي إلى الجزائر وطن آبائه وأجداده، ومنذ نزوله بأرض الوطن وهو يجاهد بفكره وقلمه ولسانه، فكان يلقى دروس الوعظ والإرشاد في المساجد يحارب البدع والخرافات، والشعوذة والتدجيل، ويلقي المحاضرات بنادي الترقي بالعاصمة يدعو فيها إلى التحرر من الجمود الفكري والانطلاق من الإسار العقلي، والعودة إلى الإسلام الصحيح الذي جاء به القرآن الكريم، وبعدتأسيس جمعية العلماء كان الأستاذ العقبي من أعضاء مكتبها الدائم.

وبرز في الميدان ثلاثة أساطين بلغو الذروة في الحيوية والنشاط، والذكاء والعبقرية، والاقدام والجرأة، ابن باديس، وكان مقره قسنطينة، والطيب العقبي ومقره العاصمة، والابراهيمي ومقره تلمسان، وبعد الحرب العالمية الثانية التزم بيته وناديه لظروف خاصة وتوفى سنة 1960م، رحمه الله.

واشتهر الشيخ الطيب العقبي بالذهن المتوقد، والقريحة الفياضة. والحس المرهف، والحجة الدامغة، والقول الفصل. ومن مواقفه التي تشهد له بهذه الخصائص ما حدثني عنه مصلح واكب النهضة العلمية والإصلاحية بالجزائر منذ نشأتها ولازم أقطاب جمعية العلماء وأحبهم وأفاد منهم، وخلاصته فيما يلي :

كان في خميس خنشلة مصلح يدعى ( البكاري ) وكان يتفانى في حب العلم والإصلاح إلى أبعد الحدود، حسبك أنه أنفق كل ثروته في سبيل ذلك.

وكانت له مدرسة صغيرة، هو مديرها وصهره معلمها، واعتاد أن يقيم حفلا عند انتهاء السنة الدراسية كل عام يدعو إليها أنصار النهضة الإصلاحية ومحبي العلم والمعرفة، وبعض الوجهاء بالبلد.

وكان من المدعوين إلى احدى هذه الحفلات الشيخ الطيب العقبي وأحد المبشرين الذين هم في مظاهرهم كالحمام وفي واقع أمرهم كالحيات، وكان هذا المبشر معروفا بالجزائر بدعوته التبشيرية على أساس من الأساليب الجدلية العلمية، وكان لايفتأ ـ كل ما وجد مناسبة ـ يعمل على توهين القيم الإسلامية.

ولما أخذ المدعون مقاعدهم وغصت بهم القاعة قام الأستاذ العقبي إلى المنصة وألقى خطابا قيما كعادته بلاغة وفصاحة، ومنطقا وحجة، وموضوعا وهدفا، وقال في نهاية الخطاب ما مؤداه :

أود أن أقول في ختام هذا الخطاب كلمة أوجهها إلى السيد الراهب، أملا أن ينتبه إليها ويجيبني عنها وهو لا شك ينوب عن كل المسيحيين أينما وجدوا ...

ثم قال ـ وقد ركز فيه الراهب بصره، ـ :يدعي أهل الكتاب(اليهود والنصارى) أنهم هم المهتدون وحدهم، والسائرون على الجادة القويمة، وأن الجنة وقف عليهم لايدخلها سواهم، وهذه الدعوى العريضة السافرة ما تزال عقيدة الفريقين إلى اليوم والغد .. وحضرة الراهب المحترم أول من يعلم هذا ويؤمن به، وقد ذكر الله تعالى هذه العقيدة في القرآن الكريم حيث قال :

( وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى)

وهذا الكلام اختصار بديع غير مخل، أي قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فلف بين هذين المقولين وجعل مقولا واحدا اختصارا.

والحقيقة التي أريد الوقوف عندها وأود لو ينتبه إليها الراهب المحترم هي أن اليهود إذا كانوا هم الفائزين الرابحين ودخلوا الجنة وحدهم، فإننا ندخلها معهم لأننا نؤمن بنبيهم موسى عليه السلام ...

وإذا كان النصارى هم الفائزين بالجنة فإننا أيضا ندخلها معهم لإيماننا بنبيهم عيسى عليه السلام ... ومعنى هذا أننا رابحون فائزون على كلا الحالين.
ولكن ما رأى الراهب المحترم إذا كنا نحن ـ المسلمين ـ على حق ودخلنا الجنة فهل يدخلها اليهود والنصارى معنا ؟

طبعا لا، لأن اليهود والنصارى لا يؤمنون بمحمد، والنتيجة الطبيعية أننا الرابحون، مطلقا، كنا على حق أم كان اليهود، أم كان النصارى ...

فلينتبه اليهود والنصارى لهذه الحقيقة وليقرأوا لها ألف حساب.

فبهت الراهب، وسقط في يده، وتضاءل أمام الحجة الدامغة والأسلوب المنطقي المعجز، لاسيما والناس من حوله يتهامسون، ويلتفتون إليه ..

وما كان من الراهب المتخاذل إلا أن نهض إلى الشيخ الطيب العقبي في خطى وئيدة وصافحه بحرارة ثم عاد إلى مقعده ممتقع اللون، وبينه وبين نفسه صراع عنيف صامت سيظل يحتدم حتى يهتدي إلى الطريق أو يموت ..

# أم شهـــيد

( . . .     . . . )

ماأشد ماقاست في سبيله من متاعب ومشاق حتى استوى شابا يتوثب فتوة وقوة. ويتفجر نشاطا وحيوية رضع حب الوطن مع حليب أمه ... فكان الفتيل الذي يشعل السراج أمامه وهو في البيت، وفي المدرسة وفي الطريق إلى معركة رمضان ...

إن حبها لابنها حب أم رؤم لوحيدها البر ... ولكن حبها لوطنها كان أقوى .. ورغبتها في شرف الكفاح المقدس ضد العدو المحتل شعلة تتقد بين الضلوع ...

انطلق إلى المعركة وروحه على يده .. وظل يجاهد في استماتة واستبسال حتى استشهد وأسبل عينيه على آخر شعاعة من نور الدنيا تودعه، وتمجد بطولته، وتبارك للأم فداءها وتضحيتها في سبيل القضية المقدسة.

كانت في لهفة ظامئة إلى رؤية ابنها وعندما بلغها نبأ استشهاده أجهشت بالبكاء، وذرفت دموعا غزيرة ثم مسحت عينيها، واستغفرت ربها، وقالت : كم أنا مخطئة يا الهي، كان علي أن أضحك لا أن أبكي، وكان علي أن أتلقى نبأ استشهاده بمسرة وابتهاج بدل أن أتلقاه بحزن واكتئاب ..

من يموت دفاعا عن الحياة والمقدسات، واسترجاعا للحق المسلوب إذا لم يمت أبناؤنا ؟

ومن يلاقي الوحش الضاري القذر الذي سطا على أرضنا وعبث بحرماتنا

إذا لم يلاقه رجالنا ؟

ومن يطهر هذه الأرض الطيبة من رجس المحتل البغيض إذا لم يطهرها الشباب بدمائهم الزكية ؟

وعندما زارها أحد الصحفيين قالت له في عبارات قوية حاسمة :

لقد زودته أنا وأبوه منذ الطفولة بشحنات من حب الوطن فشب وطنيا غيورا لا شيء أعز عليه من وطنه، وكنا لا نتحدث عن الوطن إلا في إكبار وتقديس فعلمه ذلك كيف يحترم وطنه ويقدسه وبالتالي كيف يضحي بروحه في سبيله ...

وقد كان في فجر حياته لا يقبل إلا قراءة القصص البطولية ويلح علي في احضارها له ...

وعندما سألها صحافي عن وقع نبإ استشهاده في نفسها قالت في ثقة المؤمنة الصابرة ...

إن الموت غاية كل حي ولكنها غاية ثقيلة كريهة مروعة لا سيما موت الأبناء، ولكن حتى هذا النوع من الموت يتفاوت أثره وعمقه باختلاف سببه وهدفه، فالأم التي تفقد ابنها ولو كان وحيدا في معركة سعر لظاها دفاعا عن حق وحماية لأمجادنا التاريخية وتراثها الخالد، يجب أن تعلم أنها لم تفقده لأنها بموته نالت ما لا تناله بحياته، نالت شرفا لا يضاهيه شرف، إنه شرف الوطنية الصادقة، وشرف الانتقام للحق، وشرف الحمية على الحرمات، والذود عن المستضعفين، وأخيرا شرف التضحية والإيثار ...

وسكتت الأم أم الشهيد قليلا ثم قالت : لقد تعلمت في المدرسة والكتب والمجتمع كثيرا ولكني لم اعلم ابني إلا زبدة ماتعلمت .. علمته الحب والوفاء ... فأحب وطنه ووفى له ..

ماأصدقها قولا، وأعظمها صبرا، وأقواها ايمانا، إن الحياة عندما يفرض الموت فرضا لحق سلب، أو عرض انتهك، أو دين أهين، هو الموت، والموت هو الحياة ... وأي موت أكره على النفس العزيزة الكريمة من الجبن والتخاذل والاستكانة ؟

يموت الجندي في المعركة وهو أعز على أمه من نفسها ولكنه بموته برهن عمليا عن شجاعته وحبه لوطنه ورفضه النوم على الضيم والذل والهوان، وهذه المعاني هي المعايير الصحيحة للحياة الكريمة وبغيرها لا تعد الحياة إلا كحياة البهائم ...

ولاغرو أن تهتز المشاعر لمثل هذه المواقف وتنطلق ألسن الشعراء بالتغني بهذه البطولات ...

# عايدة عيسى سعد

(ــــــــــــ)

لولا المعركة الضارية التي يحتدم سعيرها على أرض فلسطين العربية لما سمعنا باسم هذه الفتاة البطلة ولما يخط القلم عنها حرفا واحدا. ولكن بطولتها صنعت لها صيتا ذائعا. وجعلت منها شخصية تاريخية. واحلتها مكانة مرموقة بين شهيرات النساء في الأمة العربية..

لا نعرف عن حياتها شيئا سوى أنها من الفتيات الفلسطينيات اللائي يتسابقن إلى ميدان الجهاد والتضحية والفداء. يحملن في أيديهن بنادق ورشاشات. وفي صدورهن قلوبا فتية. وإرادة ماضية. وحزما أقوى من المدافع والرشاشات. وأملا في الغد المشرق أنظر من الربيع.

كانت عائدة شجاعة لا يعرف الخوف طريقا إليها. ووطنية صادقة لا تفتأ تلهج بحب فلسطين والتغني بأمجادها التاريخية. وكانت مثالا للفتاة المتفائلة بالغد الباسم. والقاهرة لليأس والقنوط والاستسلام.

وبالرغم من طراوة الجنس اللطيف ولطافته فإن للمرأة في ميدان الجهاد والمجادلة والنزال جرأتها وصلابتها وبسالتها. لأن حب الوطن والغيرة عليه. ورؤية المحتل القذر يعبث بحرماته ومقدساته. والشعور بالغربة بين الأهل والخلان ـ كل

هذا يصنع من الإنسان الطاقة القوية العنيدة.

لقد كانت لعائدة صيحات هادرة تنخلع لها القلوب. ومواقف حاسمة تبعث على الإعجاب فقد رمت بقذيفة يدوية على سيارة عسكرية اسرائيلية يستقلها جمع من جنود الأعداء فكانت القاضية على الجميع..

وفي شهر ابريل من سنة 1969 وقفت الفدائية البطلة أمام محكمة اسرائيلية ظالمة باغية ترى حب الوطن والوفاء له والدفاع عنه ظلما واجراما يستحق صاحبه أشد العقاب. وترى الاغتصاب والاحتلال والغدر من جرذان الصهيونية حقا وعدلا وتمدنا.

ولذا أصدرت حكمها على عائدة الفدائية لحبها لوطنها ودفاعا عنه بالسجن عشرين عاما..

وما إن سمعت هذا الحكم الظالم الجائر حتى هتفت في صيحة من الكبرياء الوطني. والعزة القومية. وقالت وعلى ثغرها بسمة ساخرة.

(إني أضرب جنود العدو المغتصب من أجل وطني وحاشا أن يعز عليه مهما عز الفداء)

ودخلت الفدائية عائدة إلى السجن مرفوعة الرأس ولسان حالها ينشد.

سيان عندي مفتوح ومنغلق ... ياسجن بابك أم شدت به الحلق
أم السياط به الجلاد يلهبني ... أم خازن النار يكويني فاصطفق
سري عظيم فلا التعذيب ينطقني ... سرا ورب ضعاف دون ذا نطقوا

# عباس محمود العقاد

## 1889م - 1964م

هو الشاعر، الكاتب، الأديب، المفكر، الأستاذ عباس محمود العقاد الذي ملأ سمع الدنيا وبصرها في حياته وبعد موته..

ذكر الأستاذ عبد الودود محمود طه في مقال نشره عن العقاد في مجلة (منبر الإسلام) [1] قال فيه أن ثلاثة من الصبية جلسوا ليلة القدر على قمة جبل يحتضن ضفتي النيل بأسوان تمنوا على الله أماني ورفع الصبية الثلاثة أكفهم في ضراعة وبراءة إلى السماء..

تمنى الأول أن يكون قائدا عظيما، والثاني أن يكون من زوار بيت الله الحرام، والثالث أن يكون أشهر أهل زمانه.

فكان الثلاثة على موعد مع القدر : الأول هو صالح باشا حرب الذي أصبح من قواد مصر العظام ووزير الدفاع، والثاني الحاج عبد الحميد صبري الذي حج أكثر من مرة، والثالث عباس محمود العقاد الذي شغل الدنيا في حياته وبعد مماته.

ألّف العقاد من الكتب ما يناهز السبعين. كل واحد منها يفوق في قيمته

---

(1) س 33 ع 5 مايو 1975

العلمية والأدبية رسالة الدكتوراه بلا مغالاة أو مبالغة..[2]

وصف نفسه في كتاب (أنا) الذي قدمه إلى المطبعة قبل وفاته:

(أديب مشهور. وليس ليسـ ـ ولا دكتور)

نشأ العقاد في كنف والـ ـن يعمل أمينا للمحفوظات في مديرية أسوان فأسبغ على مهنته الدقة وحب ـظام وكان جده الأكبر يعمل في صناعة الحرير وهي مهنة تتطلب الصبر ورحابة ـصدر ولذلك سمي العقاد..

أما والدته فهي تنحدر من أصل كردي اشتهرت بإباء وشمم، كثيرة الصمت، ولوعة بالعزلة يقول عنها العقاد:

لم أر امرأة أصبر على الصمت والاعتكاف من والدتي فلربما مضت ساعة وهي تستمع إلى جارتها.. ولربما مضت أيام وهي معتكفة في بيتها....

وهذه العوامل متجمعة وعوامل أخرى لا يتسع المقام لذكرها هي التي كونت شخصيته القوية التي من معالمها. الترفع. والشهامة. والجد. والصبر. والاحتمال. والإرادة والإصرار. والشجاعة والاقدام..

وحياة العقاد - بلا مبالغة - كلها مواقف من أول كتاب ألفه ودفع به إلى المطبعة إلى آخر كلمات سجلها وهو على فراش الموت.[3]

ومن يوم أن استعصت مسألة من مسائل الحساب على مدرس الحساب فسهر العقاد الصغير على حلها وفي الصباح عرضها على الأستاذ وقدم الحل على السبورة متهلل الوجه. رضي النفس. وإذا بالأستاذ يهزأ منه ويقول له أمام التلامذة ساخرا:

لقد أضعت وقتنا انهالن تأتي في الإمتحان...

وإذا بالتلاميذ في صوت واحد: لقد أضعت وقتنا.. ما الفائدة ؟؟

يقول العقاد - معلقا على هذه الحادثة -: كانت الصدمة كفيلة بأن تكسرني كسرا لو أن اجتهادي كان محل شك عندي .. وهذه لم تكسرني بل نفعتني أكبر نفع حمدته في حياتي وصح قول نيتشه: (كل ما لم يقتلني يزيدني قوة)

من هذا اليوم ومن هذه الحادثة الى أن أصبح العقاد عضوا في مجلس

---

(2) اما سوفيا خليفة التونسي فإنها تقول: إنها رجعت إلى مكتبة بيتها فاحصت مؤلفاته فكانت 89 كتابا.

(3) أنظر (آخر كلمات العقاد).

النواب وحاول الملك فؤاد أن يعبث بالدستور فقال العقاد كلمته المشهورة :

(إن الأمة على استعداد أن تحطم أكبر رأس يعتدي الدستور)

فقامت الدنيا وقعدت ولفقت للرجل الشجاع جناية العيب في الذات الملكية ودخل السجن وظل فيه تسعة أشهر وذلك سنة 1930.

وفي السجن عانى من المرض الرئوي ماعانى وزاره على ماهر باشا وزير الحقانية اذ ذاك وطلب منه تلبية خدماته. ولكن الرجل الشهم الذي خُلِقَ للصمود والمواجهة رفض في اباء وقال : السجن أحب إلي مما تدعونني إليه..

وخرج من السجن بعد انتهاء المدة مرفوع الرأس ونظم قصيدته الغراء التي يقول فيها :

وكنت جنين السجن تسعة اشهر — وها أنا ذا في ساحة المجد أولد

ففي كل يوم يولد المرء ذو الحجا — وفي كل يوم ذو الجهالة يلحد

وما أفقدت لي ظلمة السجن عزمة — فما كل ليل حين يغشاك مرقد

عداتي وصحبي لا اختلاف عليهم — سيعهدني كل كما كان يعهد

فحياة العقاد اذن من يوم تأليف كتابه الأول إلى آخر كتاب له. ومن يوم أن سخر منه أستاذ الحساب إلى دخوله السجن إلى وفاته ـ سلسلة طويلة من المواقف والبطولات والمواجهات التي تصور شهامته وكرامته والحياة الشاقة التي اختارها لنفسه، حياة الوضوح والصراحة. وحياة الصمود..

تلك الحياة الصعبة التي اختار الطريق إليها.. ذلك الطريق الذي عبر عنه حين قال :

من يبغي الحق في الدنيا — فلا اسف على السلامة إن خانته دنياه

قد يهجر الأمن من ذلوا ومن وهنوا — وما تفرق قط الهول والجاه

فاختر لنفسك إما المجد في خطر — أو الهوان وقد تشعر بسواه

وللأستاذ العقاد صفة قد لا يعرفها الكثير.. وهي المحافظة على المواعيد وكان يقول :

احترام المواعيد مقياس شعور الإنسان بالمسئولية. واخلاله لها سقوط في التكليف والتبعة..

وكان العقاد لا يغضب من شيء كما يغضب إذا أخلف زائره موعده، وقد

حدث ذات مرة أن طلب منه أحد الأثرياء السعوديين أن يقوم بتفسير للقرآن الكريم مقابل ثلاثة آلاف جنيه..

ولا شك أن مبلغا مثل هذا ليس بالقليل ولا سيما أن الرجل من الكتاب الفقراء من الناحية المادية. وقد حدد العقاد موعد الزيارة لذلك الثري السعودي الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم..

وحوالي السابعة إلا ربعا استعد العقاد لاستقبال الزائر. ومرت السابعة - وهي موعد الزيارة - فوقف العقاد وهو غاضب وقال لكاتبه الأستاذ عامر العقاد [4] :

(الرجل ده لوما حضر حتى الساعة السابعة والربع لا يدخل هنا بحال من الأحوال)

وبينما كان العقاد في هذه الثورة. اذ دق جرس الباب وكانت الساعة قد بلغت السابعة واثنتي عشرة دقيقة وسمح له بالدخول وجلس في ضيافته ولمّا قدم له طاهيه عصير الليمون وفنجان القهوة قال الزائر للعقاد بلهجته السعودية : (ايه ياأستاذ عقاد لقد أحضرت لك الشيك بالقيمة لتبدأ المشروع على بركة الله)

لكن العقاد خاطبه بلهجة شبه حادة قائلا له : يا سيد. أنا لا يمكنني التعامل معك؛ ويؤسفني أن أرفض القيام بهذه المهمة الأدبية فقد كان لخلفك الموعد أثر سيء في نفسي مما يدعوني إلى عدم القيام بهذا العمل.

وظن الرجل أن العقاد قد غضب لتاخره عن الوقت فسرعان ما يهدأ ويقبل القيام بالمهمة فعاود حديثه بخصوص المهمة ولكن العقاد (المواقف) رفض في اصرار وقال :

أنا قلت لك لا؛ فمعنى لا. إلى الأبد... ومن لا يعرف في هذه الخصلة فلا يعرف من خصالي شيئا..

واضطر الرجل بعد لحظات أن يغادر البيت آسفا..

وهذه الخصلة هي التي جعلت حياة العقاد منظمة مضبوطة جادة لا لهو فيها ولا عبث...

---

(4)وهو الذى روى هذه الحادثة في (اخر كلمات للعقاد)

# عمـر التلمسـانـي

## 1904م ـ 1986م

هو أحد النماذج الفاضلة التي يجود بها الزمان من حين لآخر فتترك عند مغادرة هذه الدنيا أثرا طيبا في النفوس، لا تقدر الأيام باحداثها المختلفة أن تمحوه...

قال فيه أحد الكتاب الذين عاصروه ودرسوه ووقفوا على حقيقته :

(الرجل الذي استطاع أن يكون سفينة الإخوان وهي تبحر في بحر عاصف، لم يعرف الهوادة ولم يهدأ إلا مؤخرا)

ولد عمر التلمساني في شهر نوفمبر سنة 1904 ولا ندري عن حياته في الطفولة وفي الشباب سوى أنه حصل على شهادة الليسانس في الحقوق سنة 1931 وهو أول محام دخل حركة الإخوان المسلمين عام 1933 وذلك بعد تأسيس الجماعة بخمسة أعوام وانتخب عضوا بمكتب الإرشاد في عهد الإمام الشهيد حسن البنا وخليفته حسن الهضيبي، وحوكم في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر سنة 1954 وصدر عليه الحكم بالسجن لمدة 15 سنة.

وبعد أن أمضى المدة كاملة أعيد اعتقاله عام 1969 وظل بالسجن حتى أفرج عنه الرئيس أنور السادات عام 1971 وانتخب مرشدا عاما لجماعة الإخوان

المسلمين عام 1972...

وفي عام 1976 أعاد اصدار مجلة (الدعوة) التي كانت تصدر باسم الجماعة..

واعتقله الرئيس السادات مع من اعتقلهم في شهر سبتمبر سنة 1981 وظل معتقلا حتى بعد اغتيال السادات حيث أفرج عنه في شهر ديسمبر من العام نفسه..

وتوفي رحمه الله في سنة 1986.

والأستاذ عمر التلمساني طاقة قوية هائلة لا تهدأ حركته. ولا ينضب معينه، يجاهد بلسانه وقلمه في حرارة من الإيمان، وقوة من الإرادة والعزم كتب مآت المقالات في مختلف الصحف والمجلات، وله عدة مؤلفات أهمها :

(شهيد المحراب، عمر بن الخطاب) (الملهم الموهوب حسن البنا) ( بعض ماعلمني الإخوان المسلمون ) ( قال الناس ولم أقل في حكم عبد الناصر ) ( الحكومة اللدينية ) ( نظرة الإسلام السامية للمرأة ).

والأستاذ عمر التلمساني رجل الحوار : يحاور الخصم في نفس طويل، وبحجة بالغة ونطق وبيان.

وطابع الحوار الذي يعد من مميزات عمر جعله يتجنب العنف رغم أن الظروف أحيانا تفرض عليه التصلب والتشدد في المواجهة.

وكثيرا ماكان شباب الإخوان في ظروف مختلفة يطلبون من الشيخ عمر التلمساني المواجهة العنيفة مع الحكم لكنه كان يقابلهم بابتسامته الطيبة. وكلمته العذبة، ويهدىء من روعهم ويقول لهم إن هناك فارقا جوهريا بين التشدد في الحق وبين التعنت في الموقف..

ذكر الأستاذ عماد الدين أديب أنه قال للشيخ التلمساني ذات يوم :

هل يمكن لكم أن تدخلوا في مواجهة مع الحكم في مصر إذا لم يحول القوانين الوضعية إلى قوانين مستمدة من الشريعة ؟ فابتسم الرجل ابتسامته المعهودة وقال :

(نحن لا نريد الصدام والحوار وحده قادر على تحقيق هذه المكاسب بشكل تدريجي وإذا كانت الحكومة الحالية ستقوم بتطبيق الشريعة فنحن نرحب بها في رئاسة جماعة الإخوان...

وقال : إننا جميعا إخوان مسلمون والجماعة ليست قاصرة على أحد ونحن

لا نهدف للسلطة أو لأي منصب من المناصب. نحن فقط نهدف أن يكون المجتمع مسلما خالصا يحكم ويفعل بما أمر الله به فإذا ما تحقق ذلك فإن كل المجتمع هو جماعة الإخوان..

والشيخ عمر قوي الإيمان بالله، عظيم الثقة فيه يعلم أن المحن والبلايا حظ الأنبياء والمصلحين والذين يبتلون في هذه الحياة ويصبرون ـ كما صبر أولائك ـ هم الفائزون الذين يكتب لهم النصر في الحياة الدنيا ويرضي الله تعالى عنهم في الآخرة، ويقيمون الدليل واضحا على أنهم أقوى من العذاب وأقوى من السجن والموت..

أما الإعتراض على الله في ابتلائه فهو الضلال والانحراف، وأما الجزع والتسخط فهو الجهل بحكمة الله وطبيعة الدنيا، يقول عنه صديقه الأستاذ مصطفى امين :

أمضيت سنوات طويلة مع التلمساني في سجن (ليمان طرة) وكانت زنزانته في مواجهة زنزانتي كنت أراه كل يوم وأتحدث إليه وكان أكثر ما حببني فيه سعة صدره واحتماله الغريب ومواجهته البطش والاستبداد بسخرية واستهزاء، فقد كان يشعر بأنه أقوى من الذين قيدوه بالأغلال، وكان مؤمنا بأن المحنة لابد أن تنتهي ويخرج من السجن ويكتب رأيه وينشر الفكر الذي آمن به.

وأضاف الأستاذ مصطفى امين :

كان عمر التلمساني يعتقد أن العنف يضر ولا ينفع، يسيىء للفكرة ولا يخدمها، وكم تدخل ليهدىء الثائرين، ويدعو الضالين للهداية.. يرحب بالضربات التي ينهال بها الطغاة على الآراء التي يدعو إليها، ويقول إنها تثبت الفكرة وتقويها. وقد كان يذكرني بكلمة قالها الزعيم زغلول كلما رأى الشعب هدأ واستكان وتقهقر أمام بطش الإستعمار فكان يقول :

(اللهم ارزقنا بطغيان)

ذلك أن الظلم يوقظ الشعوب والقهر يحركها، والطغيان يجعلها تنقض على غاصبيها.

وكان التلمساني رحمه الله يرى أن الإسلام يمقت الطاغوت ويلعنه ويحاربه، والطاغوت هو الذي يفرض إرادته على الناس، ويكم أنفاسهم، ويشل أفكارهم، ويحطم أقلامهم، ويقيد أرجلهم، ويحاول أن يتقدم على حسابهم.

ويصعد على أكتافهم. ويرى أن مقاومة الطاغية لا تكون بالعنف. والحرق والتدمير. وإشاعة الفزع ونشر الموت وإنما تكون بالصمود والإيمان والثبات والحجة البالغة والمنطق الواضح السليم....

وحياته سلسلة من الأعمال الجادة، والمواقف القوية التي ستبقى في تاريخه تشهد بشجاعته الأدبية وتحدد مكانة صاحب الدعوة الإسلامية في المجتمع.

ومن أروع مواقفه لقاء مع الرئيس الراحل السادات عندما هاجمه هذا الأخير وهدده وتوعده وحصل بينهما حوار رائع أعاد إلى الأذهان صورة من صور السلف الصالح.. صورة الحرية في الكلمة، صورة القوة في النقد. صورة الأدب والعفة في اللسان، صورة الجهاد بالكلمة الصريحة وهذه صورة الحوار :

في يوم الاثنين 27 رمضان 1399هـ الموافق 20 اغسطس 1979م تم لقاء السيد أنور السادات رئيس الجمهورية مع عدد كبير من رجال الدعوة الإسلامية والفكر الإسلامي في مصر وهو أول لقاء وقع بين الرئيس وبين المسؤلين عن الدعوة الإسلامية، فذكر الرئيس أن الإخوان والدعوة تعاونوا مع الشيوعيين وفلول من الأحزاب.. المنحلة والإنتهازيين... تعاونوا جميعهم ضد النظام، وركز الرئيس تركيزا كبيرا على الأستاذ التلمساني والإخوان المسلمين. فوقف التلمساني وقفة المؤمن الواثق بنفسه، الذي لا يرى إلى الحق إلا طريقا واحدا هو الشرف والجهاد والإخلاص، فألقى محاضرة رائعة للأجيال الحاضرة والقادمة فيما يجب أن يكون عليه صاحب الدعوة وبدد كل ما وجهه إليه رئيس الجمهورية من التهم في أسلوب قوي مثير، وفي منطق بليغ ثم قال كأنه يلقي نشيدا عذبا تأثر به الجميع :

(أنا مسلم... أنا مؤمن... أنا نظيف... أنا طاهر... أنا مخلص... كل الإخلاص..)

ثم قال الأستاذ التلمساني في لهجة صادقة :

(لو كان أحد غير محمد أنور السادات رئيس الجمهورية وجه مثل هذا إليّ لشكوته إليك.. أما أن يقول هذا أنور السادات رئيس الجمهورية فإلى من أشكو؟... أشكو إلى الله ...)[1]

قالها بقوة وأدب وتأثر، ثم قال رئيس الجمهورية معترفا بجبروت ربه

---

(1) عن (الاعتصام) 4 ـ ع 10 ص 42 شوال 1399هـ الموافق سبتمبر 1979م.

وعبوديته له :

(وأنا أخاف الله.. أخاف الله حقا وأنا اجتمع هنا لا كرئيس جمهورية ولكن ككبير عائلة... وأنا أذكر وقائع ولم أكون راويا بعد.. فأطلب أن تسحب شكواك مني إلى الله....

وهكذا كان الأستاذ التلمساني في مستوى المطلوب. وشرف بموقفه العفيف المتزن الإسلام ودعاته وسيبقى للأجيال قدوة في الشجاعة في القول. والصدق في الكلمة. والإخلاص لوجه الله تعالى...

# دليل الكتاب

Achevé d'imprimer sur les presses de l'ENAL 1992
Bab-ezzouar – Alger –

# شخصيات ومواقف

سبق وأن كتب «محمد الصالح الصديق» وكثيرا في الاسلاميات خاصة، وهو لذلك غني عن كل تعريف.

في هذا الكتاب.. يقدم لنا الكاتب شخصيات برزت في التاريخ عبر مواقفها الفذة في مجالات عدة، موزعة على مختلف العصور الاسلامية والبلدان، يقول فيها :

«.. هم الذين تتقلب بهم، ضروف الدهر وحوادثه، فتجعلهم في مؤخرة القافلة بعد أن كانوا في مقدمتها وقد تهوى بهم الى الحضيض ولكنهم مع ذلك يظلون شم الانوف، أعزاء النفوس، لايطأطئون رأسا ولا ينحنون ظهرا، الا لله وحده..»

هذا الكتاب.. هو بمثابة مرجع للعظة لمن يتعظ ومرجع للعبرة لمن يعتبر.

سعر : 165.00 دج